
اجاثا كريستي
بواعث الجريمة



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

بواعث الجريمة
Murder in Mesopotamia

عندما وافقت «آمي» على أن تقوم برعاية زوجة عالم الآثار الأمريكي الدكتور «ليندر» في أثناء تواجدها معه في موقع عمله وهو موقع الحفر والتنقيب الأثري بالقرب من منطقة «الحسينية»... لم تكن لتدرك أن مقتضيات وظيفتها أبعد من مجرد واجبات رعايتها للسيدة .... حيث كان لزامًا عليها أن تمنع حدوث أية جرائم تستهدف حياة تلك السيدة! ومن حسن حظ «آمي» أن المفتش «هركيول بوارو» كان يزور الموقع الأثري، ولكن هل باستطاعته أن يمنع أي قاتل من القيام بالاعتداء عليهم؟

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	3 دنانير	مصر	10 جنيهات
الجزائر	300 دينار	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 9953383820-0



بواعث الجريمة

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

بواعث الجريمة

(09)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Murder in Mesopotamia

(1936)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

مقدمة

وقعت الأحداث التي تضمها هذه الرواية منذ أربع سنوات،وأرى إزاء الظروف أن يطلع القارئ على صورة دقيقة منها. فقد جرت الشائعات الغريبة على أن الأدلة المهمة قد أبقيت طي الكتمان،كما جرت سفاسف أخرى غيرها نشرتها الجرائد الأمريكية على وجه الخصوص. ولأسباب واضحة رئي أن من الأوفق الا يقوم أحد أفراد البيئة بتسجيل هذه الوقائع والأحداث خشية اتهامه بالتحيز. فقد اقترحت على الآنسة "آمي **ليذبران**" أن تضطلع بهذه المهمة؛ لأنها خير من يقوم بها بكل تأكيد؛و أنها ليس لها معرفة سابقة بأعضاء بعثة جامعة "**بتستون**" المقيمين بـ"**العراق**"؛ ولأنها فوق ذلك كانت شاهدة ذكية دقيقة الملاحظة. ولم يكن من اليسير إقناع الآنسة "**ليذبران**" بالقيام بهذه المهمة، والواقع أن إقناعها كان من أشق الأعمال التي صادفتني في حياتي العملية، حتى بعد أن فرغت من مهمتها هذه أبدت نفوراً كبيراً قبل أن تسمح لي برؤيتها. لقد اكتشفت أن هذا يرجع جزئيًّا إلى بعض الملاحظات التي سجلتها بخصوص ابنتي "**شيلا**"، وقد طمأنتها بهذا الشأن وقلت لها:

– إن الأولاد في أيامنا هذه لايتورعون عن انتقاد أبويهم ، وإن الآباء يسرهم أن يروا أولادهم معرضين للنقد بدورهم.وكان السبب الثاني لاعتراضها هو تواضعها الجم فيما يتعلق بأسلوبها في الكتابة وقد طلبت إليّ أن أصحح لها الأخطاء اللغوية والنحوية التي تزخر بها الرواية ولكنني على العكس من ذلك رأيت ألا أقوم بتغيير كلمة واحدة من قصتها لأنني أعتقد أن أسلوب الآنسة "**ليذبران**" لائق ومتين ويدل على قوة الشخصية . وإذا كانت تتحدث عن "**هركيول بوارو**" فتقول تارة "**بوارو**" وأخرى السيد "**بوارو**" فإن لمثل هذا التغيير والاختلاف أهميته ودلالته.

فإن مهنتها تغلب عليها في بعض الأحيان ،والممرضات يحترمن كثيراً آداب المعاشرة والسلوك، وفي أحيان أخرى تتغلب عليها طبيعتها الإنسانية فتنسى قيود مهنتها والشيء الوحيد الذي أقدمت عليه هو أنني كتبت بنفسي الفصل الأول مستعيناً بخطاب قدمته إليَّ إحدى صديقات الآنسة "**ليذبران**" .وكانت قد كتبته لي في إبان هذه الأحداث وأنقله هنا على اعتبار أنه مقدمة لإعطاء القارىء فكرة عن الكاتبة.

- 1 -

في بهو فندق "**تيجريس بالاس**" بـ" **بغداد**" كانت إحدى الممرضات قد فرغت من تحرير خطاب،وقد جرى قلمها على الورق،وهذا نص ما كتبته:

« . .حسناً يا عزيزتي. .أظن أن هذه هي كل أخباري،ويجب أن أقول إنه قد أطربني كثيراً أن أرى جزءاً من العالم،وإن كنت أفضل "**إنجلترا**" عن أي بلد آخر.والحق أن هذه المدينة بعيدة كل البعد عن "**بغداد**" الخيالية التي نقرأ عنها في كتاب "**ألف ليلة**" .والواقع أن منظر المدينة يبدو جميلاً عبر النهر،ولكن المدينة نفسها بغيضة ومحلاتها بعيدة عن الجمال.وقد اصطحبني الرائد "**كلسي**"إلى الأسواق ولا أستطيع أن أنكر أنها غريبة وطريفة ولكنها ليست أكثر من حلقة من الضوضاء والجلبة والدق على الأواني النحاسية بحيث أصابني الصداع،ولا أظن أنني أفكر أبداً في استخدام هذه الأواني النحاسية مالم أتأكد من نظافتها كل التأكيد فلابد للإنسان أن يحذر الزنجار عند استعمال مثل هذه الأواني. سأكتب إليك لأخبرك بنتيجة سعي الدكتور "**ريلي**" فيما يتعلق بالعمل الذي تكلم عنه.

وهو يقول:" إن السيد الأمريكي موجود في بغداد الآن وإنه قد يأتي لزيارتي بعد ظهر اليوم لكي يتحدث إليّ عن زوجته فهو يقول إنها تتوهم بعض الأشياء ولم يزد على ذلك، ولكني أعرف معنى قوله هذا بحكم العادة ، وأرجو ألا يكون سبب هذه الأوهام هو الإفراط في الشراب، ولم يقل الدكتور "**ريلي**" شيئًا ولكن نظرته حفلت بكثير من المعاني. والدكتور "**ليدنر**" من علماء الآثار،ويقوم في الصحراء بالتنقيب بحثًا عن بعضها لصالح أحد المتاحف الأمريكية. . . حسناً يا عزيزتي. .سأختم خطابي الآن.وقد تأثرت جداً بما ذكرت لي عن الصغير "**ستابتز**" وشقاوته ولكن ما رأي "**ماترون**" ؟

صديقتك المخلصة

"**آمي ليذبران**"

ووضعت الخطاب في الظرف وكتبت عليه العنوان. .الأخت "**كبرشو**" بمستشفى "**سانت كريستوفر**" بـ"**لندن**" . بينما هي تغطي قلم الحبر دنا منها صبي من الأهالي وقال لها:

– أقبل الدكتور "**ليدنر**" ، وهو يريد أن يراك .تحولت الممرضة "**ليذبران**" فرأت رجلاً معتدل القامة محدودب الكتفين قليلاً ذا لحية شقراء رقيقة وعينين متعبتين، أما الدكتور "**ليدنر**" فقد رأى أمامه امرأة في الثانية والثلاثين من العمر معتدلة القوام مليحة الوجه ذات شعر كستنائي وعينين زرقاوين، وبدت له بوجهها المليح وذكائها المتوقد خير من يقوم بتمريض مرضى الأعصاب.

- 2 -

"آمي ليذبران"

لا أدعي أنني كاتبة أو أن لي أية دراية بالأدب،ولا أقوم بتسجيل هذه القصة إلا لأن الدكتور "**ريلي**" قد طلب إليَّ ذلك ومن المستحيل أن يرفض أحد شيئًا للدكتور "**ريلي**"،وقد قلت له:

– ولكن يا دكتور. .إنني لست أديبة على الإطلاق.فأجابني:

– هراء. .اكتبيها كما لو كنت تكتبين تقاريرك الطبية.

– حسنًا. .أستطيع أن أقوم بكتابة القصة بهذه الطريقة حقًّا. واستطرد الدكتور "**ريلي**" في حديثه فقال:

– إن تقريراً إضافيًّا عن قضية "**تل يارمجة**" لابد منه وأردف: "لو قام أحد أبطال هذه القصة بكتابتها فلن يصدقه أحد وسيرميه القوم بالتحيّز حتما" . وكان هذا حقًّا، وعلى الرغم من أنني كنت شاهدة عيان فإنه لم تكن لي صلة بما حدث،وسألته:

– ولم لا تكتب أنت هذه القصة بنفسك يا دكتور؟

– لم أكن موجوداً في مكان الأحداث ثم إن ابنتي لن توافق على ذلك، وإن

طريقته في الخضوع لنزوات هذه الطفلة والنزول عند رغباتها لتثير امتعاضي وقد هممت بأن أقول له ذلك عندما رأيت وميضاً يومض في عينيه،وهذا أسوأ ما في الدكتور "ريلي" ،فالمرء لا يعرف أبداً إن كان يهزل أو يجد،وهو يتكلم دائماً في تؤدة وفي أسى ولكن عينيه تومضان خبثاً في أكثر الأوقات. وقلت في تردد:

– حسناً.أظن أنني أستطيع أن أفعل.

– تستطيعين طبعاً.

– ولكنني لا أعرف كيف أبدأ.

– هناك سوابق مماثلة وأفضل شيء هو أن تبدئي من البداية وأن تستمري حتى النهاية. قلت في شك:

– ولكنني لا أعرف كيف ولا متى بدأ كل شيء.

– صدقيني أيتها الممرضة، إن الصعوبة لا تقاس بشيء إزاء الصعوبة في معرفة كيف يجب أن تنتهي القصة،هذا ما أشعر به على الأقل حين ألقي محاضرة، فلا بد لأحد ما أن يشدني من سترتي،لإرغامي على الجلوس.

– أوه..إنك تمزح يا دكتور.

– بل إنني أتكلم بكل جد..ولكن ما رأيك الآن؟ كان هناك شيء آخر يقلقني...وقلت بعد أن ترددت لحظة:

– ولكنني أخشى يا دكتور أن أكون أكثر ذاتية في بعض الأحيان.

– حسناً..حسناً..كلما وضعت في هذه القصة من ذات نفسك كان هذا أفضل فتكون القصة قصة عن كائنات بشرية وليست قصة كاذبة. احتفظي بشخصيتك وتحاملي وتخابثي وافعلي كل ما تريدين، اكتبي القصة بطريقتك الخاصة،ومهما يكن من أمر فإنه يمكننا فيما بعد أن نستبعد منها المواقف المجحفة، اكتبي واستمري في الكتابة فأنت امرأة حساسة وستكتبين هذه القصة بما عهد عنك من ذكاء.وهكذا فرغنا من الأمور ووعدته بأن أبذل جهدي، هأنذا أبدأ بالكتابة،ولكن من العسير أن أعرف كيف أبدأ حقاً كما قلت للدكتور، أظن أنه يجب أن أذكر كلمة أو كلمتين عني أنا بالذات..أنا في الثانية والثلاثين

من عـمـري واسـمـي "**آمي ليـذبران**" ،وقـد تمرنت على أعـمـال التـمـريض في مـسـتـشـفى "**سـانت كـريسـتـوفـر**" ثم قـضـيت سنتين بعـد ذلك في أحـد مستشفيات الولادة واشتغلت بعد ذلك لحسابي الخاص والتحقت بالعمل في عيادة الآنسة "**بندكس**" الخاصة في مقاطعة "**ريفونشاير**" .وأتيت إلى "**العراق**" مع السيـدة "**كلسي**" وعنيت بهـا عندمـا وضـعت مـولـودها .وقـد أقـبـلت إلى "**بغداد**" هي وزوجها،وكان قد سبق أن اتفقت مع ممرضة خاصة لتعتني بطفلها. وكانت السيدة "**كلسي**" رقيقة الحال بحيث إنها خشيت على ابنها من هذه الرحلة .ولـهـذا قـرر الرائد "**كلسي**" أن أرافـقـهـا في هذه الرحلة لأعـتـني بالطفل،وعرض عليّ أن ينقدني أجر العودة إلى "**إنجلترا**" إذا لم نجد أحداً يحتاج إلى ممرضة في "**العراق**" ، ولا حاجة بي إلى أن أصف آل "**كلسي**" ؛ كان الطفل ظريفًا كما كانت أمه السيدة "**كلسي**" رقيقة لطيفة وإن كانت عصبية بعض الشيء، وقد استمتعت بالرحلة جيداً ولم يكن قد سبق لي السفر بالبحر قبل ذلك، وكان الدكتور "**ريلي**" يسافر على الباخرة نفسها وهو رجل أسمر الشعر طويل الوجه يلقي بدعاباته ونكاته في صوت بطيء،وأظن أنه كان يطربه أن يضحك عليّ وكان ينطق أمامي بأغرب البيانات لكي يرى هل أصدقها. وكان جراحًا في بلد يعرف باسم "**الحسينية**" وتبعد عن "**بغداد**" بمسيرة اليوم ونصف وكان قد مضى على إقامتي في "**بغداد**" نحو أسبوع حين التقيت به في المدينة فسألني متى أترك خدمة آل "**كلسي**" ؛ وأدهشني سؤاله هذا؛ لأن السيد "**رايت**" وسيدته اللذين كانت تعمل لديهما الممرضة الأخرى التي ستحل محلي لدى آل "**كلسي**" كانا يستعدان للعودة إلى "**لندن**" قبل الموعد المحدد وأن الممرضة المذكورة تستطيع أن تلحق بعملها الجديد عقب سفرهما على الفور. وقال إنه سمع أن السيد "**رايت**" وسيدته سيعودان إلى "**لندن**" وإنه يسألني لهذا السبب،وأردف يقول :

– والواقع أن هناك عملاً يحتمل أن أعرضه عليك أيتها الممرضة.

– أهو مريض؟ أخذت ملامحه سمة الجد، وقال :

– ليس مريضاً إذا أردت الدقة.. هي سيدة تشكو بعض الأوهام.. واسمها السيدة "**ليدنر**" وزوجها أمريكي.. أمريكي سويدي إذا توخينا الحقيقة.. وهو على رأس بعثة كبيرة للتنقيب عن الآثار. وشرح لي كيف أن هذه البعثة تقوم بالحفر والتنقيب عن الآثار في مدينة آشورية كبيرة، وأن مقر البعثة لا يبعد عن "**الحسينية**" ولكنه مكان منعزل وأن الدكتور "**ليدنر**" يشعر بالقلق منذ فترة قليلة بسبب صحة زوجته. وأردف:

– وهو لم يذكر لي أية تفاصيل في هذا الصدد. ولكن يبدو أن السيدة "**ليدنر**" عرضة لبعض الأوهام المخيفة. سألته:

– وهل يتركها مع الأهالي طوال اليوم؟

– أوه، كلا. هنا مجموعة كبيرة.. سبعة أشخاص أو ثمانية ، ولا أظن أنها تبقى وحدها بالبيت في أي وقت من الأوقات.. ولكن يبدو أنه ليس هناك أي شك في أنها تتوهم أموراً غريبة، و"**ليدنر**" رجل جم المشاغل ولكنه يعشق زوجته ويقلقه أن يراها تتألم هكذا وإنه ليكون أسعد حالاً إذا عرف أن هناك شخصاً مسؤولاً له دراية وخبرة يعتني بها.

– وما رأي السيدة "**ليدنر**" نفسها في هذا الشأن؟ أجاب الدكتور بلهجة الجد:

–إن السيدة "**ليدنر**" امرأة جميلة فاتنة، ولا تبقى على رأي واحد يومين متتاليين،ولكن الفكرة تروق لها على كل حال . وأردف:

– وهي امرأة غريبة الأطوار.. كتلة من التكلف وبطلة في الكذب على ما أعتقد،ولكن يبدو أن "**ليدنر**" يعتقد حقًّا أنها تخاف من شيء ما.

– وماذا قالت لك هي نفسها يا دكتور؟

– أوه. إنها لم تستشرني، وهي لا تميل إليَّ على كل حال.. لأسباب كثيرة، وإنما جاءني "**ليدنر**" بنفسه وعرض عليَّ مشروعه.. حسناً مارأيك في هذه الفكرة أيتها الممرضة؟ إن هذا العمل سيتيح لك الفرصة لرؤية المزيد من الأماكن قبل عودتك إلى الوطن، فهم سيقومون بالحفر والتنقيب شهرين آخرين، والحفر

والتنقيب عن الآثار أمر مثير. وبعد لحظة من التردد أدرت فيها الموضوع في رأسي من كافة الوجوه وقلت:

– حسناً.. أعتقد أنني أستطيع أن أحاول. قال الدكتور "**ريلي**" وهو ينهض:

– عظيم.. إن "**ليدنر**" في "**بغداد**" الآن.. سأخبره لكي يأتي ويتفق معك على كل شيء. وأقبل الدكتور "**ليدنر**" إلى الفندق عصر ذلك اليوم، وكان رجلاً متوسط العمر عصبي الطباع متردداً طيب الشمائل حلو المعشر، ولكنه ضعيف الإرادة، وبدا لي أنه يحب زوجته كل الحب،ولكنه كان شديد الغموض فيما يتعلق بحالتها الصحية، وقال وهو يشد لحيته في حيرة، وقد اكتشفت فيما بعد أن هذه الحركة لازمة من لوازمه:

– إن زوجتي تعاني حالة عصبية شديدة.. وأمرها يزعجني كثيراً. سألته:

– هل تتمتع بصحة بدنية طيبة؟

– نعم..نعم.. أظن ذلك..لا أعتقدأن لصحتها البدنية دخلاً في ذلك... ولكنها...حسناً.. إنها تتوهم أشياء..

– أي نوع من الأشياء؟ ولكنه تهرب من الرد وتمتم قائلاً:

– إنها تتوهم أشياء لا وجود لها.. والحق أنني لا أرى أساساً لمخاوفها هذه.

– ومم تخاف يا دكتور "**ليدنر**"؟ أجابني في إبهام:

– أوه..هي مخاوف عصبية.كنت واثقة بأن مخاوفها تلك ترجع إلى عمليات الحفر والتنقيب وأنه لايدرك ذلك، وكثير من الرجال لايدركون ذلك ويتساءلون ماذا يحدث لزوجاتهم، وسألته عما إذا كانت السيدة "**ليدنر**" هي نفسها ترحب بقدومي فانبسطت أساريره وقال:

– أوه، نعم.. وقد أدهشني ذلك،أدهشني جداً..

قالت إنها فكرة رائعة، وإنها ستشعر بأمان أكثر . وأدهشتني كلمة «أمان» واستنتجت منها أن السيدة "**ليدنر**" تشكو مرضا عقليا من غير شك. واستطرد يقول في لهجة صبيانية:

– إنني مقتنع بأنكما ستتفقان معًا، فهي امرأة ظريفة حقًّا. وابتسم ابتسامة

رقيقة وقال:

– وهي تشعر بأنها ستستريح كثيراً إلى وجودك معها وأنا نفسي قد أحسست بالارتياح التام بمجرد أن رأيتك.. فإنك تبدين لي – إذا سمحت لي بأن أقول لك ذلك – كأنك امرأة موفورة الصحة وذات حصافة كبيرة وأنني واثق بأنك خير من يلزم لـ"**لويز**". قلت في ابتهاج:

– حسناً..يمكننا أن نحاول يا دكتور "**ليدنر**"، أرجو أن أتمكن من خدمة زوجتك..لعلها تعاني العصبية بسبب الأهالي وتغيير الجو. هز الدكتور "**ليدنر**" رأسه وقد أطربته هذه الفكرة كثيراً وقال:

– أوه، كلا.. إن زوجتي تحب العرب كثيراً وتقدر بساطتهم وسذاجتهم وحبهم للدعابة،وهذا هو الموسم الثاني لها هنا، وقد تزوجنا منذ سنتين، أصبحت تستطيع التفاهم باللغة العربية. لزمت الصمت لحظة ثم قلت:

– ألا يمكنك أن تخبرني مم تخاف زوجتك يا دكتور "**ليدنر**"؟ تردد ولكنه لم يلبث أن قال في بطء:

– أعتقد أنها ستخبرك بذلك بنفسها. وكان هذا كل ما استطعت أن أظفر به منه.

- 3 -

شائعات

تم الاتفاق على أن أذهب إلى "**تل يارمجة**" في الأسبوع التالي، وكانت السيدة "**كلسي**" قد استقر بها المقام في بيتها بـ"**العلوية**".. وقد سرت إذ أرحتها من هم نفقات عودتي ولكنني في انتظار ذلك سمعت إشارة أو إشارتين بخصوص بعثة "**ليدنر**"، فإن صديقاً للسيد "**كلسي**" مط شفتيه في دهشة وصاح:

– "**لويز**" الجميلة! ثم تحول إليَّ واستطرد:

– هكذا ندعوها يا آنسة "**ليذبران**"، إنها معروفة بيننا باسم "**لويز**" الجميلة. وسألته:

– هل هي جميلة حقًا؟

– هذا هو رأيها على الأقل. .إنها تحسب نفسها كذلك. وقالت السيدة "**كلسي**" :

– كن رفيقًا بها يا "**جون**"، إنك تعرف أنها ليست وحدها التي تظن ذلك. .إن الكثيرين. .مدلهون بها.

– لعلك على حق. .إنها على شيء من الفتنة وإن كانت أسنانها كبيرة. قالت السيدة "**كلسي**" ضاحكة:

– ومع ذلك فقد كدت أن تفقد عقلك بسببها. اضطرب وجه الضابط واعترف في شيء من الارتباك:

– الحق أنها تتمتع بجاذبية كبيرة و"**ليدنر**" نفسه يعشق الأرض التي تمشي فوقها. .وجميع أعضاء البعثة مدلهون بها أيضًا. وسألته:

– وكم عددهم؟

– إنهم خليط من جميع الأجناس: مهندس معماري إنجليزي، وقسيس فرنسي من "**قرطاجة**" يهتم بالمنقوشات،والآنسة "**جونسون**" وهي إنجليزية أيضًا وتهتم بالزجاجات والقناني، ورجل قصير القامة يشتغل بالتصوير الفوتوغرافي، وهو أمريكي الجنسية، وهناك آل "**مركادو**" ولا يعرف جنسيتهما غير الله والزوجة شابة في مقتبل العمر أشبه بالحية وتكره "**لويز**" الجميلة. .هناك شابان آخران.هم في مجموعهم مجموعة غريبة من الناس لكنهم ظرفاء، وأظنك توافقني على هذا يا "**بنيمان**"؟ ونطق بالكلمات الأخيرة مخاطبًا رجلاً كهلاً كان لايفتأ يدير نظارته بين أصابعه في تفكير وأجفل حين سمع اسمه ورفع عينيه إلى محدثه وقال:

– أوه. .نعم. .إنهم قوم ظرفاء حقًا، ذلك إذا أخذنا كلاً منهم على حدة. ولكن "**مركادو**" شخص غريب الأطوار. وقالت السيدة "**كلسي**" :

– إن له لحية غريبة. .لحية مضحكة. واستطرد الرائد "**بنيمان**"...دون أن يعبأ بمقاطعتها:

- إن الشـابين ظريفـان . . .ولكن الأمـريكي عـزوف عن الكلام في حين أن الإنجليزي ثرثار، على عكس ما هو معروف عن هاتين الجنسيتين و "**ليدنر**" نفسه رجل حلو المعشر . . متواضع ومعتدل، ولكني قد أكون واهماً، فإنني في آخر مرة ذهبت لزيارتهم أحسست إحساساً غريباً بأن هناك شيئاً غير عادي ولا أدري ما هو بالتدقيق . . ولكن بدا لي أن كلا منهم ليس في حالته الطبيعية . وكان يسودهم جو التوتر ولعلي أحسن التعبير حين أقول إن كلا منهم كان يجامل الآخر أكثر من اللازم . واحمر وجهي قليلاً لأنني أكره إبداء رأيي بمثل هذه الصورة وقلت :

- إن الناس إذا ما تعرضوا للاحتكاك بعضهم ببعض هكذا فإن هذا يكون مدعاة لإثارة انفعالاتهم، وإنني أعرف ذلك من تجربتي الخاصةفي المستشفى . وقال الرائد "**كلسي**" :

- هذا صحيح . .ولكننا ما زلنا في بداية الموسم ولم يحن الوقت بعد لمثل هذه الانفعالات . فقال الرائد "**بنيمان**" :

- إن البعثة صورة مصغرة لحياتنا في المعسكر،ففيها المؤامرات والدسائس والمنافسات والغيرة . وقال الرائد "**كلسي**" :

- يبدو أنه قد انضم إلى البعثة أشخاص آخرون هذه السنة . قال الضابط وهو يعد أصابعه :

- دعني أرى . .إن "**كولمان**" الشاب جديد كذلك "**ريتر**" . . و"**إيموت**" وآل "**مركادو**" ولم يأتوا العام الماضي والأب "**لافيني**" عضو جديد هو الآخر،وقد جاء بدلاً من الدكتور "**بيرد**" الذي لم يستطع المجيء هذه السنة بسبب توعك صحته أما "**كاري**" فهو قديم وقد اشترك في البعثة مع الآنسة "**جونسون**" نحو خمس سنوات . وقال الرائد "**كلسي**" :

- كنت أعتقد أنهم يعيشون جميعًا في "**تل يارمجة**" على أتم وفاق فهم يعيشون كأفراد أسرة واحدة وهذا ما يدعو إلى الدهشة إذا نظرنا إلى الطبيعة البشرية . ولعل الآنسة "**ليذبران**" توافقني على هذا .قلت :

–حسناً. .إنك على حق. .فإن المشاجرات التي شهدتها في المستشفى كانت تبدأ من غير سبب تقريباً. .خلاف على فنجان شاي مثلاً. وقال الرائد "**بنيمان**" :

– نعم، إن تفاهة البشر تظهر عند اختلاطهم بعضهم ببعض، ولكنني مع ذلك أشعر أن هناك شيئاً أكثر من هذا الجو.ف إن "**ليدنر**" رجل ظريف معتدل غاية الاعتدال يتمتع بلباقة وحصافة كبيرتين، وقد تمكن حتى اليوم من خلق جو من السعادة والوئام بين أفراد بعثته ومع ذلك فقد شعرت بأن هناك شيئًا من التوتر بينهم في ذلك اليوم. ضحكت السيدة "**كلسي**" وقالت :

– ألم تعرف السبب مع أنه واضح لكل ذي عينين؟

– ماذا تعنين؟

– السيدة "**ليدنر**" بالطبع. وقال زوجها :

– ولكنها امرأة ظريفة يا "**ماري**" . .ليست من ذلك النوع الذي يبحث عن المتاعب.

– لم أقل إنها من النوع الذي يبحث عن المتاعب. .وإنما من النوع الذي يثيرها.

– كيف ذلك؟. .ولماذا؟

– لأنها ضجرة، يتملكها الملل فهي لا تحفل بالآثار ولا تبالي بها، وكل ما في الأمر أنها زوجة عالم من علماء الآثار. .إنها تشعر بالضجر و الملل وتبني منهما مأساتها. ويروق لها أن تبذر الشقاق بين الناس.

– "**ماري**" . . إنك تتوهمين أشياء لا وجود لها.

– إنني أتصور طبعًا ولكنك لم تلبث أن ترى أنني على حق. فإن "**لويز**" الجميلة أشبه بـ"**موناليزا**" ، ولعلها ليست سيئة القصد ولكن يروق لها أن ترى ما سوف يحدث. "**موناليزا**" ولكنها وفية لـ"**ليدنر**" مخلصة له. ولكن أوه طبعًا. . إنني لا أعني علاقات بذيئة ولكنها امرأة مثيرة.قال الرائد "**كلسي**" :

– وآه للنّساء. . ما أرقهن نحو أنفسهن!

– إنني أعرف ما تعنيه. تريد أن تقول إننا كالقطط تخدش بعضها، ولكننا في

العادة على حق في حكمنا على أنفسنا. قال الرائد "**بنيمان**" في تفكير:

– إذا افترضنا أن السيدة "**كلسي**" على حق في حكمها هذا فإن ذلك لا يبرر جو التوتر الغريب الذي يسود المكان. .وهو جو هادىء أشبه بذلك الجو الذي يسبق العاصفة. . وأشعر بأن العاصفة ستنفجر ما بين لحظة وأخرى. قالت السيدة "**كلسي**":

– لا تثر خوف الممرضة أيها الرائد فهي ستذهب إلى هناك بعد ثلاثة أيام وإذا أنت أفزعتها فستبادر بالهرب. قلت ضاحكة:

– آه. . إنني لا أخاف بمثل هذه السهولة .ومع ذلك فقد رحت أفكر في كل ما سمعته وعادت إلى ذاكرتي كلمة الأمان التي استخدمها الدكتور "**ليدنر**" في حديثه معي. هل يؤثر خوفها الغامض في أعضاء البعثة؟ أو هل التوتر السائد بين أعضاء البعثة هو الذي يؤثر في أعصابها؟

وحدثت نفسي قائلة: "حسناً. . يجب أن أنتظر ما سوف تظهره الأيام."

- 4 -

في "الحسينية"

غادرت "**بغداد**" بعد ثلاثة أيام، وقد شعرت بالأسى لفراق السيدة "**كلسي**" والطفل فقد كان هذا الأخير جميلاً يتمتع بصحة جيدة ويزداد وزنه كل أسبوع. ورافقني الرائد "**كلسي**" إلى المحطة ولم يفارقني إلا بعد أن انطلق القطار، وكان يجب أن أصل إلى "**كركوك**" في صباح اليوم التالي حيث ينتظرني بعضهم هناك، وقضيت ليلة سيئة خصوصا وأنني لا أحسن النوم في القطار زد على ذلك أن الأحلام أزعجتني، ومع ذلك فعندما نظرت من النافذة في صباح اليوم التالي، كان الجو صحواً جميلاً وأحسست بالاهتمام، والفضول فيما يتعلق بالقوم الذين سألتقي بهم. ووقفت مترددة على الرصيف وأنا أجول ببصري فيمن حولي، ولم ألبث أن رأيت شابًّا مقبلاً نحوي،وكان مستدير الوجه أعاد إلى ذاكرتي أحد

أبطال الكاتب "**ب.ج.وودهاوس**" ، وخاطبني قائلاً:

– مرحبًا..هل أنت الممرضة "**ليذبران**"؟ إن اسمي "**كولمان**" ، وقد أرسلني الدكتور "**ليدنر**" للقائك.كيف حالك؟ إنها رحلة بغيضة..فإنني أعرف هذه القطارات، ولكنك وصلت على كل حـــال..هل تناولت إفطارك؟..أهذه حقيبتك؟ إنها حقيبة صغيرة متواضعة..لدى السيدة "**ليدنر**" أربع حقائب وشنطة سفر كبيرة..إنني أتكلم كثيراً أليس كذلك؟ هلمي بنا لكي نلحق بالحافلة. وكانت تنتظرنا خارج المحطة عربة عرفت فيما بعد أنهم يطلقون عليها اسم "عربة المحطة" وتجمع بين الحافلة وسيارة النقل والسيارة العادية. وعاونني السيد "**كولمان**" على ركوبها وهو ينصحني بالبقاء بجوار السائق حتى لا أتعرض للاهتزاز كثيراً ..الاهتزاز؟..إنني لأتساءل كيف لم تتحطم تلك العربة وتتناثر في عرض الطريق؟فقد كان وعراً، عبارة عن سلسلة لا تنتهي من الحفر والمطبات جعلتني أشعر بالحنين إلى شوارع "**إنجلترا**" المبسوطة الممهدة. وانحنى السيد "**كولمان**" إلى الأمام وصرخ في أذني قائلاً:

– إن الطريق لا بأس به أليس كذلك؟ وما كاد يفرغ من قوله هذا حتى ارتفعنا من مقاعدنا وأوشكنا أن نرتطم بسقف العربة ونظرت إليه فإذا به يتكلم بكل جد، وعاد يقول:

– لا بأس بهذه الاهتزازات للكبد،وأظنك تعرفين ذلك. فقلت في لهجة لاذعة:

– وما الفائدة من تنشيط الكبد؟كدت أتعرض لأن يشج رأسي.واضطررنا بعد ذلك إلى عبور النهر في أغرب معدية وقع عليها نظري ورأى أننا بلغنا الشاطىء الآخر سالمين بمعجزة على الرغم من أن بقية الركاب لم يستغربوا ذلك إطلاقًا. وبلغنا "**الحسينية**" بعد أربع ساعات، وكم كانت دهشتي عندما رأيت أنها مدينة كبيرة. وبدت لنا من الشاطىء الآخر جميلة رائعة بمآذنها، ومع ذلك فقد اختلفت الأمور بعد أن اجتزنا الجسر ومضينا إليها رأساً فقد كانت تفوح منها رائحة كريهة، وتكاد بيوتها تنهار وتتداعى،وكثير من شوارعها موحلة قذرة.

وأخذني السيد "**كولمان**" إلى الدكتور "**ريلي**" وهويقول:

– إن الدكتور ينتظرني لتناول الغداء.وكان الدكتور "**ريلي**" رجلاً ظريفًا وبيته جميل، به غرفة استحمام،كل ما فيه جديد ونظيف، وبعد أن اغتسلت ولبست ثيابي البيضاء هبطت وأنا أشعر بالراحة والهدوء.وكان الطعام معدًّا فمضينا إلى غرفة الأكل والدكتور يعتذر عن غياب ابنته لأنها تأتي متأخرة دائمًا وكنا قد بدأنا الطعام عندما أقبلت وقدمها الدكتور "**ريلي**" إليَّ قائلاً:

– أقدّم إليك ابنتي "**شيلا**" يا آنسة "**ليذبران**" .وصافحتني الفتاة وسألتني إن كنت قد قمت برحلة طيبة ثم ألقت بقبعتها بعيداً، وأومات برأسها للسيد "**كولمان**" ثم جلست قائلة:

– حسنًا يا "**بيل**" . .كيف الحال؟ وراح يتحدث إليها عن بعض الأصدقاء الذين سيأتون إلى النادي ونظرت إليها حينئذ نظرة فاحصة. ولا أستطيع أن أقول إنها راقت لي كثيراً فقد خيِّل إليَّ أنها باردة الطبع مندفعة وإن كانت جميلة. .لها شعر أسود وعينان زرقاوان وبشرة شاحبة بعض الشيء ،وشفتان مخضبتان بالأحمر وكانت تتكلم في برود وبلهجة يشوبها التهكم لم ترق لي. .وذكرتني بفتاة كانت تعمل تحت إشرافي وتقوم بعملها على خير ما يرام وإن كانت تثير حنقي.وبدا لي أن السيد "**كولمان**" كلف بها وكان يتلعثم قليلاً. .ولم يلبث أن أصبح حديثه أكثر سخافة عن ذي قبل وذكرني بالكلب الطيب الذي يهز ذيله في محاولة للحظوة بإعجاب سيده.وبعد أن فرغنا من تناول الغداء ذهب الدكتور "**ريلي**" إلى المستشفى ومضى السيد "**كولمان**" إلى المدينة لشراء بعض الأشياء وسألتني الآنسة "**ريلي**" إن كنت أفضل البقاء بالبيت أو الذهاب إلى المدينة وقالت:

– إن السيد "**كولمان**" سيأتي لمرافقتي بعد نحو ساعة. فسألتها:

– وهل هناك ما يستحق أن أراه؟

– هناك بعض الأماكن الغريبة ولكنني لا أدري إن كان يروقك أن تريها لأنها مليئة من القذارة. وقد أحنقني قولها هذا لأنني لا أعتقد أبداً أن الغرابة أو

الطرافةيمكن أن تبرر القذارة، واصطحبتني في النهاية إلى النادي، وهو ناد جميل المنظر يطل على النهر وبه كثير من المجلات والصحف الإنجليزية، وعندما عدنا إلى البيت لم يكن السيد "**كولمان**" قد عاد بعد فجلسنا نتبادل الحديث ولكنه لم يكن حديثًا شائقًا. وسألتني إذا كنت قد التقيت بالسيدة "**ليدنر**" فأجبتها:

– كلا. ولكنني التقيت بزوجها. فقالت:

– أوه لا أدري ماذا سيكون رأيك فيها؟ ولم أنطق فاستطردت تقول:

– إنني أحب الدكتور "**ليدنر**" كثيراً والجميع يحبونه. وأدركت من قولها هذا أنها لا تحب زوجته فلزمت الصمت وعادت تقول في لهفة:

– ما أمرها؟ ألم يذكر لك الدكتور "**ليدنر**" ما تشكو ولم أشأ أن أنطق بأي شيء عن مريض لم أره بعد فقلت متهربة:

– أظن أنها تشكو بعض الإرهاق، وأنها في حاجة إلى رعاية ما. ضحكت ضحكة خشنة بغيضة وقالت:

– يا إلهي. .ألا يكفيها أن يعتني. . بها تسعة أشخاص؟ فقلت:

– أظن أن كلاً منهم لديه عمل يريد أن يفرغ منه.

– عمل؟ .إن لكل منهم عملاً طبعًا ولكن "**لويز**" أهم من كل شيء. .وهي نفسها حريصة على أن تثير اهتمامهم بها. وعندئذ زاد شعوري بأنها لا تميل إلى السيدة "**ليدنر**". واستطردت الآنسة "**ريلي**" تقول:

– مهما يكن من أمر فإنني لا أرى حاجتها إلى ممرضة محترفة، لعمري إنها في حاجة إلى صديقة أكثر منها إلى ممرضة محترفة تعتني بها وتقيس حرارتها وتجد في النهاية أنها لاتشكو شيئًا .ولم يكن هناك مفر من أن أعترف بيني وبين نفسي بأن الأمر يدعو إلى الاستغراب وسألتها:

– إذن فأنت تعتقدين أنها غير مريضة؟

– إنها ليست مريضة بالطبع فهي قوية كالثور. .إن "**لويز**" المسكينة لم تذق النوم الليلة! وهناك حلقات سوداء تحت عينيها. .وهذا صحيح. .ولكنها حلقات مرسومة بالقلم الأزرق. .رسمتها هي نفسها حول عينيها. . .لكي تلفت الأنظار

إليها، ولكي يهتم بها الجميع. كان في هذا القول شيء من الحقيقة طبعًا،فإنني مثل جميع الممرضات،احتككت ببعض مرضى الوهم الذين يروق لهم إثارة كل من في البيت في سبيل الحظوة باهتمامهم، وإذا جاء الطبيب أو الممرضة تقول لهم «ليس هناك ما تشكوه» فلن يصدقها أحد من أهل البيت،ولن يلبث أن يتملكهم السخط والغضب إلى حد كبير.ومن المحتمل طبعًا أن تنتمي السيدة "**ليدنر**" إلى هؤلاء القوم.. والزوج أول من ينخدع في مثل هذه الحالة وقد تحققت في أثناء عملي أن الأزواج سذج فيما يتعلق بالمرضى، ومع ذلك فلم يتطابق هذا مع ما سمعت من الدكتور "**ليدنر**" حين تكلم عن الأمان..وإذ عادت هذه الكلمة إلى ذاكرتي سألتها قائلة:

– هل السيدة "**ليدنر**" امرأة عصبية؟ هل تشعر بالخوف لأنها تعيش بعيداً عن كل شيء؟

– ومم تخاف؟ إن بالبيت عشرة أشخاص وهم يقومون بالحراسة بالتناوب لحراسة الآثار.أوه كلا..إنها ليست امرأة عصبية..على الأقل، وسكتت فجأة كما لو أن شيئًا قدخطر لها ثم لم تلبث أن قالت بعددقيقة أو دقيقتين:

– من الغريب أن تقولي ذلك؟

– لماذا؟

– ذهبت هناك أنا والضابط "**جرفيس**" منذ أيام، وكان ذلك في الصباح وكان أغلب أعضاء البعثة قد ذهبوا إلى مكان الحفريات. وكانت السيدة "**ليدنر**" جالسة تكتب رسالة وأظن أنها لم تسمعنا ونحن ندخل ولم يكن الخادم موجوداً فمضينا إلى الشرفة رأسًا.ورأت خيال الضابط على الحائط فصرخت وقد اعتذرت بعد ذلك طبعًا وقالت إنها اعتقدت أن رجلاً غريبًا دخل البيت وهذا في حد ذاته أمر غريب..وحتى لو أن رجلاً غريبًا تسلل إلى البيت فلماذا يتملكها الخوف هكذا؟ وأمسكت الآنسة "**ريلي**" لحظة ثم انفجرت قائلة:

– لا أدري ماذا أصاب القوم هذه السنة! إنّهم خائفون..إن الآنسة "**جونسون**" يتملّكها الاكتئاب ولا تنطق بكلمة، و"**دافيد**" لا يتكلم إلا إذا لم يكن هناك

مناص من ذلك، أما "**بيل**" فلا يكف عن الكلام. ولكن حديثه يحدث أسوأ الأثر في نفوس الآخرين و "**كاري**" يتصرف كما لو كان يخشى أن يقع في الفخ في أية لحظة والجميع يتوجسون خيفة كما لو كانوا.. لا أدري ماذا أقول.. ولكن أمرهم يبعث على الاستغراب حقًّا. وبدا لي أن من الغريب أن يخطر للرائد "**بنيمان**" والآنسة " **ريلي**" الإحساس نفسه في الوقت نفسه، ودخل السيد "**كولمان**" في هذه اللحظة كالعاصفة وهو يقول:

– مرحبًا. هأنذا هل أريت الآنسة "**ليذبران**" طرائف المدينة؟ أجابت الآنسة "**ريلي**" في جفاء:

– إنها لم تشعر بأي ميل إلى ذلك. قال "**كولمان**" ضاحكًا:

– إنني لا ألومها على ذلك فالمدينة ليست أكثر من كومة من الأطلال والخرائب.

– إنك لست ميالاً إلى الآثار أو إلى المباني القديمة يا "**بيل**" ولا أدري لماذا اخترت هذه المهنة.

– لا تلوميني على هذا وإنما وجهي لومك إلى الوصي الذي أقاموه عليَّ فهو عالم آثار حقيقي. قالت الفتاة في حدة:

– أظن أنها حماقة كبيرة منك أن تضطر إلى مزاولة مهنة لا تروقك.

– لست مضطرًّا إلى ذلك أبدًا يا صديقتي العزيزة. لقد سألني الرجل العزيز إذا كانت هناك مهنة خاصة يروقني أن أزاولها فلما أجبته بالنفي عمل على أن أقضي هذا الموسم هنا.

– ولكن ألا تفكر في مزاولة أي عمل آخر؟ من الضروري أن تكون لك غاية ما.

– إن لي غاية طبعًا هي أن أتحرر من كل عمل وأن أملك الكثير من المال وأن أشترك في سباق السيارات. قالت الآنسة "**ريلي**" محنقة:

– ما أسخف هذا! وقال السيد "**كولمان**" ضاحكًا:

– أوه! أعلم ذلك ولكن إذا اضطررت إلى الاشتغال بأي عمل فلن يهمني ما

يكون طالما أنني لا أبقى جالساً أمام مكتب طوال النهار، وقد راقني أن أشاهد بعض بلاد العالم ولهذا قبلت الانضمام إلى هذه البعثة.

– ولا ريب في أنّك تؤدي خدمات تافهة هناك؟

– إنك مخطئة في هذا يا عزيزتي، فإنني أستطيع أن أحث عمال الحفر حتى لا يتملكهم الكسل وأستطيع أن أنقل الرسومات، وكنت بارعًا في تقليد الخطوط ، وأنا في المدرسة ولو شئت لأصبحت مزيفًا بارعًا، وإذا حدث ورأيتني ذات يوم أسوق سيارة "**رولز رويس**" وأنت واقفة تنتظرين الأتوبيس فاعلمي عندئذ أنني سلكت طريق الجريمة. .قاطعته الآنسة "**ريلي**" قائلة في برود:

– ألا ترى أنه من الأوفق أن تنطلق الآن بدلاً من أن تضيع الوقت في مثل هذه الثرثرة؟

– أرأيت كرم الضيافة يا آنسة "**ليذبران**" ؟

– إنني واثقة بأن الآنسة "**ليذبران**" تتعجل الرحيل. قال السيد "**كولمان**" مكشراً:

– إنك واثقة دائمًا بكل شيء. وقلت في جفاء:

– لعل من الأوفق أن نمضي الآن يا سيد "**كولمان**" . وضغطت على يد الآنسة "**ريلي**" وشكرتها ثم انصرفنا. وقال السيد "**كولمان**" :

– إن "**شيلا**" فتاة جميلة جداً ولكن يطيب لها مداعبة الجميع. وغادرنا المدينة وانطلقنا في طريق وعر مملوء من الأخاديد بين مزرعتين وبعد نحو نصف الساعة أشار السيد "**كولمان**" إلى هضبة كبيرة تشرف على النهر قائلاً:

– "**تل يارمجة**" . . ورأيت أشكالاً صغيرة سوداء تتحرك هنا وهناك كالنمل وفيما كنت أنظر إليهم بدأوا يهبطون التل فقال السيد "**كولمان**" :

– لقد فرغوا من العمل الآن. .إن العمل ينتهي قبل غروب الشمس بساعة وكان البيت الذي تقيم فيه البعثة يقع على مسافة يسيرة من النهر.وانعطف السائق إلى اليمين وانطلق تحت قنطرة ضيقة ولم نلبث أن بلغنا البيت وهو قائم حول مساحة كبيرة، وقد أقيم في البداية في الناحية الجنوبية من الساحة ثم

ضمت إليه بعض الملحقات في الناحية الشرقية وأتمت البعثة بناء الناحيتين الأخريين. .وكل الغرف تشرف أبوابها ونوافذها على الساحة فيما عدا غرف الناحية الجنوبية فقد كانت مزودة بنوافذ أخرى تطل على الريف .وهذه النوافذ الأخيرة مزودة بقضبان حديدية وفي الزاوية الجنوبية الغربية يقوم السلم، وهو يؤدي إلى سطح له سور أعلى منه في الناحية الجنوبية من النواحي الثلاث الأخرى، ومضى بي السيد "**كولمان**" إلى الناحية الشرقية وسرنا بمحاذاتها حتى بلغنا باباً يقع في منتصف الناحية الجنوبية، ودفعه ودخلنا إلى غرفة كبيرة يجلس فيها أشخاص كثيرون حول مائدة الشاي وقال:

– صباح الخير. .أقدّم إليكم الآنسة "**ليذبران**" الممرضة. ونهضت السيدة الجالسة في صدر المائدة وأقبلت نحوي.

وهكذا رأيت "**لويز**" لأول مرة.

- 5 -

أعترف أن رؤية السيدة "**ليدنر**" أثارت دهشتي إلى حد كبير، فإن الإنسان عندما يسمع عن شخص ما يرسم في مخيلته عادة صورة طبقًا لما سمعه،وقد توهمت السيدة "**ليدنر**"امرأة سمراء شرسة الطبع عصبية إلى أبعد حد كما توقعت صراحة أن أرى أمامي امرأة مبتذلة شيئًا ما،ولكنها كانت على غير ماتصورتها في الواقع. .

وأبدأ فأقول: إنّها كانت شقراء،لم تكن سويدية الجنسية كزوجها ولكن كان من يراها يظن أنها كذلك،كانت من أصل اسكندنافي ولم تكن في ريعان الصبا .كانت بين الثلاثين والأربعين ينطق وجهها بالقلق،ظهر المشيب ببعض شعيراتها، لها عينان واسعتان بنفسجيتان لم أر مثيلاً لهما في حياتي، وكانت نحيلة القوام رقيقة هشة، وإذا قلت إنه كان يبدو عليها الإرهاق الشديد وإنها كانت تتقد نشاطًا وحيوية في الوقت نفسه، فإن قولي هذا يبدو متناقضًا ومع ذلك فهذا هو الإحساس الذي أحسست به كما أحسست كذلك بأنها سيدة

بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وبسطت يدها إليَّ وهي تبتسم وقالت في صوت خافت ناعم تشوبه لكنة أمريكية:

– يسرني أنك أقبلت يا آنسة "**ليذبران**"، هل لك في فنجان من الشاي؟ أو لعلك تفضلين الذهاب إلى غرفتك أولاً؟ أجبتها أني أوثر أن أتناول فنجانًا من الشاي فقدمتني إلى الجالسين حول المائدة قائلة:

– هذه الآنسة "**جونسون**".. وهذا السيد "**ريتر**".. والسيدة "**مركادو**"، والسيد "**إيموت**" والأب "**لافيني**"، وسيأتي زوجي بعد لحظة. اجلسي هنا بين الأب "**لافيني**" والآنسة "**جونسون**". وجلست كما قيل لي وراحت الآنسة "**جونسون**" تتحدث إليَّ فسألتني عن رحلتي وعن أحوالي، وقد شعرت بالميل إليها لأنها ذكرتني برئيسة للممرضات في أول عهدي بمهنة التمريض أحببناها جميعًا وكنا نتفانى في خدمتها. كانت تخطو نحو الخمسين، وكانت تشبه الرجال إلى حد بعيد، ذات شعر رمادي قصير، وصوت خشن قوي النبرات، يروق المرء سماعه. وكانت دميمة الوجه لها أنف مضحك اعتادت أن تدعكه كلما أحست بالارتباك أو الحيرة، وكانت ترتدي جاكيت من التويد وقميصًا فكانت تبدو أشبه بالرجل وقالت لي إنها من أهالي "**يوركشير**". أما الأب "**لافيني**" فقد أثار خوفي شيئًا ما. فقد كان طويلاً ذا لحية كثة سوداء يلبس نظارة أنيقة وكنت قد سمعت السيدة "**كلسي**" تقول "إن بالبعثة قسيسًا فرنسيًّا"، وقد رأيت الآن أن الأب "**لافيني**" كان يرتدي ثوبًا أبيض مما يلبسه الرهبان، وقد أدهشني ذلك لأني كنت أعرف أن الرهبان يدخلون الدير ولا يفارقونه أبدًا. وكانت السيدة "**ليدنر**" تتحدث إليه في أغلب الأحيان باللغة الفرنسية أما هو فقد تحدث إليَّ بإنجليزية سليمة.. وقد لاحظت أن له عينين حادتين ثاقبتين تنقلان من شخص إلى آخر. وكان يجلس أمامي ثلاثة أشخاص.. السيد "**ريتر**"، وهو شاب أشقر بدين يلبس نظارة وله شعر مجعد طويل وعينان زرقاوان مستديرتان، ولا ريب في أنه كان طفلاً جميلاً وهو صغير. أما الآن فلا يتمتع بأية سمة من سمات الجمال وإنما كان يبدو كالخنزير إذا

توخينا الحق. أما الآخر فشاب قصير الشعر ذو وجه طويل وأسنان جميلة يبدو وسيمًا جداً عندما يبتسم، لا يتكلم كثيراً وإنما يكتفي بأن يهز رأسه إذا ما وجه إليه الحديث، أو يرد بكلمة أو بكلمتين لا أكثر وهو أمريكي الجنسية كالسيد "**ريتر**". ولم يكن الشخص الثالث غير السيدة "**مركادو**"، ولم أستطع أن ألقي إليها نظرة خاصة لأنني كنت كلما نظرت إليها أراها تحملق إليّ بعينين واسعتين متعاليتين بصورة أثارت حيرتي.. كما لو أنها تعتبر الممرضة حيوانًا غريبًا وليست من البشر مثلها. كانت طريقتها بعيدة عن التهذيب. وكانت في ريعان الشباب، ولم تتجاوز الخامسة والعشرين من العمر، سمراء جميلة، وإن كان في وجهها بعض النمش، ترتدي "**بلوز**" فاتح اللون وتطلي أظافرها باللّون نفسه، ولها وجه صغير وعينان واسعتان وشفتان متوترتان متشككتان، وكان الشاي لذيذاً طيب النكهة ويختلف عن ذلك الشاي الصيني الخفيف الذي اعتادت السيدة "**كلسي**" تقديمه لي والذي كنت أجد مشقة كبيرة في احتسائه. وقد جيء لنا مع الشاي ببعض البسكويت والمربى، وشملني السيد "**إيموت**" برعايته وحرص على أن يملأ طبقي من الحلوى كلما فرغ منها، وجلس السيد "**كولمان**" بجوار الآنسة "**جونسون**" ولم ينقطع عن الثرثرة كعادته، وتنهدت السيدة "**ليدنر**" وألقت إليه نظرة متعبة ولكنه لم يكف عن ثرثرته مع ذلك على الرغم من أن السيدة "**مركادو**" التي كان يوجه إليها الحديث لم تول حديثه أذنًا مصغية وأولت كل اهتمامها لمراقبتي أنا بالذات. وبعد أن فرغنا من تناول الشاي أقبل الدكتور "**ليدنر**" والسيد "**مركادو**" وصافحني الدكتور برقته المعهودة ولاحظت أنه أسرع ينظر إلى زوجته في قلق وبدا لي أنه أحس بالارتياح عندما رآها هادئة.. ومضى فجلس في الناحية الأخرى من المائدة في حين جلس السيد "**مركادو**" في المقعد الشاغر بجوار السيد "**ليدنر**". وكان هذا الأخير طويل القامة نحيف الجسم حزينًا أكبر سنًّا بكثير من زوجته، شاحب الوجه وله لحية غريبة مشوهة وقد سررت لمجيئه؛ لأن زوجته كفت عن التحديق إليّ وحوّلت اهتمامها إليه وراحت تحدّق إليه بطريقة غريبة وراح هو يقلب الشاي بملعقته في

شرود دون أن ينطق بشيء. وبقي مقعد شاغر ولكن لم يلبث أن فتح الباب رجل آخر. وما إن وقعت عيناي على "**ريتشارد**" حتى أدركت أنه أجمل رجل رأيته في حياتي، ومع ذلك فقد تساءلت ربما أكون فريسة وهم، فعلى الرغم من أنه كان جميلاً وسيماً إلا أن رأسه كان أشبه برأس رجل ميت فقد كان يبدو أن جلد وجهه كان مشدوداً على العظام بحيث يخيّل إلى من يراه أنه يوشك أن ينقطع ومع ذلك فقد كانت عظامه شديدة الجمال وكان باستدارة فكيه ووجنتيه وجبينه يبدو كتمثال من البرنز تومض في وجهه الأسمر عينان براقتان زرقاوان واسعتان. وكان يبلغ من الطول نحو ١٨٠ سنتيمتراً ويخطو نحو الأربعين. وقال الدكتور "**ليدنر**":

– أقدم إليك السيد "**كاري**" مهندسنا المعماري يا آنسة "**ليذبران**". وتمتم الشاب ببضع كلمات في صوت منخفض ثم جلس السيد "**مركادو**". وقالت السيدة "**ليدنر**":

– أخشى أن يكون الشاي قد برد قليلاً يا سيد "**كاري**". فقال:

– أوه! لا بأس يا سيدة "**ليدنر**". إن الذنب ذنبي إذا كنت قد تأخرت فقد أردت أن أفرغ من إعادة بناء هذه الجدران. وسألته السيدة "**مركادو**":

– هل تريد بعض المربى يا سيد "**كاري**"؟ وناوله السيد "**ريتر**" طبق البسكويت. وتذكرت عندئذ قول الرائد "**بنيمان**" «إن كلا منهم يجامل الآخر أكثر من اللازم». نعم كان في مجاملتهم المفرطة شيء غريب حقًّا. كان يبدو أنهم جماعة من الأغراب على الرغم من أنهم يعرف بعضهم بعضًا منذ سنوات عديدة.

*****

- 6 -

الليلة الأولى

بعد أن فرغنا من تناول الشاي مضت بي السيدة "**ليدنر**" إلى غرفتي ولعل من الأوفق أن اذكر الآن وصفًا وجيزًا لترتيب الغرف ، وهو وصف بسيط فعلى جانبي الشرفة بابان يؤديان إلى الغرفتين الرئيسيتين بالبيت . . ويؤدي الباب الذي على اليمين إلى غرفة الطعام حيث تناولنا الشاي ، بينما يؤدي الباب الذي على اليسار إلى غرفة مشابهة سأدعوها غرفة المعيشة ، وتستخدم كغرفة استقبال أحيانًا وأحيانًا للعمل فيمارسون فيها أعمال الرسم وتجميع قطع الأثاث الرقيقة القابلة للكسر ، وتفضي هذه الغرفة إلى غرفة الآثار حيث توضع القطع التي يتم العثور عليها في الحفريات ، وهي توضع إما على الرفوف أو في صناديق أو على المقاعد والمناضد، وليس لهذه الغرفة أي باب آخر غير الباب الذي يؤدي إليها من غرفة المعيشة. وبجوار غرفة الآثار تقع غرفة السيد "**ليدنر**" ، وهي غرفة بها باب يطل على الفناء ولها كما لباقي الغرف التي تقع في هذا الجانب نافذتان تطلان على الحقول مزودتان بقضبان حديدية ، وتقع بعدها ، في الناحية الشرقية من البيت غرفة السيدة "**ليدنر**" وهي غرفة مستقلة لها باب في الفناء وتأتي بعدها غرفتي أنا ، أما الغرفة التي تليها فهي غرفة الآنسة "**جونسون**" وتليها مباشرة غرفة السيدة "**مركادو**" وتليها غرفة زوجها وهناك بعد هذه الغرفة الأخيرة وفي الجانب الشرقي نفسه غرفتان للاستحمام ، وهذا الجناح الشرقي للبيت شيده الدكتور "**ليدنر**" وضمه إلى المبنى الأصلي ، وغرف النوم كلها متشابهة ولكل منها نافذة وباب يؤديان إلى الفناء ، أما الجناح الشمالي فتقع به غرفة الرسم والمعمل وغرفة التصوير . وإذا عدنا إلى الشرفة وجدنا أن تصميم الغرف في الجناح الآخر هو التصميم نفسه في الجناح الأول ، فهناك غرفة الطعام بها باب يفضي إلى غرفة المكتب ويحتفظون في هذه الغرفة الأخيرة بالملفات، ويقومون

فيها بالأعمال الكتابية ، وتقع بعدها غرفة الأب "**لافيني**" ، وهي غرفة مشابهة لغرفة السيدة "**ليدنر**" ، ولكنها أكبر منها،وقد خصصت له لاستخدامها للنوم ولترجمة رموز اللوحات، وفي الناحية الجنوبية الغربية يقع الدرج الذي يؤدي إلى السطوح وتقع بعده غرفة المطبخ ثم أربع غرف صغيرة للنوم يشغلها الرجال الأربعة: "**كاري**" و "**إيموت**" و "**ريتر**" و "**كولمان**" . وفي الناحية الشمالية الغربية تقع غرفة التصوير وملحق بها غرفة صغيرة للتحميض تعرف باسم الغرفة السوداء ويقع المعمل بعدها ويليه الباب الذي دخلنا منه، وفي الخارج تقع غرف نوم الخدم والشرطة والإسطبلات .أما غرفة الرسم فتقع على يمين الباب العمومي وتشغل بقية الجناح الشرقي، وقد عرضت هذا الوصف المفصل للبيت لأنني لا أريد أن أعود إلى هذا الموضوع فيما بعد .وكما سبق أن ذكرت أخذتني السيدة "**ليدنر**" بنفسها وطافت بي بالبيت، ثم صحبتني في النهاية إلى غرفتي قائلة إنها تأمل أن أجدها مريحة وأن أجد فيها كل ما أريد . وكانت الغرفة جميلة وإن كانت بسيطة الأثاث.. بها فراش ومنضدة ذات أدراج وطاولة صغيرة للزينة ومقعد . وأضافت السيدة "**ليدنر**" :

– سيأتيك الخدم بالماء الساخن قبل الغداء والعشاء وكل صباح طبعًا .وإذا أردت ماء ساخنًا في أي وقت آخر فما عليك إلا أن تصفقي فيسرع الخادم إليك.. ويمكنك أن تطلبي إليه كل ما تريدين ، ولمست السيدة "**ليدنر**" وعاء الماء والطشت في شرود ثم رفعت "الصبانة" من مكانها قليلاً وقالت:

– أرجو أن تكوني سعيدة هنا وألاّ تشعري بأيٍّ ملل. قلت:

– بالتأكيد لن أشعر بالملل وسأكون سعيدة فالحياة قصيرة . ولم تنطق واستمرت تعبث بالصبانة في شرود وفجأة نظرت إليّ مليًّا بعينيها البنفسجيتين وقالت:

– ماذا قال لك زوجي ؟لجأت إلى الرد المألوف في مثل هذه الحالة فقلت:

– فهمت منه أنك متعبة يا سيدة "**ليدنر**"وأنك في حاجة إلى من يعتني بك وينسيك متاعبك. حنت رأسها في بطء وتفكير وقالت:

– نعم، إني في حاجة إلى من يعتني بي حقًّا .بدا لي هذا الرد غامضًا ولكنني لم أشأ سؤالها واكتفيت بأن قلت:

– أرجو أن تدعيني أساعدك في أي شأن من شؤون البيت .ابتسمت قليلاً وقالت:

– شكراً لك. ثم جلست على حافة الفراش .ولاتسل عن دهشتي الشديدة عندما راحت تلقي عليَّ الأسئلة الدقيقة في كل ما يتعلق بي. .وأقول دهشتي الشديدة لأنه ما إن وقع بصري عليها حتى أدركت على الفور أنها سيدة بمعنى الكلمة، وأن من النادر أن تبدي سيدة مثلها مثل هذا الفضول فيما يتعلق بحياة الغير الخاصة. بيد أن السيدة "**ليدنر**" بدت شديدة اللهفة لكي تعرف عني كل شيء. .أين تمرنت ومنذ متى وأنا أمارس مهنتي هذه وما الذي أتى بي إلى الشرق وكيف أوصى بي الدكتور "**ريلي**" بل إنها سألتني إن كنت قد أقمت بـ "**أمريكا**" أو إن لم يكن لي بعض المعارف هناك .وألقت عليّ سؤالين أو ثلاثة لم يبد لها معنى في ذلك الوقت ولكن لم ألبث أن اكتشفت معناها فيما بعد. ولم تلبث أن تغيرت لهجتها فجأة. .وابتسمت ابتسامة كبيرة وأكدت لي بلهجة رقيقة أنها مسرورة جداً لمجيئي وأنها واثقة بأنني سأكون خير عون لها. ونهضت واقفة وهي تقول:

– هل تريدين أن تأتي معي إلى السطح لمشاهدة غروب الشمس؟ إنه منظر جميل جداً في هذه الساعة .وقبلت عن طيب خاطر. .وسألتني ونحن نصعد إلى السطح:

– هل كان هناك مسافرون كثيرون في قطار "**بغداد**"؟. .هل كان بينهم رجال؟ أجبتها بأني لم ألحظ شيئًا بالذات فيما عدا رجلين من الفرنسيين رأيتهما في قاعة الطعام وثلاثة رجال آخرين أدركت من حديثهم أنهم يعملون في شركة للبترول .هزت رأسها وأفلتت من بين شفتيها تنهيدة تدل على الارتياح .ومضينا إلى السطح معًا .كانت السيدة "**مركادو**" هناك،وهي جالسة فوق الحاجز. .وكان الدكتور "**ليدنر**" منحنيًا فوق بعض قطع من الفخار المكسور موضوعة

أمامه.وكانت هناك أحجار ضخمة كبيرة قال إنها عبارة عن مطاحن يدوية ومدقات وفؤوس.كما كانت هناك أجزاء من الخزف منقوش عليها رسومات غريبة لم يسبق لي أن رأيت مثلها.وقالت السيدة "**مركادو**" :

– تعالي هنا..أرأيت أجمل من هذا المنظر؟ كان غروب الشمس جميلاً حقاً.وبدت لي مدينة "**الحسينية**" في ضوء الشمس الغاربةكمدينة ساحرة خلف نهر "**دجلة** "الذي يمتد وسطها ويبدو كنهر من الأحلام.وقالت السيدة "**ليدنر**" :

– أليس منظرًا جميلاً يا "**أريك**" ؟ رفع الدكتور رأسه ونظر بعينين شاردتين ثم قال في غير اكتراث:

– إنه جميل..جميل جداً.. ثم عاد إلى عمله.ابتسمت السيدة "**ليدنر**"وقالت:

– إن علماء الآثار لا يهتمون إلا بما يوجد تحت أقدامهم ولا وجود للسماء بالنسبة إليهم. قهقهت السيدة "**مركادو**" وقالت:

– إنهم أناس غريبو الأطوار جداً..سوف تدركين ذلك سريعًا أيتها الممرضة. وسكتت لحظة ثم أردفت:

– نحن جميعًا سعداء بقدومك، فقد كنا شديدي الجزع على عزيزتنا السيدة "**ليدنر**" .أليس كذلك يا "**لويز**" ؟

– أحقا؟ وكان صوتها لايدل على الاقتناع، ومع ذلك فقد استطردت السيدة "**مركادو**" تقول:

– أوه، نعم..إنها كانت مريضة جداً أيتها الممرضة..كانت فريسة لكل أنواع الذعر والهلع..وكان كل من يراها يقول إنها عبارة عن كتلة من الأعصاب.من رأيي أنه لا يمكن أن يكون هناك أسوأ من الأعصاب فهي قلب الإنسان ومركزه، أليس كذلك؟ وقلت في نفسي "ياللتملق ! "وقالت السيدة "**ليدنر**" في جفاء:

– حسنًا يمكنك أن تطمئني عليّ الآن فإن الممرضة ستعتني بي.وقلت في ابتهاج:

– طبعًا.قالت السيدة "**مركادو**":

– إنني واثقة بذلك، كان من رأينا جميعًا أن تستشيري طبيبًا أو تفعلي أي شيء، فإن أعصابك كانت محطمة، أليس كذلك يا عزيزتي "**لويز**"؟ فقالت السيدة "**ليدنر**":

– بلى، إلى حد أن أعصابك أنت أوشكت أن تثور،ولكن لنتكلم الآن عن أي شيء آخر غير مرضي التافه.وفهمت عندئذ أن السيدة "**ليدنر**" كانت من ذلك النوع من النساء الذي يخلق له أعداءً بسهولة.كان في صوتها خشونة – ولست ألومها على ذلك – جعلت الدم يصعد إلى وجنتي السيدة "**مركادو**" الشاحبتين، وتمتمت هذه الأخيرة ببعض الكلمات ولكن السيدة "**ليدنر**" كانت قد نهضت ولحقت بزوجها في الناحية الأخرى من السطح، ولا أعتقد أنه أحس بها إلا عندما ألقت يدها على كتفه، فقد رفع رأسه سريعًا ونظر إليها مستفهمًا في ود وحب كبيرين.وهزت زوجته رأسها في رفق وتأبطت ذراعه ومضت به حتى السلم وهبطا معًا.وقالت السيدة "**مركادو**":

– إنه يوليها كل اهتمامه.فقلت:

– نعم..وهذا شيء جميل.نظرت إليّ نظرة فاحصة وقالت وهي تخفت من صوتها:

– ما علتها كما ترين أيتها الممرِّضة؟

– أوه! لاأظن أن بها أي شيء..لاريب في أنها تعاني إرهاقًا شديدًا. تفرست في وجهي كما فعلت في أثناء تناول الشاي وقالت:

– هل تعنين بمرضى الأعصاب؟

– أوه !كلا..ولكن لم هذا السؤال؟ لزمت الصمت لحظة ثم قالت:

– هل تعرفين أنها غريبة الأطوار إلى حد كبير؟ ألم يقل لك الدكتور "**ليدنر**" ذلك؟ وأنا لا أهتم بالشائعات التي تدور حول المرضى الذين أعتني بهم ثم إن تجاربي علمتني أن من العسير أحيانًا انتزاع الحقيقة من الأهل والأقارب مالم يعرفها المرء من المرضى الذين يعتني بهم فإنه يتخبط في أغلب الأحيان ويعمل

في الظلام ومن المعروف طبعًا أنه إذا كان هناك طبيب يعتني بالمرضى فإن الحال يتغير ؛ لأنه لن يلبث أن يزودك هونفسه بالتعليمات اللازمة. .ولكن في هذه الحالة بالذات لم يكن هناك طبيب معالج ولم يستشر الدكتور "**ريلي**" أحدا ولاأستطيع التأكيد بأن الدكتور "**ليدنر**" قد أطلعني على كل ما يعرفه فيما يتعلق بزوجته، وغالبًا ما يكون الزوج متحفظًا بغريزته، ولا يمكن إلا تهنئته على ذلك. ومع ذلك فإنني كلما عرفت المزيد تمكنت من التصرف بما فيه صالح مريضتي وكانت السيدة "**مركادو**" تلك المرأة النمامة متلهفة مشوقة الحديث .ومن ناحيتي سواء من الناحية العلمية أو الناحية الإنسانية فقد أردت أن أعرف ما لديها ويمكنك أن تتهمني بالفضول إذا شئت .قلت :

– يبدو أن السيدة "**ليدنر**" لم تكن في حالة طبيعية في الأيام الأخيرة .ضحكت السيدة "**مركادو**" ضحكة بغيضة وقالت :

– طبيعية . .أوه . . كلا .إنها أفزعتنا كل الفزع فهي تقول إنها سمعت ذات ليلة أصابع تدق على نافذتها، وإنها رأت في ليلة أخرى يدًا من غير ذراع من خلال النافذة، ثم قالت أخيرًا إنها رأت وجهًا أصفر ملتصقا بزجاج النافذة وإنه اختفى حين أسرعت وفتحتها ولم تجد شيئًا . .أليس في كل هذا ما يدعوإلى الخوف؟ قلت :

– لعل بعضهم يمزح معها .

– أوه كلا . .إنها توهمت كل هذا .ثم إنه منذ ثلاثة أيام وفي أثناء تناولنا طعام العشاء كان بعضهم يطلق الرصاص في القرية على بعد نحو 1600 متر منا فهبت واقفة تصرخ، وأفزعتنا جميعًا وقد أسرع الدكتور "**ليدنر**" إليها وتصرف معها تصرفًا غريبًا فقد قال: ليس هناك أي شيء يا عزيزتي" ، وظل يردد هذه العبارة. وأظنك تعلمين – أيتها الممرضة – أن الرجال يشجعون النساء على مثل هذا النوع من الهستيريا وهذا أمر يرثى له، فلا يجب أن يشجع المرء الأوهام .

– طبعًا . .هذا إذا كان الأمر يتعلق بأوهام حقًا .

– وماذا يمكن أن يكون غير هذا ؟ لم أجب لأني لم أعرف ماذا أقول . . كانت

قصة غريبة. . كانت طلقات الرصاص والصرخات أمرًا طبيعيًا لمن يعاني مرض الأعصاب، ولكن تلك القصة الغريبة عن يد بدون ذراع ووجه أصفر كانت شيئًا مختلفًا، فقد بدا الأمر كمالو كان أحد شيئين: إما أن تكون السيدة "**ليدنر**" قد اختلقت هذه القصة من أساسها تمامًا كالطفل الذي يكذب لكي يكون موضع الاهتمام، وإما أن تكون - كما سبق أن قلت - مزحة مقصودة صدرت من شخص ينقصه الخيال كالسيد "**كولمان**" مثلاً وعقدت النية على أن أراقب هذا الأخير مراقبة دقيقة. فإن مثل هذه المزحة الثقيلة يمكن أن تؤدي بشخص مريض بالأعصاب إلى الجنون. قالت السيدة "**مركادو**" وهي تنظر إليَّ من طرف عينيها:

- إنها امرأة خيالية أيتها الممرضة، أليس هذا رأيك؟ من هذا النوع من النساء اللائي تقع لهن أشياء كثيرة؟

- حسنًا. . إن زوجها الأول قتل في أثناء الحرب ولما تتجاوز العشرين بعد، وأظن أن هذا وحده أمر مثير وورومنتيكي أيتها الممرضة.

- لا أرى فيه أية رومنتيكية فإن كثيرات غيرها فقدن أزواجهن في أثناء الحرب. وكان الليل قد نشر ظلاله فعرضت عليَّ السيدة "**مركادو**" أن تهبط فوافقت وسألتني إذا كنت أريد أن أرى المعمل وأردفت:

- وسيكون زوجي هناك. . يزاول عمله. ومضت بي إلى غرفة يضيئها مصباح ولكنها كانت خيالية. . وأرتني السيدة "**مركادو**" أجهزة فوقها تحف نحاسية تخضع لعلاج كيميائي خاص وعظام تكسوها طبقة من الشمع وصاحت:

- أين ذهب "**جوزيف**"؟ وألقت نظرة في غرفة المهندسين حيث كان "**كاري**" يزاول الرسم، ورفع عينيه عند دخولنا ثم عكف على عمله من جديد. ودهشت لأمارات الإرهاق الشديد البادية على ملامحه وخطر بذهني خاطر أن هذا الرجل في خاتمة المطاف لن يعيش طويلاً، وتذكرت أن شخصا آخر قد أبدى هذا الرأي نفسه بشأنه. وفيما نحن خارجون التفت لكي أنظر

إليه مرة أخرى، كان منحنيًا فوق أوراقه وقد ضم شفتيه بشدة وبدا كما لو كان رجلا ميتا لفرط بروز عظام وجنتيه، ولعل ذلك مجرد وهم مني ولكنه بدا لي وهو في هذه الصورة كما لو كان فارسًا من فرسان العصور الوسطى ينطلق إلى الحرب وهو واثق بأنه سيلقى حتفه في ميدان القتال، ووجدنا السيد "**مركادو**" في غرفة المعيشة، وكان يتحدث إلى السيدة "**ليدنر**" عن طريقة جديدة لحفظ الآثار وكانت جالسة فوق مقعد له مسند طويل وتقوم بتطريز بعض الزهور فوق قطعة من القماش الأملس، ودهشت على الفور لفرط رقتها فقد خيل إليّ عندئذ أنها مخلوقة من نار وليست من لحم ودم. وصاحت السيدة "**مركادو**" في صوت حاد مرتفع:

– آه.. أأنت هنا يا "**جوزيف**"؟ حسبت أننا سنجدك في المعمل. أجفل السيد "**مركادو**" وبدا عليه الارتباك، وتمتم:

– إني.. يجب أن أنصرف الآن.. إني بلغت نصف.. نصف.. ولم يتم قوله ومضى إلى الباب. وقالت السيدة "**ليدنر**" بصوتها الرقيق العذب:

– يجب أن تكمل لي هذه القصة في وقت آخر.. فهي مشوقة جدًا. وتأملتنا في ابتسامة حلوة متهربة ثم استأنفت تطريزها. وقالت بعد لحظة:

– إن لدينا مجموعة من الكتب أيتها الممرضة.. ولك أن تختاري منها ما تشائين وأن تجلسي معنا. ومضت إلى الرف، أما السيدة "**مركادو**" فوقفت لحظة ثم تحولت فجأة وانصرفت. وفيما هي تمر أمامي لحظت أنها متوترة الملامح وأنها تكاد تنفجر من الغضب. وتذكرت على الرغم مني بضع نقاط أشارت الآنسة "**كلسي**" إليها وتتعلق بالسيدة "**ليدنر**" ولا أميل إلى تصديقها لأني أحببت السيدة "**ليدنر**" ولكنني تساءلت مع ذلك ربما لا تكون في هذه النقاط ذرة من الحقيقة. ولا يمكن أن نلوم السيدة "**ليدنر**" على ذلك، ولكن الحقيقة أن السيدة "**جونسون**" العجوز الدميمة والسيدة "**مركادو**" السريعة الغضب لا تستطيعان احتمالها ويغيران منها كل الغيرة. ومهما يكن من أمر فالرجال رجال وقد رأيت مثل هذه المتناقضات

أكثر من مرة في حياتي العملية، وكان "**مركادو**" رجلاً كغيره ولا أظن أن السيدة "**ليدنر**" كانت توليه أي اهتمام ولكن زوجته كانت تحبه، وإذا لم أخطىء فإنها نظرت إلى الأمر بصورة خاطئة وأعتقد الآن أنها ما كانت لتتردد عن الإضرار بالسيدة "**ليدنر**" وإيذائها لو أنها استطاعت. رحت أنظر إلى السيدة "**ليدنر**" وهي تزاول تطريزها في هدوء غير مدركة ما يدور حولها. وأحسست أنه يجب أن أحذرها ورأيت أنها قد تجهل ماذا تفعل الغيرة والحقد بالمرأة وأنه يكفي أقل القليل لكي يتأجج سعير هذه الغيرة بحيث لاتبقي ولا تذر. ولكنني لم ألبث أن قلت لنفسي: "ما أغباك يا "**آمي ليذبران**" ! إن السيدة "**ليدنر**" ليست ساذجة. . وهي تقرب من الأربعين ولا ريب أنها عركت الحياة بمرها وحلوها" . وجلست إلى جوارها ومعي كتاب. وبعد فترة ذهبت لكي أغسل يديَّ قبل تناول طعام العشاء. وكان الطعام لذيذاً. وأوى الجميع إلى أسرَّتهم في وقت مبكر، وقد شعرت بالارتياح لذلك فقد أوشكت أن أقع لفرط التعب. ورافقني الدكتور "**ليدنر**" إلى غرفتي وسألني إن كان ينقصني شيء ثم شد على يدي وقال في رفق:

– إن "**لويز**" أحبتك كثيراً أيتها الممرضة ومالت إليك على الفور. . أشعر أن كل شيء سيسير على مايرام. وكان يتكلم في حماس كما لو كان طفلاً ومن ناحيتي أنا، أحسست أن السيدة "**ليدنر**" قد مالت إليَّ حقًّا وقد سرني ذلك ولكنني لم أشارك الزوج تفاؤله مع ذلك؛ لأنه كان يجهل بعض الأمور التي لا أستطيع تحديدها بالذات وإن كنت أحس بأن الجو مشبع بها. وعلى الرغم من أن الفراش كان وثيراً ومريحًا فإنني لم أهنأ بالنوم لأني رأيت أحلامًا مزعجة؛ رأيت فيها السيد "**كاري**" بوجهه المعروف وقد امتطى جوادًا والسيدة "**ليدنر**" فوق جواد هي الأخرى تنطلق به وهي تلوح بقطعة القماش التي تطرزها ثم كبا الجواد بها فإذا الأرض مغطاة في كل مكان بعظام تكسوها طبقة من الشمع، وصحوت من نومي وأنا أرتعد والعرق يتصبب من جسمي كله.

*****

- 7 -

رجل في النافذة

أظن أن من الأوفق أن أنبه القارىء إلى أن قصتي لن تتعرض لأي وصف محلي .فإنني أجهل من دابة في علم الآثار وأعترف بأنني لا أهتم أبداً بهذه المسألة، وأرى من السخف أن نذهب فنزعج أناساً ومدناً اختفت منذ قرون .ولم يخطىء السيد "**كاري**" عندما قال "إني لا أشعر بأي ميل إلى الآثار" .وفي غداة اليوم التالي لوصولي عرض عليّ السيد "**كاري**" أن يريني القصر الذي يرسمه كما يقول،وقبلت عرضه والفضول يستبد بي وكان ذلك القصر يرجع كما عرفت فيما بعد إلى ثلاثة آلاف سنة وكنت أتوقع أن أرى قصراً يدل على عظمة الماضي كما سمعتهم يقولون أكثر من مرة ولكنني لم أر شيئًا أكثر من جدران من الطين ارتفاعها نحو 60 سنتيمتراً، ومضى بي السيد "**كاري**" هنا وهناك وهو يشرح لي كل شيء. .هنا كان الفناء الكبير ، وهناك كانت بعض الغرف والسلم ثم الطابق الأول العلوي حيث تطل الغرف على الفناء الكبير وكنت أتساءل كيف يعرف كل هذا؟ ولكن الأدب حال دون توجيه هذا السؤال إليه. .وأحسست بخيبة أمل كبيرة وأنا أرى أن الحفريات لا تكشف أمام عينيّ غير الطين. .لم أر قطعة واحدة من الرخام أو الذهب. .لم أر أي شيء جميل كان بيت عمتي في "**كريكوود**" عبارة عن أطلال أجمل وأروع. وبعد أن أراني السيد "**كاري**" قصره التاريخي القديم عهد بي إلى الأب "**لافيني**" الذي أطلعني على بقية الحفائر.وقد شعرت بشيء من الخوف من الأب "**لافيني**" ، فقد كان راهبًا وأجنبيًّا وكان له صوت عميق،ولكنه كان ظريفًا جداً وإن بدا غامضاً.وبدأت أتساءل إذا كان لا يميل إلى الآثار مثلي .وذكرت لي السيدة "**ليدنر**" سبب ذلك فيما بعد فقالت:

– إن الأب "**لافيني**" لم يكن يهتم إلا بالمخطوطات الأثرية، فإن القدامى كانوا يكتبون كل شيء على الفخار مستخدمين علامات وثنية لها معناها.وكانت

هناك كذلك ألواح مدرسية كتب الدرس على إحدى واجهتيها ومحاولات التلميذ على الواجهة الأخرى. ورافقني الأب "**لافيني**" خلال الحفائر مشيراً إلى مكان المعابد والقصور والبيوت العادية، وأراني مكاناً قال إنه كانت به مقبرة أكادية. ثم غير الحديث فجأة فقال:

– إن قدومك هنا أثار الدهشة يا آنسة.. فهل السيدة "**ليدنر**" مريضة حقًّا؟ أجبته من غير أن أورط نفسي كثيراً:

– ليست مريضة تماماً.

– أظن أنها قاسية.. نعم، مجردة من الرحمة. قلت:

– اسمح لي أن أقول لك إنك تسيء الظن بها كثيراً. هز رأسه للمرة الثانية وقال:

– أرى أنك لا تعرفين النساء مثلي. بدا لي هذا الرأي غريباً بين شفتي راهب، ولكنني اعتقدت طبعاً أنه سمع ثمة أشياء.. اعترافات مثلاً، ولكن والحق يقال أدهشني ذلك لأن الرهبان لايستمعون إلى أية اعترافات كما يفعل القساوسة. وأردف يقول في تفكير:

– إنني واثق بأن هذه المرأة متحجرة القلب.. ولكنها على الرغم من ذلك خائفة.. خائفة جداً.. فمم تخاف؟ قلت في نفسي: "إن الجميع يودون لو أنهم يعرفون ذلك، لا ريب أن زوجها يعرف ذلك على الأقل.. ولكنني لم أكن أعتقد أن أحداً غيره يعرف". وحدق إلى وجهي فجأة وقال:

– إن الجو هنا غريب، أليس كذلك؟.. أو لعلك تجدينه عاديًّا؟

– ليس تماماً. إنه عادي من الناحية المادية. أنا شخصيًّا لا أشعر بأي ارتياح. يخامرني إحساس بأن شيئاً ما وشيك الوقوع. حتى الدكتور "**ليدنر**" ليس في حالته الطبيعية، فإن هناك شيئاً يزعجه.

– أيكون ذلك الشيء صحة زوجته؟

– ربما، ولكن هناك شيئاً آخر.. ماذا أقول؟ نوع من القلق. وكان في ذلك على حق؛ فقد كان الجو مشبعا بالقلق ولم ننطق بأكثر من ذلك فقد أقبل الدكتور

"**ليدنر**" نحونا ومضى بي إلى مقبرة طفل تم اكتشافها حديثًا وكان منظرًا مؤثرًا. عظام صغيرة وبجوارها بعض الفازات وحبات صغيرة جدًّا كانت على رأي الدكتور "بقايا عقد من اللؤلؤ". وأطربني منظر العمال الذين يقومون بالحفر فلم يسبق لي أن رأيت مثل هذا المنظر من قبل. كانوا يرتدون أسمالاً بالية ويلفون رؤوسهم بالعمائم كما لو كانت أسنانهم تؤلمهم.. وكانوا يروحون ويجيئون حاملين قفف الأتربة وهم ينشدون ويغنون أغنية عجيبة رتيبة لا تتغير ولاحظت أن عيونهم كلها رهيبة تغطيها الأتربة.. وكان واحد منهم أو اثنان يبدوان كما لو كانا ضريرين.. وكنت أرثي لحالهم حين خاطبني الدكتور "**ليدنر**" فقال:

– هذه أنواع جميلة من الرجال، أليس كذلك؟ فما أعجب الدنيا! شخصان واقفان أمام منظر واحد ولكل منهما رأي مختلف عن الآخر. وبعد لحظة قال الدكتور "**ليدنر**": "إنه عائد إلى البيت، لتناول فنجان من الشاي قبيل الغداء". ومشينا معًا وراح يروي لي قصصًا كثيرة، وعندما سمعت شرحه وتأويلاته اتخذ كل شيء سمة جديدة في عيني، واستطعت أن أتخيل عندئذ الشوارع والبيوت كما كانت فيما سبق وأراني أفرانًا كانوا يخبزون فيها العيش وقال إن العرب يستخدمون أفرانًا مشابهة في أيامنا هذه. وعندما وصلنا إلى البيت، وجدنا أن السيدة "**ليدنر**" قد صحت من النوم وكانت تبدو في حالة جيدة غير التي كانت عليها بالأمس. وجيء لنا بالشاي على الفور وأطلع الدكتور "**ليدنر**" زوجته على ما اكتشفوه في الحفائر اليوم ثم غادرنا لاستئناف عمله. ودعتني السيدة "**ليدنر**" لكي أذهب معها لتريني الاكتشافات الحديثة، وكانت هناك أشياء غريبة في كل مكان من غرفة الآثار، أغلبها آنية مكسورة أو هذا ما بدا لي على الأقل... وكانت هناك آنية أخرى رممت وأصلحت حديثًا ولكن خيل إليَّ أن كل هذا لايصلح إلا لصندوق القمامة فقلت:

– يا إلهي! إنها لخسارة كبيرة أن تكون كلها محطمة هكذا. هل هناك داع للاحتفاظ بها حقًّا؟ أجابت السيدة "**ليدنر**" وهي تبتسم ابتسامة خفيفة:

– لاتنطقي بهذا القول أبداً أمام "**أريك**" . إن الفخار يهمه أكثر من أي شيء آخر، وبعض هذه القطع يرجع عهدها إلى سبعة آلاف سنة. وذكرت لي عندئذ أن بعضها جيء به من حفرة عميقة جداً، والبعض الآخر قد كسر منذ آلاف السنين وألصقت أجزاؤها بالقار، وأن هذا دليل قاطع على أن الناس في ذلك العهد كانوا يتمسكون بمقتنياتهم كما نفعل نحن تماماً. وأردفت تقول:

– والآن، سأريك شيئًا غريبًا. وتناولت صندوقًا من فوق الرف وأرتني خنجراً جميلاً من الذهب له مقبض مرصع بأحجار زرقاء قاتمة اللون. فاطلقت صيحة تنم عن الإعجاب. وضحكت السيدة "**ليدنر**" وقالت:

– إن كل الناس تحب الذهب فيما عدا زوجي.

– ولم هذه الكراهية؟

– لأن هذا المعدن يكلفه الكثير؛ فهو يدفع للعمال الذين يكتشفونه وزنه ذهبًا.

– يا إلهي! ولم ذلك؟

– هذا هو العرف المعمول به، فإن هذا الإجراء يمنعهم من سرقة ما يجدونه لأنهم لايهتمون بالقيمة الأثرية. وإذا ما دفع "**أريك**" لهم قيمته ذهبًا فإنه يوفر عليهم سرقته وصبه للانتفاع بقيمته ماديًا. وتناولت صينية وأرتني كوبًا من الذهب محفوراً عليه رأس كبش، أبديت إعجابي به هو الآخر فقالت:

– إنه جميل، أليس كذلك؟ إن هذه التحفة جاءت من مقبرة أمير، وقد اكتشفنا مقابر ملكية أخرى ولكن يد النهب والسلب كانت قد امتدت إليها. . وهذا الكوب هو أحسن شيء عثرنا عليه، إنه فريد في نوعه. وقطبت جبينها فجأة وأدنت الكوب من عينيها وحكته بظفرها في رفق وقالت:

– عجبًا. . قطعة من الشمع! لا ريب في أن أحدهم جاء هنا ومعه شمعة. وأزالت آثار الشمع وأعادت الكوب مكانه. ثم أرتني بعد ذلك بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من التيراكوتا، وأغلبها غير متقن الصنع. وعدنا بعد ذلك إلى "الفراندة" حيث كانت "**مركادو**" جالسة تطلي أظافرها. . وكانت ترفعها أمام

عينيها من وقت إلى آخر وتتأمل لونها. وكان لونها أحمر فاقعًا لم أشعر بأي ميل إليه. وكانت السيدة "**ليدنر**" قد جاءت معها من غرفة الآثار بطبق مكسور راحت تلصق أجزاءه. وراقبتها لحظة وهي تفعل ذلك ، ثم عرضت عليها مساعدتي فقالت :

– بكل سرور، فهناك أشياء كثيرة تحتاج إلى إصلاح. وذهبت فجاءت ببعض الآنية المكسورة وعلمتني كيف أفعل، ولم ألبث أن أتقنت هذا العمل فهنأتني لما أبديت من براعة. وصاحت السيدة "**مركادو**" :

– إن الجميع في هذا البيت يعملون.. أما أنا فخاملة. فقالت السيدة "**ليدنر**" في غير اكتراث :

– أنت وشأنك. وبعد أن فرغنا من تناول الغداء نظف الدكتور "**ليدنر**" والسيد "**مركادو**" بعض الأواني الخزفية بمحلول من حامض الكلوريدريك. وكشفت إحدى الفازات عن لون بنفسجي جميل وأخرى عن لون آخر أجمل. وبدا الأمر كأنه سحر فما تكاد نقطة من الكلوريدريك تقع على الطين الجاف حتى يزول ويتبخر. وعاد السيد "**كاري**" والسيد "**كولمان**" إلى الحفائر في حين ذهب السيد "**ريتر**" إلى غرفة التصوير. وقال الدكتور "**ليدنر**" مخاطبًا زوجته :

– ماذا ستفعلين يا "**لويز**" ؟ أظن أنك ستستريحين قليلاً؟ وكان من عادة السيدة "**ليدنر**" أن تستريح قليلا بعد الغداء ولهذا قالت :

– نعم.. سأرقد ساعة وربما أخرج بعد ذلك في نزهة قصيرة.

– حسنًا. ستذهب الآنسة "**ليذبران**" معك، أليس كذلك؟ فأسرعت أقول :

– بكل سرور.

– كلا.. كلا.. سأخرج وحدي، فلا أريد أن تحسب الممرضة أنها مضطرة إلى أن تتبعني كظلي. قلت :

– ولكن يسرني أن أرافقك. أجابت في صوت لايقبل الجدل :

– كلا. إنني أفضل أن أخرج وحدي. إن الوحدة تروق لي من وقت إلى آخر. ولم يسعني إلا أن أسكت.. ومع ذلك في أثناء ذهابي إلى غرفتي لكي أستجم

قليلاً وجدت أن من الغرابة أن السيدة "**ليدنر**"، على الرغم من الخوف الذي تشعر به، يروقها أن تخرج وحدها دون سمير أو رفيق، وفي نحو الساعة الثالثة والنصف خرجت من غرفتي ورأيت في الفناء غلامًا يغسل بعض الأواني في حوض من النحاس، وكان السيد "**إيموت**" يناوله إياها أولاً بأول، وفيما أنا أتقدم منهما دخلت السيدة "**ليدنر**" من الباب العام. .وكانت في حالة راضية وبادية الغبطة ، وخرج الدكتور "**ليدنر**" من غرفته ولحق بها لكي يريها طبقًا منقوشًا فوقه قرنا ثور، وقال:

– إن الحفائر القديمة تعج بثروة غريبة .ويبدو أن الموسم سيكون مثمراً. .إن عثورنا على هذه المقبرة في بداية الحفر كان فالاً حسنًا .والوحيد الذي يمكنه أن يشكو هو الأب "**لافيني**" فحتى الآن لم نجد شيئًا من المخطوطات التي يهتم بها. قالت السيدة "**ليدنر**"بلهجة جافة:

– لايبدو أنه أفاد كثيراً من المخطوطات التي أعطيناها إياه. قد يكون خبيراً في المخطوطات ولكنني أرى أنه كسول كبير، فهو خبير طوال فترة ما بعد الظهر في النوم. تنهد الدكتور "**ليدنر**" وقال:

– إننا نفتقد "**بيرد**" ، فإن هذا الأب "**لافيني**" لا خير فيه على الرغم من أنني لاأفهم شيئًا في هذا الموضوع .ولكن ترجمته بعض النقوش أدهشتني وأجد مشقة كبيرة في صحة العبارات المنقوشة .وبعد الشاي سألتني السيدة"**ليدنر**"إن كان يروقني أن أتنزه معها حتى النهر.وأظنها كانت تخشى أن يكون رفضها مرافقتي لها عند الظهر قد جرح كبريائي، ولكي أبدد ظنونها من هذه الناحية أسرعت بالقبول،وكانت أمسية رائعة فقد اجتزنا حقول الذرة وبعض البساتين وبلغنا نهر"**دجلة**"أخيراً. ورأينا على اليسار المكان الذي فيه الحفائر وعلى اليمين ساقية كبيرة يصدر منها صوت غريب – وهي تدور – أثار أعصابي في البداية، ولكنني لم ألبث أن اعتدت عليه وألفته، وكانت القرية التي يأتي منها عمال الحفر تقع خلف الساقية مباشرة.وقالت السيدة "**ليدنر**" :

– إن المكان جميل حقًا .أليس كذلك؟

– بلى . .وهو مكان هادىء يبدو لي وأنا فيه أنني بعيدة عن كل شيء .رددت السيدة "**ليدنر**" قائلة :

– بعيدة عن كل شيء . .نعم فهناك يشعر المرء على الأقل أنه في أمان .ألقيت إليها نظرة سريعة ولكنني أظن أنها كانت تحدث نفسها أكثر مما كانت تحدثني ولا أظن أنها أدركت أن كلماتها نمت عما يساورها من أفكار . وأخذنا طريق العودة في بطء، وفجأة تشبثت السيدة "**ليدنر**" بذراعي في قوة بحيث أوشكت أن أصرخ من الألم وهتفت تقول :

– من هذا الرجل أيتها الممرضة؟ وماذا يفعل في هذا المكان؟ كان هناك رجل يقف على مسافة منا، في المكان الذي ينعطف فيه الطريق إلى البيت، وكان يرتدي ثيابًا أوربية، وقد شب على طرفي قدميه محاولاً أن يختلس النظر من إحدى النوافذ .وفجأة التفت نحونا فرآنا وأسرع إلينا وازداد ضغط أصابع السيدة "**ليدنر**" بذراعي وتمتمت :

– أيتها الممرضة! أيتها الممرضة! فقلت أطمئنها :

– لا تخافي يا عزيزتي . وبلغ الرجل المكان الذي نقف فيه ثم تجاوزنا،ورأيت أنه رجل عراقي .وعندما رأته السيدة "**ليدنر**" أطلقت ذراعي وهي تتنهد وقالت :

– أوه . .إنه عراقي .واستأنفنا السير . .وألقيت نظرة إلى النافذة ونحن نقترب . .ولم تكن مزودة بالقضبان الحديدية فحسب ولكنها كانت مرتفعة بحيث لا يمكن لأي أحد أن يرى شيئًا من الداخل؛ لأن مستوى الأرض في هذه الناحية كان منخفضاً عنه في الحوش .وقلت :

– إن هو إلا مجرد رجل فضولي .هزت السيدة "**ليدنر**" رأسها وقالت :

– ومع ذلك فإنني ظننت . . وأمسكت .وقلت في نفسي :"ماذا ظنت؟ ليتني أعرف ذلك" .ولكني تأكدت الآن من شيء على الأقل،وهو أن السيدة "**ليدنر**" كانت تخشى رجلاً من لحم ودم .

- 8 -

غارة ليلية

من العسير أن أسجل الأحداث كما وقعت تمامًا في خلال الأسبوع الأول من إقامتي في "**تل يارمجة**" .وإذ أعود إلى الوراء، على ضوء المعلومات التي أعرفها الآن أرى أن نقاطًا كثيرة قد أفلتت مني في ذلك الوقت، ولكي تبدو قصتي واضحة تمامًا فإنني أظن أنه يجب أن أحاول أن أصف جو الشك والقلق والإحساس بأن شيئًا ما سوف يقع. .وهو الجو الذي كان سائدًا عندئذ، وقد كانت هناك نقطة مؤكدة وهي أن ذلك التوتر وذلك الجزء الذي كنا نعيش فيهما لم يكونا من نسج الخيال، وإنما كانا حقيقة واقعة وحتى "**بيل كولمان**" نفسه ذلك الرجل المتبلد الشعور لم يقف عن الإشارة إلى ذلك الجو فقد سمعته يقول:

– إن هذا المكان يثير أعصابي. .إنه مكان كئيب مشؤوم. كان يخاطب بذلك زميله "**إيموت**" . .وقد أحسست بالميل نحو هذا الأخير، فلم يكن في صمته ما يعيب، ثم إن صدقه وصراحته كان لهما أثر كبير وسط جو الشك والقلق اللذين كانا سائدين حوله. وقد رد على السيد "**كولمان**" قائلاً:

– لقد كان الجو مختلفًا تمامًا في السنة الماضية .ولكنه لم يسهب في قوله أكثر من ذلك .وعاد السيد "**كولمان**" يقول في لهجة حزينة:

– إنني لا أستطيع أن أخمن ما يدور. ولكن "**إيموت**" اكتفى بأن هز كتفيه. ودار بيني وبين الآنسة "**جونسون**" حديث له وزنه. .وقد أحببت هذه السيدة كثيرًا فقد كانت نشيطة وعملية وذكية، وكان واضحا أنها تعتبر الدكتور "**ليدنر**" بطلاً حقيقيًا .وقد روت لي في ذلك الحديث قصة حياته منذ حداثته .فقد كانت تعرف كل الحفائر التي اهتم بها والنتائج التي توصل إليها وإني لعلى استعداد لأن أقسم أنه كان في مقدورها أن تذكر عن ظهر قلب صفحات كاملة من محاضراته. كانت تعتبره أعظم من اهتم بعلم الآثار حتى

ذلك الوقت. وقالت :

– ثم إنه بسيط جداً لا يبالي بأمور الدنيا ولا يعرف معنى كلمة الغرور والرجل العظيم وحده هو الذي يمكن أن يكون بمثل هذه البساطة.

– هذا صحيح، إن الرجال الكبار هم الذين لا يحبون الظهور.

– ثم إنه خلي البال.. ولا أستطيع أن أصف لك كم لهونا أنا وهو و"**ريتشارد كاري**" في السنوات الأولى التي قضيناها هنا. وكان "**ريتشارد كاري**" قد اشترك في العمل معه في "**فلسطين**"، وترجع صداقتهما إلى نحو عشر سنوات أما أنا فقد عرفته منذ سبع سنوات. قلت:

– إن السيد "**كاري**" وسيم.

– نعم.. أظن أنه كذلك. ولكنه منطو على نفسه قليلاً ألا ترين ذلك؟ وأمسكت فجأة فسألتها:

– منذ متى؟ هزت الآنسة "**جونسون**" كتفيها هزة ذات معنى وقالت:

– حسناً.. لقد تغيرت أشياء كثيرة هذه الأيام. لم أسألها المزيد على أمل أن تستمر في الحديث وفعلاً راحت تقول بعد أن ضحكت ضحكة قصيرة:

– أخشى أن أكون امرأة رجعية ولكنني أرى أنه إذا كانت زوجة عالم الآثار لاتهتم بعمل زوجها فإن من الحكمة ألا ترافقه في مكان عمله، فإن ذلك يثير الخلاف دائماً. قلت:

– ولكن السيدة "**مركادو**". أوه.. إنني لا أعنيها بكلامي وإنما أعني السيدة "**ليدنر**".. إنها امرأة ظريفة حقًا وإن الإنسان ليدرك لماذا هام الدكتور بها، ولكن مكانها ليس هنا إن وجودها يثير القلق.. وهكذا اتفقت الآنسة "**جونسون**" مع السيدة "**كلسي**" في هذه النقطة وأجمعت المرأتان بقولهما هذا أن السيدة "**ليدنر**" مسؤولة عن جو التوتر السائد. ولكن إذا صح هذا فمم تخاف السيدة "**ليدنر**"؟ واستطردت الآنسة "**جونسون**" تقول:

– إنها تستأثر بكل أفكاره. وأنا إذا أردت، أشبهه بالكلب العجوز المخلص الغيور، ولا أحب أن أراه متعباً ومعذباً هكذا. إنه يجب أن يولي كل اهتمامه

إلى أبحاثه لا إلى زوجته ومخاوفها السخيفة وإذا كانت تخاف من الإقامة في مثل هذه البلاد النائية فلماذا لم تبق في "**أمريكا**" ؟ لا أبغض من الأشخاص إلا الذين يهجرون وطنهم طواعية ثم يشكون ويتذمرون بعد ذلك. ثم استطردت تقول وكأنها أدركت أنها تكلمت أكثر مما يجب :

- إنني أقدرها كثيراً طبعاً .فهي امرأة فاتنة وتعرف كيف تكون ظريفة عندما تريد .ووقف بنا الحديث عند هذه النقطة. ورأيت بيني وبين نفسي أن القصة الخالدة تتجدد،فعندما تضطر النساء إلى المعيشة في مكان واحد فإن شيطان الغيرة يتسلل بينهن.وكان واضحًا أن الآنسة "**جونسون**" لا تميل إلى زوجة رئيسها وربما كان هذا أمرًا طبيعيًّا وإذا لم أخطئ فإني أستطيع أن أؤكد أن السيدة "**مركادو**" هي الأخرى تمقت السيدة "**ليدنر**" .وكذلك الحال مع "**شيلا ريلي**" .لم تكن هي الأخرى تميل إلى السيدة "**ليدنر**" وقد جاءت "**شيلا**" إلى الحفائر بضع مرات، مرة في السيارة ومرتين على صهوة جواد برفقة فارس شاب وكنت أشتبه في قرارة نفسي في أنها تميل إلى "**إيموت**"ذلك الشاب الصموت، فإنها عندما كانت تجده عند الحفائر كانت تبقى لتثرثر معه، وكان واضحًا أنها تكن له إعجابًا شديداً .وذات يوم أشارت السيدة "**ليدنر**" إلى هذا الموضوع فقالت في شيء من الضيق :

- ما زالت تلك الفتاة "**ريلي**" تطارد "**دافيد**" .مسكين يا "**دافيد**" ! إنها تطارده حتى الحفائر.ما أسخف الفتيات! لم يجب السيد "**إيموت**" .ولكن وجهه اضطرم ورفع عينيه ونظر إليها مليًّا نظرة غريبة حادة فيها شيء من التحدي وابتسمت السيدة "**ليدنر**" ابتسامة خفيفة وأطرقت. وسمعت الأب "**لافيني**" يتمتم ببعض الكلمات ولكنني عندما قلت له : «عفواً !» اكتفى بأن هز رأسه ولم ينطق.وفي أصيل هذا اليوم خاطبني السيد "**كولمان**" قائلاً :

- الواقع أنني لم أشعر بأي ميل إلى السيدة "**ليدنر**" في البداية. فإني كنت لاأكاد أفتح فمي بالحديث حتى تنهال عليَّ بتهكماتها وسخرياتها، ولكنني لم ألبث أن فهمتها وأدركت أنها أفضل امرأة التقيت بها حتى الآن.إن الإنسان

لايكاد يعرفها حتى يصارحها بكل ما واجهه في الدنيا من طيش ونزق، وإذا كانت تحقد على "**شيلا ريلي**"؛ فذلك لأن "**شيلا**" قد أغلظت في معاملتها قبل ذلك أكثر من مرة.. وهذا لايستغرب من "**شيلا**" فهي ليست حميدة السلوك ثم إنها حادة الطباع. والسيد "**كولمان**" صادق في قوله هذا فإن الدكتور "**ريلي**" دلل ابنته كثيراً واستطرد الشاب يقول:

– وهي تزهو طبعًا؛ لأنها الفتاة الوحيدة بيننا، ولكن ليس هذا عذراً يسمح لها بأن تعامل السيدة "**ليدنر**" كما لو كانت عمتها الكبرى.. صحيح أن السيدة "**ليدنر**" ليست شابة ولكنها امرأة جميلة فاتنة تخلب الألباب وتأسر الأفئدة وهذا مالايتسنى لـ"**شيلا**". وأتذكر كذلك حادثين آخرين لهما وزنهما. ففي ذات يوم ذهبت إلى العمل لكي آخذ زجاجة الأسيتون لكي أزيل آثار الصمغ والغراء عن يدي من جراء لصق الفخار، ووجدت السيد "**مركادو**" جالسًا في ركن ورأسه بين ذراعيه وظننت أنه نائم فأخذت الزجاجة وخرجت. وفي المساء ما كان أشد دهشتي عندما خاطبتني السيدة "**مركادو**" قائلة:

– هل أخذت زجاجة الأسيتون من المعمل؟

– نعم.

– ولكنك تعرفين مع ذلك أن هناك زجاجة في غرفة الآثار. وكانت غاضبة جداً وأجبتها:

– حقًّا.. لم أكن أعرف.

– بل أظن أنك تعرفين.. إنما ذهبت إلى المعمل للتجسس. حملقت إليها في هدوء وعزة نفس:

– لا أدري ماذا تعنين يا سيدة "**مركادو**".. إنني لم آت هنا لكي أتجسس على أي أحد.

– صحيح؟ أتحسبينني غبية لا أعرف لماذا أتيت هنا؟ مرت بي دقيقة أو دقيقتان ظننت فيها أنها أفرطت في الشراب... وتركتها دون أن أنطق بكلمة أخرى ولكن بدا لي أمرها غريبًا جداً. أما الحادث الثاني فلم يكن شيئًا ذا بال فقد

حاولت استمالة كلب صغير وقدمت إليه كسرة من الخبز. .ولكن الكلب حسب أني أضمر له شرًا فابتعد عني وتبعته إلى الخارج.وخرجت من الباب العمومي وجريت خلفه إلى خلف البيت عندما اصطدمت بالأب "**لافيني**" وبرجل آخر يتحدث إليه ، عرفت على الفور أنه الرجل العراقي الذي فاجأته أنا والسيدة "**ليدنر**" وكان يحاول اختلاس النظر من إحدى النوافذ.وتمتمت ببعض كلمات الاعتذار.وابتسم الأب "**لافيني**" واستأذن منه في الانصراف وعاد معي إلى البيت.

– لا يمكن أن تعرفي إلى أي حد أشعر بالخجل. .إنني أدرس اللغات الشرقية ومع ذلك فلا يفهمني أي واحد من هؤلاء الفلاحين. .وهذا أمر مهين جدا بالنسبة لي، وكنت أحاول أن أتحدث بالعربية مع هذا الرجل، وهو من سكان المدينة وكنت أرجو أن يفهمني هو الآخر ولكن النتيجة لم تكن مشجعة للأسف، و"**ليدنر**" يقول إني أتكلم عربية فصحى لا يفهمها هؤلاء الناس.وعلى الرغم من تبرير الأب "**لافيني**" فقد استغربت أن يحوم الرجل نفسه بالبيت مرة أخرى. وفي تلك الليلة أوشكنا أن نموت من الخوف. .في نحو الساعة الثانية صباحًا. .صحوت من نومي بمجرد أن فتح باب غرفتي؛ لأني خفيفة النوم شأني في ذلك شأن كل ممرضة وسمعت صوتًا يقول:

– أيتها الممرضة. .أيتها الممرضة. .وكان صوت السيدة "**ليدنر**"، وكان خافتًا وملحًا فحككت عودًا من الثقاب وأضأت شمعة، وإذا بي أراها واقفة بعتبة الباب في ثوب نوم أزرق طويل وهي ترتعد خوفًا.وهمست قائلة:

– هناك شخص في الغرفة التي بجوار غرفتي. .سمعته يحك الحائط بيده. ووثبت من فراشي وأسرعت إليها وأنا أقول:

– لا تخافي يا عزيزتي،فأنا هنا.وهمست ثانية: أحضري "**أريك**". أسرعت إلى غرفة زوجها وطرقت الباب. .وبعد دقيقة واحدة كان معنا.وكانت السيدة "**ليدنر**" جالسة على فراشي وهي تلهث لفرط الانفعال وقالت:

– إنني سمعته يحك الحائط بيده.وصاح الدكتور:

- غرفة الآثار. وأسرع خارجًا. ورأيت في لمحة خاطفة كيف يمكن أن تختلف نظرة شخصين في وقت واحد، فقد كانت السيدة "ليدنر" تخاف على نفسها في حين لم يكن الدكتور "ليدنر" يفكر في شيء غير كنوزه الثمينة. وقالت السيدة "ليدنر":

- غرفة الآثار.. طبعًا.. ماأغباني!ونهضت والتفت في ثوب النوم وسألتني أن أتبعها وقد زال عنها كل أثر للخوف. وعندما بلغنا غرفة الآثار رأينا الدكتور "ليدنر" والأب "لافيني"، وقال هذا الأخير إنه سمع صوتًا بدوره فنهض لكي يتحقق من الأمر وخيل إليه أنه يرى نوراً ينبعث من غرفة الآثار وأنه أضاع بعض الوقت في البحث عن خفّيه وعن مصباحه الكهربائي وأنه عندما ذهب إلى الغرفة لم يجد بها أحداً وفيما كان يتحقق من أنه لا ينقص أي شيء لحق الدكتور "ليدنر" به. ولم نستطع أن نعرف المزيد،فقد كان الباب الخارجي مغلقًا بالمفتاح، وأقسم البواب أن أحداً لم يستطع أن يدخل من الخارج. ولكن لم يكن هناك شك في أن البواب كان يغط في نوم عميق فلم نستطع أن نعتمد على قوله هذا، ثم إننا لم نجد أثراً لأي قدم كما أنه لم يسرق أي شيء. ومن الجائز أن السيدة "ليدنر" تملكها الخوف وهي تسمع الأب "لافيني" وهو ينزل الصناديق من فوق الرفوف لكي يتأكد من أن كل شيء على ما يرام. ومن ناحية أخرى كان الأب "لافيني" واثقًا بأنه سمع شخصًا يمر تحت نافذته وأنه رأى بصيص نور لعله نور مصباح كهربائي ينبعث من غرفة الآثار. ولم يسمع أحد غيره شيئًا أو يرى شيئًا ما. ولهذا الحادث الأخير وزنه في قصتي لأنه حمل السيدة "ليدنر" على الإفضاء إليّ بذات نفسها في اليوم التالي.

*****

- 9 -

قصة السيدة "ليدنر"

بعد الغداء مباشرة ذهبت السيدة "**ليدنر**" إلى غرفتها لكي تنام كعادتها، فاستلقت في فراشها ووضعت الوسائد خلف رأسها وأعطيتها كتابًا وهممت بالانصراف عندما قالت:

– لا تخرجي فإنني أريد أن أقول لك شيئًا، أغلقي الباب. وما إن أغلقت الباب حتى نهضت واقفة وراحت تذرع أرض الغرفة جيئة وذهابًا. وكان من الواضح أنها تريد أن تفكر مليًا قبل اتخاذ أي قرار فلم أشأ أن أقاطعها. وأخيرًا، وبعد أن جمعت شجاعتها توقفت وتحولت إليّ وقالت فجأة:

– اجلسي. جلست بجوار المنضدة وبدأت تقول في انفعال:

– لا ريب في أن كل ما حدث قد أثار دهشتك؟ اكتفيت بأن هززت رأسي ولم أنطق فعادت تقول:

– لقد عقدت العزم على أن أقول لك كل شيء.. كل شيء.. يجب أن أكشف لأحد عما بي وإلا فإني سأفقد عقلي.

– أظن أن هذا أفضل يا سيدتي، فليس من السهل أن يعرف الإنسان ماذا يفعل إذا ما راح يتخبط في الظلام. توقفت عن السير وواجهتني قائلة:

– هل تعرفين ما الذي يخيفني؟

– أهو رجل؟

– نعم.. ولكني لم أقل ممن أخاف وإنما قلت "ما الذي يخيفني؟" انتظرت وقالت أخيرًا:

– إني أخاف أن يقتلني بعضهم. وهكذا تكلمت أخيرًا.. ولم أشأ أن أبدي أي تعليق لأنها كانت على أبواب الهستيريا.. ولم أزد عن أن أقول:

– حقًا.. الأمر كذلك إذن. وعندئذ راحت تضحك.. وتضحك حتى انسابت

الدموع على وجنتيها وهمست :

- أنت تتكلمين كما لو أن الأمر عادي .قلت في حدة :

- كلا . .هذا لا يجدي .ودفعت بها إلى أحد المقاعد وذهبت إلى الحوض وعدت بقطعة مبتلة من الإسفنج، ومسحت بها على جبينها في رفق وقلت :

- كفى انفعالاً وأخبريني بالأمر في هدوء .وكان لقولي هذا التأثير المطلوب،فقد سكتت ثم تكلمت في صوت عادي فقالت :

- إنك جوهرة أيتها الممرضة .جعلتني أشعر كأني طفلة في السادسة، وأردفت سأخبرك بكل شيء .وراحت تتكلم في بطء وهدوء فقالت :

- تزوجت وأنا في العشرين من عمري برجل أمريكي، وكان ذلك في سنة 1918 . قلت :

- إني أعلم هذا .أخبرتني به السيدة "**مركادو**" وقد قتل خلال الحرب .ولكن السيدة "**ليدنر**" هزت رأسها وقالت :

- هذا هو الاعتقاد السائد .ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك . .كنت في ذلك الوقت فتاة مثالية متحمسة إلى أقصى حد،ولكني بعد بضعة أشهر من الزواج اكتشفت عرضًا أن زوجي كان جاسوسًا يعمل لحساب "**ألمانيا**" .وعلمت أن المعلومات التي قدمها تسببت في قصف سفينة ركاب أمريكية مات فيها المئات .ولا أدري كيف كانت أية امرأة غيري تتصرف إزاء ذلك ولكني كشفت الحقيقة كلها لأبي .وكان يشغل منصبًا كبيراً في وزارة الحربية . .وقد قتل "**فرديريك**" خلال الحرب حقًّا .ولكنه مات في "**أمريكا**" . .أعدم بالرصاص بصفته جاسوسًا .

- أوه . .يا إلهي . .هذا فظيع ! قالت :

- نعم . .فظيع . .فقد كان زوجي، وكان يعاملني بكل رفق وحب . .وطوال ذلك الوقت . .ولكني لم أتردد لحظة . .لعلني أخطأت . .

- من العسير أن أبدي رأياً في مثل هذه الحالة فهي حالة شاذة .وبقيت هذه القصة في طي الكتمان ولم يعرفها أحد فيما عدا وزارة الحربية .إن زوجي رحل

إلى الجبهة رسميًا وقتل هناك. وأبدى معارفي وأصدقائي عطفًا كبيراً بصفتي أرملة حرب – وكانت تتكلم في صوت مرير – وأخذت طلبات الزواج تنهال عليّ ولكني أحسست بأني لن أستطيع أن أثق بأحد بعد هذه التجربة.

– ولو أني كنت مكانك لأحسست بالإحساس نفسه.

– وبعد بضع سنوات أغرمت بشاب معين، ولكني كنت لا أزال أتردد في منحه يدي عندما وقع حادث غريب، فقد جاءتني رسالة من غير توقيع.. من "**فريدريك**" يهددني فيها بالقتل إذا تزوجت من جديد..

– من "**فريدريك**"؟ زوجك الذي مات؟

– نعم، رميت نفسي بالجنون في بادىء الأمر وحسبت أني في منام وأخيراً ذهبت لاستشارة أبي فأخبرني بالحقيقة وقال لي إن زوجي لم يعدم رميًا بالرصاص، وإن هربه لم يفده بشيء لأنه بعد بضعة أسابيع من ذلك لقي حتفه في حادث خروج قطار عن الخط، ووجدت جثته بين جثث القتلى، وأخفى أبي خبر فراره عني.. ولكنه الآن، وقد مات لم يجد مايمنع عن أن يكشف لي الحقائق الصحيحة.. ولكن الخطاب الذي تسلمته فتح آفاقًا جديدة.. ربما كان من الجائز أن يكون زوجي لايزال على قيد الحياة. واهتم أبي بالأمر بنفسه وأكد لي أن الجثة التي دفنت باسم "**فريدريك**" هي جثة "**فريدريك**" حقًا، بقدر ما أسفر عنه التحقيق على الأقل لأن وجهه كان مشوهًا ولكن من رأيه أن "**فريدريك**" مات وأن هذا الخطاب لايعدو أن يكون مجرد مزحة وتجدد الشيء نفسه.. ففي كل مرة أرتبط فيها بمصادقة رجل كانت تأتيني رسالة تهديد.

– مكتوبة بخط زوجك؟ أجابت في بطء:

– من العسير أن أرد على هذا السؤال؛ لأنني لم أكن أملك أي شيء بخطه وكنت أسترشد بذاكرتي فقط.

– ألم تجدي في هذه الرسائل عبارات تستطيعين منها أن تتأكدي من شكوكك؟

– كلا.. كانت هناك بعض العبارات الخاصة التي كنا نتبادلها معًا وهو على

قيد الحياة، وهي عبارات لايعرفها أحد غيرنا،وكانت رسائله تخلو منها ولو أني وجدت بعض هذه العبارات فيها لتبددت شكوكي.

– هذا غريب..يبدو كأن هذه الرسائل ليست من زوجك، وإذا كان الأمر كذلك فممن تكون إذن؟

– هناك احتمال..فقد كان لـ"**فريدريك**" أخ صغير في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره عندما تزوجنا وكان يعشق "**فريدريك**"..وكان هذا الأخير يحبه كل الحب.ولا أدري ما الذي حدث لهذا الصبي لأنني لم أره بعد ذلك..ولعل "**ويليام**" الشاب وقد أعماه حبه الأخوي يعتبرني مسؤولة عن موت أخيه الأكبر.وكان دائم الغيرة مني ولعله لجأ إلى هذه الوسيلة لمعاقبتي.قلت:

– هذا جائز، فإن الأطفال لاينسون ما يحدث لهم أبداً.

– أعرف ذلك، ولعل هذا الصبي قد كرس حياته لكي ينتقم مني.

– استمري من فضلك.

–أوه..لم يعد هناك الكثير، فقد تعرفت إلى"**أريك**" منذ ثلاث سنوات،ولم يكن في نيتي أن أتزوجه ولكنه تغلب على ترددي ومخاوفي..وانتظرت أن تأتيني رسالة تهديد أخرى حتى يوم الزواج ولكن لم يأت شيء، واستنتجت من ذلك أن كاتب تلك الرسالة إما أن يكون قد مات أو يكون قد تعب من هذه الرياضة القاسية ولكن جاءتني هذه الرسالة بعد يومين من زواجي. وأخذت حافظة جلدية فتحتها بواسطة مفتاح وأخرجت منها رسالة ناولتني إياها. كان الحبر قد بهت قليلاً.وكان الخط مائلاً بعض الشيء يوحي بأن كاتبته امرأة، وهذا نصها: «إنك عصيت أمري ومن المستحيل الإفلات من المصير الذي ينتظرك، الآن يجب أن تكوني زوجة "**فريدريك بوسنر**" فقط فاستعدي للموت..».

– وقد تملكني الخوف..ولكن ليس إلى حد كبير في بادىء الأمر فقد شعرت بشيء من الأمان مع "**أريك**". وبعد شهر جاءتني رسالة أخرى تقول: إنني لم أنس. و إنما أعد خطتي ، ستموتين ، لماذا عصيت أمري؟

– هل يعلم زوجك بأمر هذه الرسائل؟ أجابت السيدة "**ليدنر**" ببطء:

– إنه يعرف أن حياتي مهددة فإنه عندما جاءتني الرسالة الثانية أطلعته على الرسالتين معًا . . وكان يميل إلى الرأي بأن الأمر مجرد دعابة سمجة. وقد خطر له أيضاً أن كاتب الرسالة يهددني لكي يبتز بعض أموالي ويحاول أن يخيفني بأن يجعلني أعتقد أن زوجي الأول ما زال على قيد الحياة. وسكتت لحظة ثم عادت تقول :

– وبعد بضعة أيام من تسلمي الرسالة الثانية كدنا نموت اختناقًا. فقد تسلل بعضهم إلى مسكننا ونحن نيام وفتح صنبور الغاز. ولكنني صحوت في الوقت المناسب لحسن الحظ وشممت رائحة الغاز. ولم أستطع السكوت أكثر من ذلك فرويت لـ "**أريك**" كل العذاب الذي احتملته طوال سنوات وأردفت أقول :

إن ذلك المجنون يفكر في قتلي حقًّا. وقد خامرني إحساس أكيد بأن "**فريدريك**" يريد بي شراً حقًّا. فإني كنت قد لمست تحت رقته قسوة بالغة. أما "**أريك**" فقد نظر إلى الأمر نظرة مختلفة وأراد أن يلجأ إلى البوليس. ولكنني عارضته في قوة وأخيراً اتفقنا على أن أرافقه في عمله وأن من دواعي الحرص بالنسبة إليّ أن أبقى في "**لندن**" أو أن أذهب إلى "**باريس**" لقضاء الصيف بدلاً من "**أمريكا**". ونفذنا هذا القرار وسار كل شيء على ما يرام وأحسست بالثقة بالمستقبل خاصة وأن نصف الكرة الأرضية أصبحت تفصل بيني وبين غريمي. ولكن منذ ثلاثة أسابيع جاءتني رسالة عليها طابع بريد عراقي. وناولتني الرسالة الثالثة وكان هذا نصها :

" خُيّل إليك أن في إمكانك الإفلات مني. وأنت في هذا مخطئة. . لن أسمح لك بأن تتمتعي بالحياة بعد أن تنكرت لذكراي. . ألم أنذرك بما فيه الكفاية؟ إن الموت يقترب في خطوات واسعة" . وهذه رسالة أخرى وجدتها على هذه المنضدة منذ أسبوع. وليس عليها أي طابع مما يدل على أنها لم تأت عن طريق البريد. وأخذت من يدها قصاصة من الورق عليها هاتان الكلمتان مكتوبتان بالخط نفسه

"إنني وصلت". وحدقت إليّ وقالت :

– هل تفهمين الآن؟ سواء كان "**فريدريك**" أو "**ويليام**" فإنه سيقتلني في النهاية .كان صوتها مضطرباً ،فأخذت يدها وقلت أحاول مواساتها :

– اطمئني . .لاتخافي . .سنسهر عليك . .ألديك زجاجة من الأملاح؟ أشارت إلى طاولة الزينة وأعطيتها جرعة .وقالت وأنا أرى اللون يرتد إليها :

– نعم . .إنني أشعر بأني أحسن الآن . .ولكن هل تفهمين ما أنا فيه من خوف؟عندما رأيت ذلك الرجل يختلس النظر من النافذة خُيّل إليّ أنه هو . .بل إني شككت فيك أنت عند مجيئك ، فقد حسبتك رجلا متنكراً في زي امرأة .

– يالها من فكرة!

– هي فكرة سخيفة طبعًا ولكن من الجائز أن تكوني شريكته . .وألا تكوني ممرضة حقًّا .

– إنك تهذين الآن .

– ربما .لأني أكاد أن أفقد وعيي في بعض الأحيان .قلت فجأة وقد خطر لي خاطر :

– لاريب في أنك تعرفين زوجك الأول إذا رأيته؟ ولكنها أجابت في بطء :

– لست واثقة بذلك ولا تنسي أن هذه المأساة قد وقعت منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، ولعل شكله قد تغير .وسرت في بدنها رعشة واستطردت :

– رأيت وجهه ذات ليلة ولكنه كان وجه ميت . .سمعت دقًّا على النافذة ولم ألبث أن رأيت وجهًا مكشراً خلف الزجاج فصرخت . .وأكدوا لي بعد ذلك أنه لايوجد شيء .تذكرت في هذه اللحظة قصة السيدة "**مركادو**" وقلت :

– ألا يمكن أن تكوني قد رأيت ذلك الوجه في المنام؟

– أوه ! كلا ، وأؤكد لك ذلك .ولكني لم أكن واثقةً بقولها هذا ،ففي مثل هذه الظروف يحسب المرء أن الكوابيس التي يراها حقيقة لاخيال . .ولما كان من مبادئي ألا أخيف مريضًا أبداً ، فقد حاولت مواساتها بقدر طاقتي ، وأكدت لها أنه إذا اقترب أي رجل غريب من البيت فإننا سنعرف بأمره على الفور .وتركتها وقد اطمأنت بعض الشيء .ثم مضيت إلى السيد "**ليدنر**" وأطلعته على الحديث

الذي دار بيني وبين زوجته فاكتفى بأن قال:

- يسرني أنها أطلعتك على مخاوفها. .لقد أزعجتني هذه التهديدات كثيراً، وأنا واثق بأن هذا الوجه الذي رأته خلف زجاج النافذة والدق الذي سمعته إن هو إلا نتاج الوهم والخيال، ولم أدر ماذا أفعل لتهدئتها،ما رأيك في كل هذا أيتها الممرضة؟ بدت لي لهجته غامضة، ومع ذلك فقد أجبته قائلة:

- من الجائز ألا تكون هذه الرسائل إلا مجرد دعابة سمجة.

- نعم.إن كل الظواهر تدل على ذلك.اشتبهت في أن هناك امرأة خلف كل هذا،فقد كان يبدو أن الرسائل قد كتبتها امرأة. .وتصورت أن السيدة "**مركادو**" وراء كل هذا.لنفرض أنها عرفت الظروف التي أحاطت بزواج السيدة "**ليدنر**" لأول مرة.من الجائز عندئذ أنها فكرت في الانتقام منها بإفزاعها وتخويفها.ورأيت غضاضة في الإفضاء بشكوكي هذه للدكتور "**ليدنر**"فإن أحداً لا يدري ماذا يكون من رد الفعل عند الناس في مثل هذه الظروف.وقلت له في شيء من العزاء:

- ليس هناك ما يدعو إلى اليأس. .وأعتقد أن السيدة "**ليدنر**" قد اطمأنت الآن بعد الحديث الذي تبادلناه، فإن المرء ليشعر بالارتياح إذا ما أفضى لغيره بمشاكله خاصة إذا كانت هذه المشاكل من تلك التي ترهق الأعصاب.وعاد يقول:

- يسرني جداً أنها أفضت إليك بذات نفسها. .وهذه إشارة طيبة ففيها دليل على الود، وأعترف بأني استنفدت كل الوسائل لتهدئتها.وكنت على وشك أن أسأله إذا كان قد أطلع البوليس على الأمر خفية عن زوجته.وقد سررت جداً فيما بعد؛ لأني لم ألق عليه هذا السؤال.ففي صباح اليوم التالي كان يجب أن يذهب السيد "**كولمان**" إلى "**الحسينية**" ليأتي بمرتبات العمال، وكان عليه أن يأخذ معه في هذه المناسبة رسائلنا ليذهب بها إلى الطائرة.وكنا قد وضعنا الرسائل التي كتبناها في صندوق موضوع على حافة النافذة بغرفة الطعام.وفي

تلك الليلة وقبل أن يأوي السيد "**كولمان**" إلى فراشه أخرج الرسائل من الصندوق وجمعها في حزم صغيرة و راح يضمها بأربطة من الكاوتشوك عندما صاح فجأة:

– ما هذا؟ وناولني رسالة وهو يقول متذمراً:

– من المؤكد أن "**لويز**" الجميلة ليست في كامل وعيها،فهي ترسل هذه الرسالة إلى الشارع الثاني والأربعين بـ "**باريس**" في "**فرنسا**" وهذا خطأ.هل لك أن تذهبي إليها بهذه الرسالة لكي تصحح العنوان..إنها دخلت إلى غرفتها الآن.وأخذت الظرف وأسرعت إلى غرفة السيدة "**ليدنر**" لعمل اللازم..وكانت هذه أول مرة أرى فيها خط السيدة "**ليدنر**"،ومع ذلك فقد بدا لي خطها مألوفًا لديَّ.وفي نحو منتصف الليل خطرت لي فكرة فجأة بأن هذا الخط كان يشبه بصورة كبيرة الخط الذي كتبت به رسائل التهديد فيما عدا أنه أكبر وأقل تناسقًا.واندفعت إلى ذهني افتراضات جديدة.هل كتبت السيدة "**ليدنر**" هذه الرسائل لنفسها؟ وهل يشك زوجها في ذلك؟

- 10 -
بعد ظهر يوم السبت

روت السيدة "**ليدنر**" قصتها يوم الجمعة.وفي صباح يوم السبت كان يسود البيت جو من الطمأنينة والهدوء.وعاملتني السيدة "**ليدنر**" بخشونة وتجنبت الاختلاء بي ولم يدهشني منها ذلك.فقد سبق أن تعرضت لمثل هذه المواقف مراراً مع سيدات المجتمع،فهن يفتحن لك قلوبهن إذا ماتفجرت عواطفهن ثم لايلبثن أن يبدين مللهن منك في اليوم التالي ويأخذهن الندم لإفضائهن لك بذات أنفسهن.وهذا أمر طبيعي. ولهذا حرصت على ألا أشير إلى ماذكرته لي

بالأمس واكتفيت بأن أحدثها عن أشياء عادية. وكان السيد "**كولمان**" قد مضى إلى "**الحسينية**" في الصباح ليأتي بمرتبات العمال وساق سيارة النقل بنفسه وأخذ رسائلنا في كيس معه. وكان فوق ذلك قد تعهد بأن يقضي شيئًا أو شيئين لبعض أعضاء البعثة. وكان اليوم يوم سبت كما سبق القول. وهو يوم دفع مرتبات العمال، وكان يجب أن يذهب إلى المصرف وأن يأتي بالمال في عملات صغيرة. و هذا سيقتضي وقتًا طويلاً طبعًا ولهذا لم يكن من المتوقع أن يعود إلا بعد الأصيل. ثم إني ارتبت في أنه قد تناول الغداء مع "**شيلا ريلي**". ولم يكن العمال يستمرون في الحفر بعد ظهر يوم السبت. . وكان دفع المرتبات يبدأ في نحو الثالثة والنصف. وجلس الغلام "**عبد الله**" – ووظيفته غسل الأواني وإزالة الأتربة من فوقها – وسط الفناء كعادته وراح يغني أغنيته التي لاتنتهي، وتأهب الدكتور "**ليدنر**" والسيد "**إيموت**" لترتيب الفازات إلى أن يعود السيد "**كولمان**" في حين ذهب السيد "**كاري**" إلى الحفائر. ولجأت السيدة "**ليدنر**" إلى غرفتها لكي تستريح. . وساعدتها على الاستلقاء في فراشها كالعادة. ولما لم يكن لديّ ما أفعله فقد أخذت كتابًا وخلوت إلى غرفتي. وكانت الساعة قد بلغت نحو الواحدة إلا الربع. ومرت ساعتان وأنا أقرأ رواية بوليسية تدور أحداثها في أحد المستشفيات. . وهي رواية طريفة على الرغم من أنني تحققت أنه ليست للمؤلف أية دراية عما يدور في المستشفيات. ونهضت وأصلحت ذات نفسي ثم خرجت إلى الفناء. وكان الغلام "**عبد الله**" لايزال يدعك الفازات ويدندن بأغنيته المملة. وكان "**دافيد إيموت**" واقفًا بجواره ينتقي الفازات النظيفة ويضع في الصندوق القطع التي يمكن لصقها. وتقدمت نحوهما عندما رأيت الدكتور "**ليدنر**" يهبط السلم من السطح وقال في مرح:

– هذا يوم لابأس به، فرغت فيه من ترتيب كل شيء وأخليت السطح. ستغتبط "**لويز**" جداً؛ لأنها كانت تشكو في الأيام الأخيرة أنها لاتجد فيه مكانًا تستطيع أن تمشي فيه. سأسرع لإخبارها بذلك. ومضى إلى غرفة زوجته وطرق الباب ثم دخل، ولكنه لم يلبث أن خرج بعد دقيقة أو دقيقتين. وكنت

أنظر في هذه اللحظة بالذات إلى الباب .وخُيِّل إليَّ أنني أرى كابوسًا مخيفًا فقد دخل وهو بادي المرح والنشاط ولكنه خرج زائغ البصر يترنح كالمخمور وصاح في صوت أجش:

– أيتها الممرضة. .أيتها الممرضة! أدركت على الفور أن شيئًا قد حدث.وخُيِّل إليَّ أنه سيغمى عليه.

– زوجتي . .زوجتي . .أوه. .يا إلهي! أقصيته بحركة من يدي واندفعت إلى الغرفة. .ولكن المنظر الذي طالعني كاد أن يقطع أنفاسي. فقد كانت السيدة "**ليدنر**" طريحة بجوار الفراش وقد تكومت حول نفسها تقريبًا. انحنيت فوقها.كان القضاء قد نفذ منذ نحو ساعة على الأقل. .وكان سبب الموت واضحًا، فقد أصابتها ضربة شديدة فوق الجبين، فوق الصدغ الأيمن تمامًا.كانت المرأة المسكينة قد نهضت من الفراش وقد عاجلها القاتل بالضربة القاتلة بمجرد أن وضعت قدميها على الأرض.وحاولت ألا ألمس الجثة بقدر الإمكان.ألقيت نظرة حولي لكي أرى إذا كان هناك أي شيء يمكن اكتشافه.ولكن بدا لي أن كل شيء في مكانه، وكانت النوافذ مغلقة. ولم يكن هناك مكان يصلح لاختباء القاتل، وكان من الواضح أنه خرج منذ وقت طويل. وأغلقت الباب خلفي وخرجت. وكان الدكتور "**ليدنر**" قد فقد رشده في أثناء ذلك، ووقف "**دافيد إيموت**" بجواره ونظر إليَّ وقد شحب لونه. .وأخبرته بما حدث في كلمات وجيزة. وكما قدرت،كان رجلاً هادئًا يمكن الاعتماد عليه في مثل هذه المواقف الحرجة، فإنه ظل محتفظًا بهدوئه متمالكًا لروعه ولم يزد عن أن اتسعت عيناه دهشة وقال بعد لحظة تفكير:

– يجب إخطار البوليس من غير تأخير. .سيعود "**بيل**" بين لحظة وأخرى.ماذا نفعل بـ"**ليدنر**" ؟

– ساعدني في حمله إلى غرفته. هز "**إيموت**" رأسه وقال:

– لعل من الأوفق أن نغلق هذا الباب بالمفتاح أولاً. وأدار المفتاح في القفل وقال:

– احتفظي به معك أيتها الممرضة. وحملنا معًا الدكتور "**ليدنر**" إلى فراشه ثم ذهب السيد "**إيموت**" وجاء بزجاجة من الشراب وبرفقته الآنسة "**جونسون**". وكان وجهها شاحبًا يدل على القلق ولكنها هادئة متمالكة نفسها وعهدت إليها بالدكتور "**ليدنر**". وأسرعت إلى الحوش بخطوات نشيطة.. كانت سيارة النقل تدخل من الباب العمومي في هذه اللحظة وصدمنا كلنا في شعورنا ونحن نرى وجه "**بيل**" المتورد المرح فقد وثب من مقعده وهو يصيح:

– مرحبًا.. هأنذا قد عدت بالعربة. لم ألتق بلصوص أو قطاع طرق. وسكت فجأة وقال:

– حسنًا ما الخبر؟.. ماذا بكم؟

– ماتت السيدة "**ليدنر**".. قتلت.

– ماذا؟! وتغيرت سحنته فجأة وجحظت عيناه وصاح:

– السيدة "**ليدنر**" ماتت؟ هل تسخرون مني؟

– ماتت؟ ارتفعت هذه الصيحة خلفي فتحولت ورأيت السيدة "**مركادو**". وقالت:

– هل تقولين إن السيدة "**ليدنر**" قد ماتت مقتولة؟

– نعم. مقتولة . صاحت:

– كلا لن أستطيع أن أصدق هذا أبداً. لعلها انتحرت. قلت في حدة:

– إن الناس لا ينتحرون بأن يضربوا أنفسهم من الخلف، هذه جريمة قتل ياسيدة "**مركادو**". جلست فوق أحد الصناديق المقلوبة وقالت:

– هذا فظيع.. فظيع! كان ذلك فظيعًا طبعًا. لم نكن في حاجة إلى قولها هذا لكي نعرف ذلك.

وقلت في نفسي: "إن المرأة المسكينة لاريب تشعر بتبكيت الضمير للأفكار السيئة التي أضمرتها نحو الفقيدة وكل الإشاعات المغرضة التي أشاعتها عنها". وبعد لحظة قالت لاهثة:

– ماذا ستفعلين؟ وتكفل السيد "**إيموت**" بالرد فقال:
– يجب أن يعود "**بيل**" إلى "**الحسينية**" بأسرع ما يمكن. لا أدري شيئًا عن الإجراءات التي تتبع في مثل هذه الحالات ولكن حاول أن تلتقي بالنقيب "**ميتلاند**"، رئيس البوليس. خذ رأي الدكتور "**ريلي**" أولاً، سيعرف ماذا يجب أن نفعل. أومأ "**كولمان**" موافقًا. كان مرحه قد اختفى وبدا مضطربًا، خائفًا وبدون أن ينطق بكلمة وثب إلى سيارة النقل وانطلق بها. وقال السيد "**إيموت**" في غير اقتناع:
– أظن أنه يجب أن نفتش المكان. ثم رفع صوته وصاح:
– "**إبراهيم**"
– نعم. أقبل خادم البيت وهو يجري ودار بينه وبين السيد "**إيموت**" حديث طويل باللغة العربية. كان يبدو أنه ينكر شيئًا بشدة وأخيرًا قال "**إيموت**" في حيرة:
– إنه يقول إن أحداً لم يدخل هنا بعد الغداء.. لم يدخل أحد إطلاقًا. لا ريب في أن القاتل دخل دون أن يلحظه أحد. قال السيد "**مركادو**":
– طبعاً إنه تسلل في وقت لم يلحظه فيه الغلام. قال السيد "**إيموت**":
– هذا جائز. ولكنه نطق بهاتين الكلمتين في تردد فنظرت إليه متسائلة وتحول هو إلى الغلام "**عبد الله**" وألقى إليه سؤالاً وأجابه الغلام وهو يحتج بكل قواه. وازدادت تقطيبة السيد "**إيموت**" وقال مشدوهًا:
– إني لا أفهم شيئًا على الإطلاق. ولكنه لم يقل لي ما الشيء الذي لا يفهمه.

- 11 -

جريمة غامض

إني ألتزم هنا بقدر المستطاع بتسجيل دوري الخاص في هذه المأساة. ولهذا السبب أمرُّ مَرَّ الكرام على الأحداث التي تلت الساعتين التاليتين: قدوم النقيب

"**ميتلاند**" ومعه رجال البوليس ومجيء الدكتور "**ريلي**" والارتباك الذي سببه وجودهم في البيت والاستجوابات، وكل الإجراءات التي كان لابد منها في مثل هذه الظروف. من رأيي أن كل الإجراءات التمهيدية كانت قد انتهت في نحو الساعة الخامسة عندما طلب إليَّ الدكتور "**ريلي**" أن أرافقه إلى المكتب.. وأغلق الباب وجلس في مقعد الدكتور "**ليدنر**" وأشار إليَّ أن أجلس أمامه ثم قال لي على الفور:

- والآن أيتها الممرضة.. هذه جريمة غامضة والظروف التي تحيط بها مريبة.

اعتدلت في جلستي ونظرت إليه فأخرج دفتراً صغيراً من جيبه وقال:

- إشباعاً لغرض خاص أريد أن أعرف في أي وقت بالتحديد اكتشف الدكتور "**ليدنر**" جثة زوجته؟

- كانت الساعة قد بلغت الثالثة إلا الربع تقريباً.

- وكيف أمكنك التأكد من ذلك؟

ألقيت نظرة إلى ساعتي وأنا أنهض.. وكانت الساعة عندئذ الثالثة إلا الثلث.

- دعيني ألقي نظرة على ساعتك. ولما أعطيته الساعة قال:

- إنها مضبوطة تماماً. أهنئك يا آنسة. انتهينا من هذه المسألة على الأقل. هل كونت لك رأياً عن المدة التي كانت قد انقضت على موتها عندما اكتشفتم ذلك؟

- الحقيقة يا دكتور أني لا أستطيع الرد على هذا السؤال.

- لا حاجة بك إلى هذا التحفظ.. كل ما أريد معرفته هو إذا كنت تتفقين معي في هذا الرأي.

- الواقع أنها كانت قد لقيت حتفها منذ ساعة تقريباً.

- حسناً إني فحصت الجثة في تمام الساعة الرابعة والنصف وأميل إلى القول بأن الموت حدث فيما بين الساعة الواحدة والربع والواحدة والدقيقة الخامسة والأربعين. ولنقل إن الموت حدث في الساعة الواحدة والنصف تماماً. وأمسك وربت بيده على المنضدة في تفكير وقال:

– هذه قصة غريبة . .هل تستطيعين أن تخبريني بشيء ما؟ تقولين إنك كنت تستريحين في غرفتك ، هل سمعت شيئًا في الساعة الواحدة والنصف؟
يادكتور . .لم أسمع شيئًا في الساعة الواحدة والنصف ولا في أية لحظة أخرى، استلقيت فوق فراشي من الساعة الواحدة إلا الربع حتى الساعة الثالثة إلا الثلث ولم أسمع أي شيء فيما عدا دندنة الغلام "**عبد الله**" في الفناء .وبعض كلمات تبادلها السيد "**إيموت**" وهو في الحوش مع الدكتور "**ليدنر**" فوق السطح .وفتح الباب في هذه اللحظة ودخل الدكتور "**ليدنر**" والنقيب "**ميتلاند**" وكان هذا الأخير رجلاً قصير القامة ذا عينين رماديتين تتقدان مكرًا وخبثًا .ونهض الدكتور "**ريلي**" وأجلس الدكتور "**ليدنر**" في رفق وقال :

– يسرني أنك أتيت، فسنحتاج إليك .هناك شيء غريب جدًا في هذه القصة .أطرق الدكتور "**ليدنر**" إلى الأرض ثم نظر إليّ وقال :

– إني أعلم أن زوجتي ذكرت الحقيقة للممرضة "**ليذبران**" وما دام هنا تحقيق فلا يجب إخفاء شيء عن العدالة ولهذا أرجو أن تتكرمي أيتها الممرضة وتذكري للنقيب "**ميتلاند**" والدكتور "**ريلي**" ما أخبرتك به زوجتي أمس .ذكرت لهما مادار بيننا من حديث،كله تقريبًا بقدر المستطاع . وكان النقيب "**ميتلاند**" يطلق صيحة من لحظة لأخرى، وعندما فرغت من قصتي تحول إلى الدكتور "**ليدنر**" وقال :

– هل كل هذا صحيح يا دكتور؟

كل ما ذكرته الممرضة "**ليذبران**" صحيح تمامًا .قال الدكتور "**ريلي**" :

– ما أغرب هذه القصة! هل يمكنك أن تقدم لنا هذه الرسائل؟

– ليس لدي أيّ شك في أنك ستجدها بين أوراق زوجتي الخاصة .قلت إنها أخرجتها من حافظة جلدية كانت موضوعة فوق المنضدة .

– لاريب إذن في أنها ما زالت مكانها .وتحول إلى النقيب "**ميتلاند**" وقد قست ملامح وجهه وقال :

– ليست هناك أية حاجة إلى كتمان هذه القصة أيها النقيب . .كل ما يهمنا هو

أن نلقي القبض على القاتل وأن يلقى جزاءه. قلت:

- هل تعتقد أنه هو الزوج الأول للسيدة "**ليدنر**"؟ سألني النقيب "**ميتلاند**":

- هل تعتقدين ذلك أيتها الممرضة؟ أجبت في تردد:

- أظن أن هناك مجالاً للشك. وقال الدكتور "**ليدنر**":

- إن الرجل قاتل مجنون وشديد الخطر. يجب أن نعثر عليه يا نقيب "**ميتلاند**" وأظن أن هذا ليس بالشيء العسير. وقال الدكتور "**ريلي**" في بطء:

- بل أظن أن الأمر عسير جداً أكثر مما تتوقع.. مارأيك يا "**ميتلاند**"؟راح النقيب "**ميتلاند**" يفتل شاربه من غير أن يرد. وأجفلت فجأة وقلت:

- معذرة.. ولكن أظن أن هناك نقطة يجب أن أذكرها لكم. ورويت لهم قصة العراقي الذي فاجأناه يحاول اختلاس النظر من النافذة والذي رأيته في صباح اليوم التالي يتحدث إلى الأب "**لافيني**". وقال النقيب"**ميتلاند**":

- حسناً. سآخذ مذكرة بذلك.. قد يكون أثراً يبدأ به رجال البوليس تحرياتهم. ومن الجائز أن هذا الرجل اشترك في الجريمة. قلت:

- لعله جاسوس أرسله القاتل للاستكشاف. هز النقيب "**ميتلاند**" رأسه وقال:

- أرجو أن تعيرني كل اهتمامك يا "**ليدنر**". سأعيد عليك الأقوال التي جمعناها حتى الآن. بعد العشاء الذي بدأ في الثانية عشرة وانتهى في الواحدة إلا خمساً وعشرين دقيقة، مضت زوجتك إلى غرفتها ومعها الممرضة "**ليذبران**" لتعاونها على الاستلقاء في فراشها، وذهبت أنت نفسك إلى السطح حيث قضيت الساعتين التاليتين. كل هذا صحيح، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل نزلت من السطح في أثناء ذلك؟

- كلا.

- هل صعد أحد وراءك؟

- نعم صعد "**إيموت**" مرات كثيرة. كان يتنقل جيئة وذهاباً بيني وبين الغلام الذي يغسل الآنية الفخار في الحوش.

– هل أطللت أنت نفسك من فوق السطح إلى الفناء لكي ترى ما يدور فيه؟

– نعم .مرة أو مرتين لكي أسأل "**إيموت**" عن شيء .

– وهل رأيت الغلام جالساً في الفناء في كل من هاتين المرتين؟

– نعم .

– ما أطول فترة قضاها "**إيموت**" معك وغاب فيها عن الفناء؟ فكر الدكتور "**ليدنر**" ثم قال :

– من العسير أن أتذكر . .ربما نحو عشر دقائق .أنا شخصيًّا أميل إلى القول بأن الفترة قد تكون دقيقتين أو ثلاث دقائق ؛ لأنني أفقد معنى الزمن إذا ما استغرقت في العمل. نظر النقيب "**ميتلاند**" إلى الدكتور "**ريلي**" وهز هذا الأخير رأسه وقال :

– من الأوفق أن نجلو كل شيء .أخذ النقيب دفتر مذكراته وفتحه وهو يقول :

– اسمع يا "**ليدنر**" . .سأتلو عليك بيانًا بما كان يفعله كل عضو من أعضاء بعثتك فيما بين الساعة الواحدة والثانية من بعد ظهر اليوم .

– ولكن . .

– انتظر . .ستفهم ما أقصده بعد دقيقة واحدة . .سأتكلم أولاً عن السيد والسيدة "**مركادو**" . .كان السيد "**مركادو**" يزاول عمله في المعمل .أما السيدة "**مركادو**" فكانت تغسل شعرها في غرفة نومها .كانت الآنسة "**جونسون**" تنقل بعض البصمات في غرفة المعيشة .وكان السيد "**ريتر**" يحمض بعض الصور في الغرفة السوداء .وكان الأب "**لافيني**" يقوم بعمله المعتاد في غرفته،أما الرجلان الباقيان، وهما "**كاري**" و "**كولمان**" فقد كان أولهما عند الحفائر والثاني في "**الحسينية**" . .هذا فيما يتعلق برجال البعثة . .ولننتقل الآن إلى الخدم . .كان الطاهي، وهو شاب هندي، جالسًا أمام البيت يثرثر مع البواب وينظف زوجًا من الدجاج .وقد لحق "**إبراهيم**" و "**منصور**" بهما في نحو الواحدة والربع .وظلوايضحكون ويلهون حتى الثانية والنصف .وفي هذه الساعة كانت زوجتك قد لقيت حتفها .انحنى الدكتور

إلى الأمام وقال:

- إني لاأفهم. إنك تثير حيرتي.. ماذا تقصد أن تقول؟

- هل يمكن لأي أحد أن يدخل غرفة زوجتك عن طريق الباب المؤدي إلى الفناء؟

- كلا.. هناك نافذتان، ولكنهما مزودتان بقضبان حديدية متينة ثم إنهما كانتا مغلقتين. وألقى إليّ نظرة متسائلة فقلت:

- كانتا مغلقتين بالرتاج من الداخل. قال النقيب "**ميتلاند**":

- مهما يكن من أمر، وحتى إذا كانتا مفتوحتين فلا يمكن لأحد أن يدخل منهما وقد تأكدت من ذلك أنا ورجالي. والأمر كذلك مع جميع النوافذ المطلة على الفناء فكلها مزودة بقضبان حديدية متينة.. وأي رجل غريب يريد أن يدخل غرفة زوجتك فلابد له من المرور من الباب العمومي وعبور الفناء. ولكن الطاهي والبواب والخدم يشهدون كلهم أنهم لم يروا أحداً. هب الدكتور "**ليدنر**" واقفاً وقال:

- ماذا تعني؟ تكلم. قال الدكتور "**ريلي**" في هدوء:

- تشجع يا صديقي. إنها صدمة شديدة. ولكن لابد لك من مواجهتها. إن القاتل لم يات من الخارج وإنما من الداخل. وكل الظواهر تدل على أن السيدة "**ليدنر**" قتلها أحد أعضاء بعثتك.

- 12 -
لا أستطيع أن أصدق

- كلا.. كلا. وراح الدكتور "**ليدنر**" يذرع الغرفة جيئة وذهابًا في انفعال.

- هذا مستحيل يا "**ريلي**".. مستحيل تمامًا.. واحد منا.. إن كل أعضاء البعثة كانوا يحبون "**لويز**". مط الدكتور "**ريلي**" شفتيه.. كان من المستحيل في مثل

هذه الظروف أن يُبدي رأيه.. ولكن إذا كان الصمت معبراً فإن صمت الدكتور "**ريلي**" كان أبلغ من الكلام.وعاد الدكتور "**ليدنر**" يقول:

– مستحيل تماماً.. إن الجميع كانوا يحبونها. إنها كانت تتمتع بفتنة وسحر كبيرين يستحوذان على أفئدة الجميع.سعل الدكتور "**ريلي**" وقال:

– أرجو المعذرة يا "**ليدنر**"، ولكنك تعبر عن رأيك الشخصي.وإذا كان هناك من يكره زوجتك من أعضاء البعثة لحرص على ألا تلحظ أنت ذلك.ارتسمت أمارات القلق على "**ليدنر**" وقال:

– هذا صحيح.ومع ذلك فإني أعتقد أنك مخطىء يا "**ريلي**".إني واثق بأن الجميع كانوا مغرمين بـ"**لويز**". وسكت لحظة ثم صاح محنقًا:

– إن رأيك هذا شائن.. كلا، لا أستطيع أن أصدق.قال النقيب "**ميتلاند**":

– ولكن لا يمكن أن تنكر الوقائع.

– الوقائع.الوقائع.. كلها أكاذيب رواها طاه هندي وخادمان.إنك تعرف هؤلاء الخدم جيداً كما أعرفهم أنا يا "**ريلي**"، وكذلك أنت يا "**ميتلاند**" إن الحقيقة لاقيمة لها بالنسبة إليهم، وهم يقولون ماتريد منهم أن يقولوه بدافع من الأدب.قال الدكتور "**ريلي**" في جفاء:

– إنهم في هذه الحالة بالذات يقولون ما لانريد منهم قوله.إنهم يتجمعون دائماً أمام الباب في مثل هذا الوقت كل يوم ويثرثرون.وأنا أعرف عاداتهم هذه جيدا، فإني في كل مرة آتي فيها إلى البيت بعد الظهر كنت أراهم مجتمعين أمام الباب يثرثرون ويتبادلون الحديث.

إنك تفترض أشياء كثيرة، على كل حال لماذا لايكون هذا الرجل..أو هذا الشيطان قد دخل قبل ذلك واختبأ في مكان ما؟ قال الدكتور "**ريلي**" في برود:

– هذه نظرية جائزة.لنفترض إذن أن رجلاً غريبًا دخل البيت دون أن يراه أحد.لوصح هذا فقد كان يتعين عليه أن يختبئ حتى يرتكب جريمته، ولا يوجد في غرفة السيدة "**ليدنر**" أي مكان يصلح لكي يختبىء فيه طبعًا، وعليه فقد كان عليه أن يختبئ في مكان آخر وأن يجازف بأن يراه الغلام "**عبد الله**" أو

"**إيموت**" وهو داخل أو وهو خارج، وهما لم يغادرا الفناء تقريبًا.قال الدكتور "**ليدنر**" :

– الغلام. .إني نسيت أمره. .إنه صبي يقظ جداً ولا ريب في أنه رأى القاتل وهو يدخل غرفة زوجتي.

– إننا استوضحنا هذه النقطة. .إنه قضى طوال ما بعد الظهر في غسل الآنية الفخارية فيما عدا فترة قصيرة، فقد صعد "**إيموت**" إلى السطح في نحو عشر دقائق.أليس كذلك؟

– بلى.وما كان في استطاعتي أن أحدد الوقت بالتدقيق، ولكني أظن أن الأمر كذلك.

– حسن جداً.انتهز الصبي هذه الفرصة القصيرة لكي يذهب إلى الباب ويثرثر مع الباقين.وعندما عاد "**إيموت**" ولم يجده ناداه وسأله لماذا ترك عمله.وطبقًا للظواهر قتلت زوجتك في أثناء هذه الدقائق العشر.تأوه الدكتور "**ليدنر**" وجلس ودفن وجهه في راحتيه في حين استطرد "**ريلي**" يقول في صوت هادئ:

– وهذا يتفق مع ملاحظاتي، فإن السيدة "**ليدنر**" كانت قد ماتت منذ نحو ثلاث ساعات عندما فحصتها.والسؤال الوحيد الذي يجب أن نجد له جوابًا هو من القاتل؟ وساد الصمت.واعتدل الدكتور "**ليدنر**" ومر بيده على جبينه وقال:

– إني أسلم بقوة نظريتك يا "**ريلي**" .إن الأمر يبدو كأن القاتل شخص من أهل البيت، ومع ذلك فإني أعتقد أن هناك خطأ ما وأن نظريتك هذه لاتستند إلى أساس. .وأنت نفسك تعتقد أن مصادفة غريبة قد وقعت.قال الدكتور "**ريلي**" :

–من الغريب أن تنطق بهذه الكلمة.ولكن الدكتور "**ليدنر**" استطرد يقول دون أن يكترث لقول الدكتور "**ريلي**" :

– تسلمت زوجتي رسائل تهديد وكان لديها من الأسباب ما يجعلها تخشى شخصًا بالذات ثم قتلت بعد ذلك. .وتريد مني أن أصدق الآن أن الذي قتلها

ليس ذلك الشخص وإنما شخص آخر غيره.. هذا أمر مضحك. قال "**ريلي**" في تفكير:

–نعم.. يبدو أنه كذلك. ونظر إلى النقيب "**ميتلاند**" وقال:

– مصادفة؟ مارأيك في ذلك يا "**ميتلاند**"؟ هل توافق؟ هل توافق على أن أعرض الأمر على "**ليدنر**"؟ أومأ النقيب "**ميتلاند**" بالموافقة وقال في إيجاز:

– تكلم.

– هل سمعت عن رجل يدعى "**هركيول بوارو**" يا "**ليدنر**"؟ حملق الدكتور "**ليدنر**" إليه بدهشة وقال:

– هذا الاسم ليس غريبًا عليّ. سمعت السيد "**فان ألدن**" يتحدث عن ذلك الرجل ويمتدحه. إنه مخبر خاص أليس كذلك؟

– هذا صحيح.

– ولكنه يقيم بـ"**لندن**"، فكيف يتسنى له مساعدتنا؟أجاب الدكتور "**ريلي**":

– صحيح أنه يقيم في "**لندن**" ولكن هنا تلعب المصادفة. إنه ليس الآن في "**لندن**"، إنما في "**سوريا**" وسيمر بـ "**الحسينية**" في طريقه إلى "**بغداد**" غداً.

– من قال لك هذا؟

– "**جان بيرا**"، القنصل الفرنسي. كنا نتناول العشاء معًا أمس فتحدث عنه. ويبدو أن "**بوارو**" استطاع أن يجلو أسرار فضيحة عسكرية في "**سوريا**" وسيمر من هنا في طريقه إلى "**بغداد**" ثم يعود بعد ذلك إلى "**لندن**"، ما رأيك في هذه المصادفة؟ تردد الدكتور "**ليدنر**" ونظر إلى النقيب "**ميتلاند**" كأنما يريد أن يعتذر وقال:

– وأنت أيها النقيب، ما رأيك؟ أسرع النقيب يقول:

– إني أرحب بأية مساعدة، إن رجالي ممتازون في التحري والتحقيق في جرائم القتل والأخذ بالثأر بين العرب، وأقول لك صراحة يا "**ليدنر**" إن

مقتل زوجتك لايدخل في اختصاصي، فكل الظواهر تدل على أنها جريمة يحيط بها الغموض، وليس لديّ أفضل من أن أرى هذا المخبر يتولى حل طلاسمها.

– بقول آخر تريد مني أن ألجأ إلى هذا الرجل المدعو "**بوارو**" لكي يساعدنا، ولكن لنفرض أنه رفض. قال الدكتور "**ريلي**":

– إنه لن يرفض.

– وما أدراك؟

– لأنني أنا نفسي كطبيب إذا جاءني زميل وعرض عليّ أن أساعده في حالة معقدة تستعصي عليه فإني لاأستطيع أن أرفض، وهذه الجريمة تخرج عن المألوف يا دكتور "**ليدنر**". قال الدكتور "**ليدنر**" وقد توترت شفتاه من الألم:

– هذا صحيح، هل تتكرم إذن وتطلب هذا الـ"**هركيول بوارو**" نيابة عني؟

– سمعًا وطاعة. شكره الدكتور "**ليدنر**" بحركة من يده ثم قال في بطء:

– إنني لا أستطيع أن أصدق حتى هذه اللحظة أن "**لويز**" ماتت. ولم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك فقلت:

– أوه ! دكتور "**ليدنر**"، لا أستطيع أن أصف لك شعوري. إني فشلت فشلاً ذريعًا في مهمتي، كان يتعين عليّ أن أسهر على السيدة "**ليدنر**" وأن أبعد عنها كل شر. ولكن الدكتور "**ليدنر**" هز رأسه وقال:

– كلا، كلا يا آنسة، لا لوم عليك إطلاقًا، وليغفر الله لي فأنا الملوم، فلم أصدق.. لم أستطع أن أصدق.. لم يخطر لي لحظة واحدة أن هناك أي خطر عليها. ونهض وقد توترت عضلات وجهه واستطرد:

– إنني تركتها لمصيرها، لم أفعل شيئًا وتركتها تواجه الموت.. لم أصدق. وخرج من الغرفة وهو يترنح. ورفع الدكتور "**ريلي**" عينيه إليّ وقال:

– أنا الآخر أشعر بالمسؤولية، فقد حسبت المرأة المسكينة تتلاعب بأعصاب زوجها.

– أنا الآخر لم آخذ قصتها مأخذ الجد. قال الدكتور "**ريلي**" في صوت أجش:

– إننا أخطأنا نحن الثلاثة. وقال النقيب "**ميتلاند**" :

– هذا ما يبدو.

- 13 -
"هركيول بوارو"

لن أنسى أبداً الانطباع الذي تركه "**هركيول بوارو**" في نفسي عندما رأيته لأول مرة.إنني اعتدت رؤيته فيما بعد طبعاً ولكن هيئته أثارت دهشتي في البداية وأظن أن الجميع قد تملكهم الإحساس نفسه الذي أحسست به.ولا أدري ماذا كنت أتصور.. كنت أتصوره رجلاً على غرار "**شرلوك هولمز**"، طويل القامة، وسيم الوجه شديد الذكاء..وكنت أعرف طبعاً أنه رجل أجنبي، ولكنني لم أكن أظن أنه يبدو أجنبيًّا إلى هذا الحد، فما إن تراه حتى تأخذك الرغبة في الضحك، فقد كان أشبه بالممثل الهزلي منه إلى رجل البوليس..وأبدأ فأقول:

– إن طوله لا يزيد عن 162 سنتيمتراً.وهو رجل قصير له شارب ضخم ورأس أشبه بالبيضة.كان يبدو في مجمله كما لو كان حلاقًا في إحدى الهزليات.هذا هو الرجل الذي سيهتدي إلى قاتل السيدة "**ليدنر**"! وأظن أنه لمح خيبة الأمل التي ارتسمت على وجهي ؛لأنه غمز لي بعينه بصورة مضحكة وقال:

– إن شكلي لايروقك يا آنسة ولكن لا تنسي أن المرء لا يعرف طعم "البودنج" إلا عندما يأكله.وهذا مثل إنجليزي قديم أراد به أن يقول إنه لا يجب أن أحكم على الشيء من مظهره، ولكنني مع ذلك لم أشعر بالاطمئنان من ناحيته.وقد جاء به الدكتور "**ريلي**" في سيارته يوم الأحد، وبعد الغداء بقليل، وطلب المخبر البلجيكي القصير أن نجتمع كلنا في غرفة واحدة. وجلسنا جميعًا حول المائدة

في غرفة الطعام. وجلس "**بوارو**" في صدر المائدة وبجواره الدكتور "**ليدنر**" من ناحية والدكتور "**ريلي**" من الناحية الأخرى. وعندما اكتمل شملنا تولى الدكتور "**ليدنر**" الكلام فقال بصوته الهادئ المتردد:

- إنكم سمعتم جميعًا عن السيد "**هركيول بوارو**" طبعًا. كان يمر اليوم بـ"**الحسينية**" وقد تكرم فقطع رحلته لكي يمد إلينا يد المساعدة. إن البوليس العراقي والنقيب "**ميتلاند**" يبذلون جهدهم وأنا متأكد من ذلك. ولكن.. هناك بعض الظروف في هذه القضية.. وارتبك ونظر إلى الدكتور "**ريلي**" متوسلاً ويبدو أن هناك بعض الصعوبات.. وتدخل الرجل القصير فقال:

- أوه اطبعًا.. فهناك شيء مريب في هذه القضية. صاحت السيدة "**مركادو**":

- يجب إلقاء القبض عليه بكل وسيلة.. ولا أستطيع احتمال فكرة إفلاته من العدالة. ألقى المخبر إليها نظرة استحسان وقال:

- القبض عليه؟ من تعنين يا سيدتي؟

- القاتل طبعًا. قال "**هركيول بوارو**":

- آه.. القاتل. وقد تكلم كما لو أن القاتل لا يهمه إطلاقًا.. ورفع الجميع عيونهم إليه فجال ببصره بيننا في اهتمام وقال:

- يُخَيَّل إليَّ أن ما من أحد منكم قد اشترك قبل اليوم في قضية جنائية؟ وردت عليه تمتمة إجماعية بالنفي فابتسم وقال:

- غني عن البيان أن أقول إنكم تجهلون إجراءات التحقيق. إنها إجراءات بغيضة.. بغيضة جدًا.. فهناك الشك أولاً..

- الشك؟ كانت الآنسة "**جونسون**" هي التي تكلمت.. وتأملها السيد "**بوارو**" في تفكير. وخُيل إليَّ أنه استحسن مقاطعتها له وأنه يقول في نفسه «هذه امرأة ذكية عاقلة» نعم يا آنسة الشك. ولنتكلم بكل صراحة. إن الشك يقع على أهل البيت كلهم.. الطاهي والخدم وكل أعضاء البعثة. نهضت السيدة "**مركادو**" وقد احمر وجهها وصاحت:

- ياللجرأة! كيف تجرؤ على مثل هذا القول؟.. هذا فظيع.. كيف تسمح يا دكتور

"**ليدنر**" لهذا الرجل. .هذا الرجل. .قال الدكتور في صوت متعب:

– أرجو أن تحتفظي بجاشك يا "**ماري**" .نهض السيد "**مركادو**" بدوره.وكانت يداه ترتعشان وعيناه محتقنتين وقال:

– إنني أوافق زوجتي على قولها. .هذه إهانة. .إهانة كبيرة. قال "**بوارو**" :

– كلا. .كلا. .إنني لم أقصد إهانة أحد. .إنما أطلب إليكم أن تواجهوا الحقائق، ففي البيت الذي ترتكب فيه جريمة قتل يخضع كل من فيه للشبهة والشك.إنني أسألكم ما الدليل الذي تستندون إليه في أن القاتل أقبل من الخارج؟ صاحت السيدة "**مركادو**" :

– إنه أقبل من الخارج طبعًا. .هذا واضح لكل ذي عينين.لماذا. .؟ وأمسكت لحظة ثم قالت في بطء:

– إن أي افتراض آخر غير مقبول.قال "**بوارو**" وهو ينحني:

– لاريب في أنك على حق ياسيدتي. .إنما أردت فقط أن أبين لكم سير إجراءات التحقيق.وقبل أي شيء أريد أن أطمئن على براءة كل من في هذه الغرفة ثم أبحث بعد ذلك عن القاتل في مكان آخر. قال الأب "**لافيني**" :

– إننا بين يديك وأرجو أن تتحقق من براءتنا بأسرع ما يمكن.

– لك ذلك.ولكن من واجبي أن أوضح لكم الموقف حتى لا تصدم أسئلتي – على ما فيها من وقاحة – شعوركم.ولعل الأب "**لافيني**" يضرب لنا مثلاً على ذلك.قال الأب "**لافيني**" في صوت رزين:

– سل ما شئت من أسئلة.

– أهذا أول موسم لك؟

– نعم.

– ومتى وصلت؟

– منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا. .في 27 شباط (فبراير) بالذات.

– ومن أين أتيت؟

– من دير الآباء البيض بـ "**قرطاجة**" .

– شكراً لك يا أبي..هل كنت تعرف السيدة "**ليدنر**" قبل قدومك هنا؟

– كلا..لم يسبق لي أن التقيت بها قبل ذلك.

– هل لك أن تقول لي ماذا كنت تفعل ساعة الجريمة؟

– كنت افك بعض الرموز الآشورية في غرفتي.ولاحظت أنه كان مع "**بوارو**" رسم كروكي للبيت وقال:

– أظن أن غرفتك هي الغرفة الواقعة في الزاوية الجنوبية المواجهة لغرفة السيدة "**ليدنر**" في الناحية الأخرى؟

– نعم.

– في أية ساعة عدت إلى غرفتك؟

– بعد الغداء مباشرة..في الواحدة إلا الربع.

– ومتى غادرتها؟

– قبل الثالثة بقليل سمعت سيارة النقل تعود ثم تنطلق من جديد على الفور تقريباً.وقد استغربت لذلك فخرجت أستطلع الأمر.

– هل تغيبت عن غرفتك فيما بين الواحدة إلا الربع والثالثة إلا الثلث؟

– كلا ولا مرة واحدة.

– هل سمعت أو رأيت شيئاً يمكن أن يلقي الضوء على هذه المأساة؟

– كلا.

– هل لغرفتك نافذة مطلة على الفناء؟

– كلا.إن بها نافذتين تطلان على الريف.

– هل كان في إمكانك أن تسمع شيئاً مما يدور في الفناء؟

– لم يكن في مقدوري أن أسمع الكثير.سمعت السيد "**إيموت**" يمر بغرفتي مرتين وهو في طريقه إلى السطح.

– هل تذكر في أي وقت حدث هذا؟

– كلا.لا أستطيع أن اذكر فقد كنت مستغرقاً في عملي.وساد صمت قصير قطعه "**بوارو**" أخيراً بأن قال:

– ألا يمكنك أن تذكر لنا شيئًا ما يلقي أي ضوء على هذه القضية؟ هل لاحظت مثلاً شيئًا في الأيام التي سبقت وقوع الجريمة؟ نظر الأب "**لافيني**" إلى الدكتور "**ليدنر**" في ارتباك واستفهام ثم قال بعد لحظة:

– هذا سؤال عسير ياسيدي.. وما دمت تسألني فسأرد عليك بصراحة وبقدر ما أعلم. كانت السيدة "**ليدنر**" تخشى شيئًا ما أو شخصًا ما، كان يتملكها الانفعال والخوف إذا ماوقعت عيناها على أي شخص غريب وأظن أن هناك سببًا لهذا الانفعال والخوف .. ولكني لا أعرف شيئًا فإنها لم تطلعني على ما يخيفها. تنحنح "**بوارو**" ونظر إلى المذكرات التي في يده وقال:

– أظن أني فهمت أنه وقعت منذ ليلتين محاولة للسرقة. أجاب الأب "**لافيني**" بالإيجاب.. وكرر قصة النور الذي لمحه في غرفة الآثار والبحث الذي تلا ذلك دون نتيجة.

– هل تعتقد أن شخصًا غريبًا دخل البيت في ذلك الوقت؟ أجاب الأب "**لافيني**":

– لا أعرف ماذا أقول، لم يسرق أو ينقص أي شيء.. لعله أحد الخدم.

– أو أحد أعضاء البعثة.

– أو أحد أعضاء البعثة ؟ ولكن إذا صح هذا فلماذا لم يعترف بذلك؟ ولكن من الجائز أن يكون ذلك الشخص رجلاً غريبًا عن البيت؟

– أظن ذلك.

– لنفرض أن رجلاً غريبًا دخل البيت فهل كان في استطاعته أن يختفي طوال اليوم التالي وحتى بعد الظهر من غير أن يراه أحد؟ ألقى "**بوارو**" هذا السؤال إلى الأب "**لافيني**" والدكتور "**ليدنر**" في وقت واحد. وفكر الرجلان لحظة ثم قال الدكتور "**ليدنر**" في شيء من التردد:

– لا أظن ذلك فليس هناك مكان يختفي فيه. مارأيك أيها الأب "**لافيني**"؟

– كلا.. كلا.. ليس هناك أي مكان. وبدا أن كلاً منهما يبعد هذا الاحتمال على مضض منه.. وتحول "**بوارو**" إلى الآنسة "**جونسون**" وسألها:

– وأنت يا آنسة؟ هل تظنين أن هناك أي احتمال لذلك؟ وبعد لحظة هزت الآنسة "**جونسون**" رأسها قائلة:

– كلا. أبداً. ليس هناك أي مكان يمكن أن يختبئ فيه أحد. إن كل غرف النوم مشغولة، ثم إنه ليس بها إلا القليل من الأثاث وغرفة التصوير وغرفة المعمل.. وكان العمل دائراً فيهما طوال النهار وكذلك باقي الغرف. وليس هناك دواليب أو أماكن أخرى يمكن الاختباء فيها، هذا مالم يكن الخدم شركاء. قال "**بوارو**":

– هذا جائز ولكنه غير معقول. ومرة أخرى قال مخاطباً الأب "**لافيني**":

– سؤال آخر.. رأتك الآنسة "**ليذبران**" في اليوم السابق تتحدث إلى رجل أمام باب البيت وكانت قد رأت ذلك الرجل قبل ذلك يحاول اختلاس النظر من إحدى النوافذ الخارجية ويبدو أن ذلك الرجل كان يحوم حول البيت لغرض ما. قال الأب "**لافيني**" في تفكير:

– هذا جائز أيضاً.

– أهو الذي بدأك بالحديث؟فكر الأب "**لافيني**" لحظة ثم قال:

– نعم.. يبدو ذلك آه.. إني أذكر الآن.. هو الذي بدأني بالحديث.

– ماذا قال لك؟مرت فترة خيل إليَّ فيها أن الأب "**لافيني**" يبذل جهده لكي يتذكر ثم قال:

– أظن أنه سألني إذا كان هذا هو بيت البعثة. ثم أشار إلى كثرة العمال الذين يعملون في الحفائر وأعترف أني لم أفقه تماماً ماذا كان يريد. ولكني حاولت أن أجاريه في الحديث لكي أزيد معرفتي باللغة العربية. فقد خُيل لي أن هذا الرجل، بصفته الحضارية، يمكن أن يفهمني بسهولة أكثر من هؤلاء العمال الذين يشتغلون في الحفائر.

– ألم تتناول موضوعاً آخر؟

– قلت له – على ماأذكر – إن "**الحسينية**" مدينة كبيرة، ولكننا لم نلبث أن اتفقنا على أن "**بغداد**" أكبر، وأظن أنه سألني هل أنا أردني أو سوري كاثوليكي

أو ما أشبه.أومأ "**بوارو**" وسأله:

– هل يمكنك أن تذكر أوصاف هذا الرجل؟ فكر الأب "**لافيني**" مرة أخرى ثم قال:

– كان قصيراً، ربع القوام أشقر اللون بعينيه حول ملحوظ.تحول "**بوارو**" إليَّ وقال:

– هل يتفق هذا الوصف مع الصورة التي له في مخيلتك؟

– أبداً.إني لاحظت أنه طويل القامة ناحل العود أسمر اللون جداً وليس به أي حول.هز "**بوارو**" كتفيه في يأس وقال:

– هكذا الأمر دائماً..ولو أنك من رجال البوليس لعرفت ما أعنيه، فلا تتفق شهادة رجلين مختلفين أبداً في وصف شخص واحد، فإن أقوالهما تتناقض دائماً.قال الأب "**لافيني**":

– إني متأكد من الحول.أما النقاط الأخرى فمن الجائز أن تكون الآنسة "**ليذبران**" على حق فيها.وعندما قلت أشقر اللون عنيت أنه أشقر بالنسبة إلى العراقيين.وأظن أن الممرضة تعتبر لونه هذا أسمر.قلت:

– بل كان أسمر جداً بلون الزيتون.رأيت الدكتور "**ريلي**" يجز على شفتيه ويبتسم.وحرك "**بوارو**" يده وقال:

– ليكن..قد يكون لهذا الرجل أهميته وقد لاتكون له أهمية على الإطلاق.ولكن يجب أن نعثر عليه على كل حال.لنستمر في تحرياتنا الآن. وتردد لحظة وهو يدرس الوجوه التي حوله ثم أشار برأسه إلى السيد "**ريتر**" وقال:

– وأنت يا صديقي..قل لنا ماذا فعلت ظهر أمس؟ احمر وجه السيد "**ريتر**" وقال:

– أنا؟

– نعم.أنت..اسمك وعنوانك؟

– "**كارل ريتر**" 28 سنة.

– أمريكي؟ أليس كذلك؟

– بلى ، من مواليد "**شيكاغو**" .

– أهذا أول موسم لك؟

– نعم. .إنني أقوم بالتصوير.

– حسناً. .ماذا فعلت بعد ظهر أمس؟

– بقيت في الغرفة السوداء أكبر جزء من النهار.

– أكبر جزء من النهار؟

– نعم. . حمضت الصور في بادئ الأمر ثم أعددت أشياء أخرى لتصويرها.

– في الخارج؟

– كلا. بل في غرفة التصوير.

– وهل الغرفة السوداء ملحقة بغرفة التصوير؟

– نعم.

– ولم تخرج من غرفة التصوير قط؟

– مطلقاً.

– هل لاحظت مايدور في الفناء؟هز الشاب رأسه وقال:

– كلا. .لم ألحظ شيئًا. .كنت مشغولاً جداً.سمعت صوت سيارة النقل طبعًا.وبمجرد أن استطعت التخلي عن عملي خرجت لكي أرى إذا كانت هناك خطابات باسمي. .وعندئذ عرفت. .

– في أية ساعة بدأت عملك في الاستوديو؟

– في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق.

– هل كنت تعرف السيدة "**ليدنر**" قبل التحاقك بالبعثة؟

– كلا ياسيدي.لم يسبق لي أن رأيتها قبل ذلك.

– ألا تستطيع أن تذكر شيئًا ما؟ أي شيء يمكن أن يلقي الضوء على هذه الجريمة.هز "**كارل ريتر**" رأسه وقال يائسًا:

– إنني لا أعرف شيئًا ما.

– وأنت ياسيد "**إيموت**"؟ تكلم "**دافيد إيموت**" بصوته الواضح الرقيق فقال:

– قضيت الوقت من الساعة الواحدة ألا الربع حتى الثالثة إلا الربع في فحص قطع الفخار المكسورة أنا والغلام "**عبد الله**". وكنت أصعد من وقت إلى آخر إلى السطح لمساعدة الدكتور "**ليدنر**".

– كم مرة صعدت؟

– أربع مرات على ما أعتقد.

– وكم دقيقة تغيبت في كل مرة؟

– لم أزد على دقيقتين. .ولكن صعدت مرة بعد نحو نصف الساعة من بدء العمل وبقيت معه نحو عشر دقائق أستطلع رأيه في القطع التي أحتفظ بها والأخرى التي يحسن أن نتخلص منها.

– وأظن أنك وجدت الغلام قد غادر مكانه عندما هبطت؟

– نعم. .وقد ناديته محنقًا فأتى فجأة من الباب العمومي، وكان قد انضم إلى الآخرين لكي يثرثر معهم.

– أهذه هي المرة الوحيدة التي تخلى فيها عن عمله؟

– أرسلته مرة أو مرتين إلى السطح ببعض قطع الفخار. قال "**بوارو**" في بطء:

– أظن أنه ليس هناك جدوى من أن أسألك إذا كنت قد رأيت في أثناء ذلك شخصًا يدخل غرفة السيدة "**ليدنر**" أو يخرج منها. أجاب السيد "**إيموت**" مسرعًا فقال:

– لم أر أحداً على الإطلاق. لم يدخل أحد الحوش في أثناء الساعتين اللتين قضيتهما فيه.

– وتظن أن الساعة كانت الواحدة والنصف عندما تغيبت أنت والغلام وبقي الفناء خاليًا؟

– تقريبًا لا أستطيع التحديد أكثر من ذلك طبعًا. تحول "**بوارو**" إلى الدكتور "**ريلي**" وقال:

– هل تتفق هذه البيانات مع الوقت الذي وقعت فيه الجريمة يا دكتور؟ أجاب

الدكتور "ريلي" :

– نعم. فتل "بوارو" شاربه وقال:

– أظن أننا نستطيع أن نقول إن السيدة "ليدنر" لقيت حتفها في أثناء هذه الدقائق العشر.

- 14 -
واحد منا

خيم صمت قصير بدا في أثنائه كأن موجة من الشر قد انتشرت في الغرفة، ولأول مرة أيقنت صحة نظرية الدكتور "ريلي" وأحسست أن القاتل واحد منا وأنه موجود معنا يصغي إلى مايدور من حديث. ولا ريب في أن السيدة "مركادو" خامرها الإحساس نفسه لأنها أطلقت صرخة حادة وقالت منتحبة:

– لا حيلة لي. .إنه لأمر فظيع! وخاطبها زوجها قائلاً:

– تشجعي يا "ماري" .ونظر إلينا كما لو كان يعتذر وقال:

– إنها سريعة التأثر ولا تتمالك نفسها.وتنهدت السيدة "مركادو" قائلة:

– إنني. .كنت أحب "لويز" كثيراً.ولا أدري إن كانت مشاعري قد خانتني أو نمّت عليَّ ملامحي لأنني رأيت السيد "بوارو" يتفرس فيّ وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة.وواجهته في برود فاستأنف استجوابه على الفور وقال:

– هل لك أن تذكري لنا ياسيدتي كيف قضيت بعد ظهر أمس؟ قالت السيدة "مركادو" في صوت باك:

– كنت أغسل رأسي، وإنه لأمر مروع أن يقع هذا الأمر دون أن أشك في شيء.

– هل كنت في غرفتك؟

– نعم.

– ألم تغادريها؟

- نعم، لم أغادرها. لم أخرج قبل مجيء سيارة النقل. وعندما سمعت صوتها خرجت وعلمت بما حدث.. إن هذا فظيع!

- وهل أدهشك ذلك؟ كفت السيدة "**مركادو**" عن التأوه واتسعت عيناها غضبًا وقالت:

- السيد "**بوارو**"؟.. ماذا تعني؟.. ماذا تقصد؟

- لا أقصد شيئًا ياسيدتي. ولكنك قلت لي إنك كنت تحبين السيدة "**ليدنر**" ولعلها أسرت إليك بشيء ما.

- أوه.. إنني أفهم.. كلا.. إن "**لويز**" الحبيبة لم تسر إليّ بشيء ما. ولكنها كانت عصبية جداً وشديدة القلق. ثم إنها كانت تقول أشياء غريبة. أيد تدق على النافذة وأشياء أخرى. لم أستطع التزام الصمت أكثر من ذلك فقلت:

- كنت تقولين إنها مجرد أوهام. ولاحظت في ارتياح ارتباكها الفجائي ورأيت السيد "**بوارو**" ينظر إليّ وهو يبتسم ابتسامته الخفيفة من جديد. ولخص "**بوارو**" الموقف قائلاً:

- صفوة القول أنك كنت تغسلين رأسك وأنك لم تري أو تسمعي شيئًا ما. هل تتذكرين شيئًا يمكن أن يساعدنا في التحقيق؟ أسرعت السيدة "**مركادو**" ترد من غير أن تفكر:

- كلا. لم أسمع ولم أر شيئًا ما. كل هذا أمر غامض بالنسبة إليّ، ولكن هناك حقيقة ثابتة وهي أن القاتل أقبل من الخارج.. هذا واضح وضوح الشمس. تحول "**بوارو**" إلى زوجها وقال:

- وأنت ياسيدي.. ألديك ما تقوله؟ أجفل السيد "**مركادو**" بعصبية وخلل لحيته بأصابعه في ارتباك وقال:

- بدون أي شك.. إن القاتل أقبل من الخارج، فليس فينا من يرضى أن يصيب السيدة "**ليدنر**" بأي ضرر.. كانت طيبة جداً وكريمة. وأردف يقول وهو يهز رأسه:

- إن الذي قتلها وحش.. نعم وحش.

– وكيف قضيت بعد ظهر أمس؟

– أنا؟ ونظر في الفضاء فهمست زوجته تقول:

– إنك كنت في المعمل يا "**جوزيف**".

– آه.. نعم.الواقع أني كنت أقوم بعملي المعتاد.

– وفي أية ساعة ذهبت إلى غرفتك؟ ومن جديد تملكه اليأس ونظر إلى زوجته متسائلا فقالت:

– في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق يا "**جوزيف**".

– آه.. نعم.في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق.

– هل خرجت إلى الفناء؟

– كلا..لاأظن..وسكت قليلاً ثم قال:

– كلا إني واثق بأني لم أخرج ولا مرة واحدة.

– وفي أية ساعة علمت بالنبأ؟

– جاءتني زوجتي وأخبرتني به..وقد أثارني هذا النبأ المزعج ولم أستطع تصديقه..وحتى الآن أجد مشقة في ذلك.وفجأة أخذ يرتعش ويقول:

– هذا فظيع..هذا فظيع.أسرعت السيدة "**مركادو**" إليه قائلة:

– نعم.نعم يا "**جوزيف**"..إننا نشعر جميعاً بالأسى لذلك ولكن لايجب أن ننساق وراء الحزن حتى لا نزيد في أحزان الدكتور "**ليدنر**" المسكين.توترت ملامح الدكتور "**ليدنر**"، ولم يكن هناك شك في أن كل هذه المشاعر كانت تشق عليه..ورمقه "**بوارو**" بنظرة كما لو كان يتوسل إليه أن يستمر.وقال المخبر السري على الفور:

– وأنت يا آنسة "**جونسون**"؟

– أخشى ألا أستطيع أن أخبرك بالشيء الكثير.وأحسسنا بشيء من الارتياح ونحن نسمع صوتها الهادىء المتزن بعد صوت السيدة "**مركادو**" الحاد. واستطردت تقول:

– كنت في الغرفة المشتركة أنقل بعض البصمات باللدائن.

– ألم تسمعي شيئًا؟

– نعم، لم أسمع ياسيدي.نظر "بوارو" إليها متفرسًا فقد التقطت أذنه ما التقطته أذناي..لمسة بسيطة من التردد.

– هل أنت واثقة بذلك يا آنسة؟ ألا تتذكرين حتى ولو شيئًا تافهًا؟

– نعم..ياسيدي لا اتذكر حقًّا.

– ربما تكونين قد رأيت شيئًا..شيئًا عابرا.

– إنك تلاحقني في إصرار يا سيد "**بوارو**" وإنه ليُخَيَّل إليَّ أنك تريد مني أن أقول شيئًا قد لايكون له وجود إلا في مخيلتي.

– هناك شيء إذن..لنقل إنك تخيلت شيئًا. أجابت الآنسة "**جونسون**" في بطء وهي تزن كلماتها:

– توهمت..لمجرد لحظة بعد ظهر أمس أني سمعت صرخة حقًّا فقد كانت كل نوافذ غرفة المعيشة مفتوحة وكنت أسمع من خلالها كل الأصوات التي تصدر عن القرويين الذين يعملون في حقول الذرة.ولكن خُيل إليَّ أني سمعت السيدة "**ليدنر**" تصيح وإني لألوم نفسي الآن، فلو أني أسرعت بالذهاب إلى غرفتها فمن الجائز أني كنت أصل في الوقت المناسب.تدخل الدكتور "**ليدنر**" فقال في لهجة لاتقبل الجدل:

– لاتضعي مثل هذه الأفكار في رأسك، فليس هناك أي شك في أن القاتل ضرب السيدة "**ليدنر**" ضربة قاتلة بمجرد دخوله ،ولا ريب في أنها لقيت حتفها على الفور وإلا لكانت قد صرخت واستغاثت.قالت الآنسة "**جونسون**" في إصرار:

– ما زلت أعتقد أنه كان في استطاعتي الإمساك بالقاتل.سألها "**بوارو**":

– في أية ساعة حدث هذا يا آنسة؟ هل كان ذلك في نحو الساعة الواحدة ونصف؟ فكرت لحظة ثم قالت:

– نعم، تقريبًا. قال "**بوارو**" في تفكير:

– هذا متوافق تمامًا، ألم تسمعي شيئًا آخر؟صوت باب يفتح أو يقفل مثلاً؟ هزت الآنسة "**جونسون**" رأسها بالنفي وقالت:

– لا أذكر أني سمعت أي شيء من هذا القبيل.

– لاشك في أنك كنت تجلسين أمام المنضدة.. فهل كان وجهك نحو الحوش،أو نحو غرفة الآثار أو نحو الشرفة؟

– كان وجهي نحو الحوش.

– هل كنت ترين من مكانك الغلام "**عبد الله**" وهو يغسل الآنية؟

– نعم كنت أراه إذا ما رفعت عيني غير أن اهتمامي كله كان منصبًّا على عملي.

– لو أن أحداً مر من تحت النافذة فهل كنت ترينه؟

– نعم.. وإني واثقة بذلك.

– ألم تري أحداً؟

– نعم ، لم أرَ

– ولكن إذا كان بعضهم قد اجتاز الحوش من منتصفه فهل كنت ترينه؟

– لا ادري.. لا اظن ذلك.. إلا إذا كنت أنظر من النافذة عندئذ.

– هل لاحظت أن الصبي "**عبد الله**" ترك عمله لحظة لينضم إلى الخدم الآخرين؟

– كلا. تنهد "**بوارو**" وقال:

– عشر دقائق.. الدقائق العشر الحاسمة. وخيم صمت قصير، وفجأة رفعت الآنسة "**جونسون**" رأسها وقالت:

– أخشى أن أكون قد خدعتك دون قصد يا سيد "**بوارو**".. ولكني بعد الرؤية والتفكير أظن أنه كان يتعذر عليَّ وأنا جالسة مكاني أن أسمع أية صيحة صادرة من غرفة السيدة "**ليدنر**". فإن غرفة الآثار تقع بين هاتين الغرفتين ثم إن نوافذها كانت مغلقة كما تعرف. قال "**بوارو**" في رفق:

– مهما يكن يا آنسة فإني أرجو أن تطمئني.. ليس لهذه النقطة أهمية كبيرة.

– كلا بالطبع. إني أعرف ذلك. ولكني شخصيًّا أعلق عليها أهمية كبيرة لأنه كان في مقدوري أن أفعل شيئًا. قال الدكتور "**ليدنر**" في رفق:

- أرجو ألا تزعجي نفسك يا عزيزتي "آن". لاريب في أنك سمعت أحد القرويين يدعو زميلا له في الحقول. اصطبغ لون الآنسة "**جونسون**" إزاء رقة الدكتور "**ليدنر**" ورفعت عينيها إليه ثم حولت رأسها وقالت في صوت أشد خشونة:

- نعم، لا ريب في ذلك.. فبعد مثل هذه المأساة يتصور الإنسان أشياء لم تقع إطلاقًا. ومرة أخرى نظر "**بوارو**" إلى دفتر مذكراته وقال:

- إننا نقترب من النهاية. وأنت يا سيد "**كاري**"؟

- أخشى ألا أستطيع أن أضيف شيئًا له أهميته.. فقد كنت أعمل في الحفائر، وجاءني النبأ وأنا هناك.

- ألم يحدث شيء في أثناء الأيام التي سبقت الجريمة؟

- إطلاقاً.

- وأنت يا سيد "**كولمان**"؟ قال السيد "**كولمان**" وفي صوته رنة من الأسف:

- إني بعيد عن هذه القضية تمامًا فقد ذهبت في الصباح إلى "**الحسينية**" لكي آتي بمرتبات العمال، وعند عودتي أخبرني السيد "**إيموت**" بما حدث وعدت بسيارة النقل لإخطار البوليس والدكتور "**ريلي**".

- وقبل ذلك؟

- كان الجو مضطربًا بعض الشيء كما تعلم، فقد وقعت أولاً حادثة غرفة الآثار ثم تلك الرؤوس والوجوه التي كانت تظهر من النافذة. ونظر إلى الدكتور "**ليدنر**" فهز هذا الأخير رأسه واستطرد "**كولمان**":

- أرى أننا لن نلبث أن نكشف أن القاتل أقبل من الخارج. تفرس السيد "**بوارو**" فيه بضع لحظات في صمت ثم سأله أخيراً:

- نعم.. مائة في المائة

- أهذا أول موسم لك؟

- نعم.

- هل تهتم بالآثار؟ بدا كأن هذا السؤال قد سبب ضيقًا للسيد "**كولمان**" فقد اصطبغ وجهه ونظر إلى الدكتور "**ليدنر**" كالتلميذ المخطىء وتمتم:

– طبعًا. .إنه علم ممتع ولكنني لست مولعًا به. وأمسك. .وراح "بوارو" ينقر بقلمه على المنضدة ثم قال:

– نستطيع أن نتوقف عند هذا الحد في الوقت الحاضر، وإذا تذكرت فيما بعد شيئًا قد يفيدنا في التحقيق فأرجو أن تأتيني دون تردد. .والآن أريد أن أتحدث إلى الدكتور "ليدنر" والدكتور "ريلي" على انفراد. وكان قوله هذا إيذانًا بانتهاء الجلسة فنهضنا ومضينا نحو الباب،أحدنا خلف الآخر وكنت قد بلغت الباب عندما احتجزني "بوارو" قائلاً:

– آنسة "ليذبران. .هل تتكرمين بالبقاء معنا؟ إن وجودك يمكن أن يكون مفيداً لنا .ورجعت مكاني وجلست أمام المنضدة .

- 15 -
اقتراح "بوارو"

نهض الدكتور "ريلي" من مقعده وعندما خرج الجميع أغلق الباب في حرص كبير.وبعد أن ألقى نظرة متسائلة إلى "بوارو" مضى فأغلق النافذة المطلة على الفناء، وكانت النوافذ الأخرى مغلقة، ثم عاد فجلس مكانه.وقال "بوارو" :

– حسناً. .إننا أصبحنا وحدنا الآن ويمكننا أن نتكلم بكل حرية إننا سمعنا أقوال أعضاء البعثة.ولكن فيم تفكرين يا آنسة "ليذبران"؟ واضطرم وجهي، ولم أستطع أن أفكر أن هذا الرجل القصير كان حاد الذكاء ثابت النظر وأنه رأى الخاطر يمر بذهني، ولاريب في أن وجهي نم عنه في وضوح وقلت مترددة:

– أوه. .لاشيء.قال الدكتور "ريلي" :

– تكلمي أيتها الممرضة ولاتتركي الخبيرينتظر. أسرعت أقول:

– إنه لاشيء حقًا.ولكن مر بخاطري أنه كان هناك من يعرف شيئًا حقًا أو يشتبه في شيء، فلن يكون من اليسير عليه أن يتكلم أمام الدكتور "ليدنر" .هز

السيد "**بوارو**" رأسه موافقًا الأمر الذي أثار دهشتي وقال :

– هذا صحيح .ولكني سأوضح لك الأمر . .كان لهذا الاجتماع الصغير غرض معين . .في "**لندن**" قبل السباق ،يستعرضون الجياد،أليس كذلك؟ إنها تمر أمام المنصة الكبيرة لكي يتمكن الجميع من رؤيتها وتقديرها .وكان هذا هو الغرض من اجتماعي الصغير، فبلغة السباق كنت أستعرض المتسابقين المشتركين.صاح الدكتور "**ليدنر**" في عنف :

– إنني لا أصدق دقيقة واحدة أن عضواً من أعضاء بعثتي متورط في هذه الجريمة .ثم تحول إليّ وقال في لهجة آمرة :

– أكون شاكرًا لك أيتها الممرضة إذا تكرمت وذكرت للسيد "**بوارو**" ما حدث بينك وبين زوجتي منذ يومين .رويت قصتي على الفور محاولة بقدر الإمكان أن أذكر الكلمات التي استخدمتها السيدة "**ليدنر**" بالذات وعندما فرغت قال "**بوارو**" :

– حسن . .حسن جداً . .إنني أهنئك على صفاء ذهنك ودقتك . . ستكونين عونًا كبيرًا لي هنا .ثم تحول إلى الدكتور "**ليدنر**" وقال :

– هل هذه الرسائل معك؟

– نعم .ها هي، ظننت أنك ستريد أن تراها قبل أي شيء آخر .أخذها "**بوارو**" منه وقرأها في عناية كبيرة، وقد شعرت بخيبة أمل كبيرة عندما رأيت أنه لم يرش عليها مسحوقًا وأدركت عندئذ أن هذا الرجل لم يكن شابًا وأن وسائله عتيقة . وبعد أن قرأ الرسائل وضعها جانبًا وقال :

– لنحاول الآن أن نرتب معلوماتنا .جاءت أولى هذه الرسائل للسيدة "**ليدنر**" بعد زواجها بك بقليل في "**أمريكا**" .وكانت قد جاءتها رسالة ثانية نجوتما بعدها بقليل من الموت اختناقًا بالغاز ثم غادرتما " **أمريكا**" بعد ذلك . .ومر عامان لم يصلها فيهما أية رسالة، ولكن بدأت الرسائل تأتي مع بدء هذا العام، أي منذ ثلاثة أسابيع هل هذا صحيح؟

– تمامًا .

– واستولى الذعر على زوجتك، وبعد أن استشرت الدكتور "**ريلي**" ألحقت الممرضة "**ليذبران**" بخدمتك لكي تعتني بزوجتك وتهدىء مخاوفها.

– نعم.

– ووقعت بعض الأحداث:

أيد تدق على زجاج النافذة من الخارج،ووجه ميت يظهرمن خلفها، وضجيج في غرفة الآثار، وأنت نفسك لم تشهد أي شيء من ذلك.

– كلا.

– والحقيقة أن أحداً لم يرها أو يسمعها فيما عدا زوجتك.

– ولكن الأب "**لافيني**" رأى نوراً في غرفة الآثار.

– نعم. .إنني لم أنس ذلك. وبعد دقيقة صمت قال:

– هل تركت زوجتك وصية؟

– لا أظن ذلك.

– لماذا؟

– لأنها كانت تعتقد أنه لافائدة لها.

– أليست امرأة ثرية؟

– بلي، فقد ترك لها أبوها ثروة طائلة أوقفها عليها طوال حياتها ولم يكن مسموحاً لها بأن تلمس رأس المال، وقد أوصى بأن تنتقل بعد موتها إلى أولادها، أما إذا ماتت من غير أن تنجب أولاداً فإن الثروة تؤول عندئذ إلى متحف "**بتستون**". نقر "**بوارو**" بأصابعه على المنضدة في تفكير وقال:

– يمكننا إذن استبعاد هذا الدافع من القضية. .إنني أسأل نفسي عند بدء التحقيق من الذي يستفيد من الجريمة؟ والمستفيد هذه المرة متحف.ولو أن الأمر اختلف وماتت السيدة "**ليدنر**" دون أن تترك وصية مخلفة وراءها ثروة كبيرة لسألتك من الذي يرثها؟ أنت أو زوجها الأول. .ولكن لكي يطالب هذا الأخير بحقه في التركة فلابد له أن يعود إلى الحياة. .غير أنه سيواجه عندئذ خطر إلقاء

القبض عليه على الرغم من أنني أعتقد أن حكم الإعدام الصادر عليه لن يكون له تأثير يذكر بعد أن انتهت الحرب، ومهما يكن فلا حاجة بنا الآن إلى هذا الاحتمال .وكما سبق القول فإنني أبدأ فأسأل من المستفيد؟ ثم أشك بعد ذلك في الزوج وهناك ثلاثة أشياء في صالحك أولها: أنه ثبت أنك لم تقترب من غرفة زوجتك بعد ظهر أمس.

وثانيها: أنك تخسر بموتها بدلاً من أن تستفيد وثالثها. . .وأمسك فاستحثه الدكتور "ليدنر" قائلاً:

– نعم؟

– وثالثها هو أنني أقدر الحب الشديد عندما أراه وأعتقد يا دكتور "ليدنر" أن حبك لزوجتك كان كل شيء في حياتك، أليس كذلك؟ أجابه الدكتور في بساطة:

– بلى .قال "بوارو" :

– علينا أن نستمر إذن .وقال الدكتور "ريلي" في صبر نافد:

– نعم. .نعم. .لنفرغ من هذه المسألة بأسرع ما يمكن.ألقى "بوارو" إليه نظرة حافلة باللوم وقال:

– تذرع بالصبر يا صديقي،ففي قضية كهذه يجب أن ندرس كل شيء بترتيب ونظام. والواقع أن مبدئي الأول في كل قضية أضطلع بها هو ألا أشذ عن هذه القاعدة .وبعد أن أقصينا كل هذه الاحتمالات نصل الآن إلى نقطة شديدة الأهمية، وهي أنه يجب مصارحتي بكل شيء، وعدم إخفاء أي شيء عني .قال الدكتور "ريلي" :

– هذا قول سليم .وقال "بوارو" :

– ولهذا أطالبكم بالحقيقة كلها. نظر الدكتور "ليدنر" إليه في دهشة وقال:

– إنني لم أخف شيئًا عنك .قلت لك كل ما أعرفه دون تحفظ.

– ومع ذلك فأنت لم تقل لي كل شيء.

– بل قلت لك كل شيء، ولم أخف شيئًا ما .وارتسمت الدهشة والحيرة على

ملامحه فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– كلا، فإنك لم تقل لي مثلاً لماذا ألحقت الممرضة "**ليذبران**" بخدمتك؟ اشتدت دهشة الدكتور "**ليدنر**" وقال:

– ولكني شرحت لك السبب.. اضطراب زوجتي وانفعالها.. ومخاوفها. انحنى "**بوارو**" إلى الأمام، وفي بطء رفع إصبعًا إلى أعلى ثم خفضه وقال:

– كلا، كلا. هناك شيء غير واضح.. إن زوجتك كانت في خطر.. نعم.. إنها تواجه الموت قتلاً ولكنك لاتستنجد بالبوليس، ولا حتى بمخبر خاص وإنما بممرضة. إن هذا غير معقول.

– إني.. إني.. وسكت الدكتور وارتفع الدم إلى وجنتيه وقال:

– إني خشيت.. وشجعه "**بوارو**" قائلاً:

– ها نحن قد بلغنا بيت القصيدة.. وماذا خشيت؟ ولكن الدكتور لزم الصمت وتملكه الارتباك. وعاد "**بوارو**" وقال:

– إن كل شيء يتفق مع ما قلته لي فيما عدا هذه النقطة بالذات.. لماذا ممرضة؟ هناك رد واحد معقول وهو أنك نفسك لم تكن تعتقد أن زوجتك في خطر. انهار الدكتور "**ليدنر**" عندئذ وقال:

– ليغفر الله لي.. لم أعتقد ذلك.. لم أعتقد ذلك. نظر "**بوارو**" إليه بالاهتمام نفسه الذي ينظر فيه القط إلى جحر فأر وهو على أتم الأهبة لكي ينقض عليه بمجرد أن يخرج من الجحر، وقال:

–ماذا اعتقدت إذن؟

– لا أعرف.. لاأعرف.

– بل تعرف.. وتعرف تمامًا، ولعلي أستطيع مساعدتك بشيء من التخمين. هل اشتبهت يا دكتور "**ليدنر**" في أن هذه الرسائل كتبتها زوجتك بنفسها؟ ولم تكن به أية حاجة إلى أن يرد، فإن الحقيقة التي خمنها "**بوارو**" كانت واضحة جداً، واليد التي رفعها الدكتور "**ليدنر**" كما لو كان يطلب

الرحمة كانت خير دليل على ذلك. وندت عن صدري تنهيدة. كنت على حق إذن في افتراضي السابق. تذكرت لهجة الدكتور "**ليدنر**" الغريبة وهو يسألني رأيي في كل ذلك وهززت رأسي في بطء وفي تفكير.. وانتبهت فجأة على صوت السيد "**بوارو**" وهو يقول لي:

– هل خطر لك هذا الخاطر نفسه أيتها الممرضة؟ أجبت بكل صراحة:

– نعم.

– ولأي سبب؟ شرحت له التشابه بين الخط الذي كتبت به رسائل التهديد، وخط المظروف الذي أعطانيه السيد "**كولمان**". وتحول "**بوارو**" عندئذ إلى الدكتور "**ليدنر**" وقال:

– هل لاحظت هذا التشابه أنت أيضًا؟ أطرق الدكتور "**ليدنر**" برأسه إلى الأرض وقال:

– نعم.. كان الخط صغيراً وضيقًا وليس كبيراً وواسعًا كخط "**لويز**". ولكن أكثر الحروف كانت مكتوبة بالطريقة نفسها، وسأريك ذلك. وأخرج بعض الرسائل من جيب داخلي اختار منها واحدة ناولها لـ"**بوارو**" وكانت عبارة عن جزء من رسالة أرسلتها إليه زوجته قارنها "**بوارو**" برسائل التهديد في عناية كبيرة ثم قال:

– نعم.. هناك تشابه كبير.. وأنا لست خبيراً في الخطوط ولا أستطيع أن أجزم.. وبهذه المناسبة لم أعثر قط على خبيرين اثنين يتفقان على رأي واحد، ولكنني مع ذلك أستطيع أن أقول إن التشابه بين الخطين كبير جداً ويبدو من المحتمل أن شخصًا واحداً هو الذي كتبهما، ولكن ليس هذا مؤكداً ويجب أن نواجه كل الاحتمالات. واضطجع في مقعده إلى الوراء وقال في تفكير:

– هناك ثلاثة احتمالات وأولها: أن يكون تشابه الخط مجرد مصادفة،

والثاني: أن تكون السيدة "**ليدنر**" قد كتبت لنفسها هذه الرسائل لسبب غامض

والثالث: أن يكون قد كتبها شخص قلد خطها عامداً. وأحد هذه الاحتمالات لابد أن يكون هو الصحيح. وفكر دقيقة أو دقيقتين ثم تحول إلى الدكتور "ليدنر" وسأله:

– ماذا فعلت عندما خطر لك أن السيدة "ليدنر" هي التي كتبت لنفسها هذه الرسائل؟ هز الدكتور رأسه وأجاب:

– أبعدت هذا الخاطر عن ذهني بأسرع ما يمكن فقد كان أمرًا فظيعًا.

– ألم تحاول أن تعرف السبب؟ أجاب في تردد:

– تساءلت إذا كانت أحداث الماضي البشع والتفكير قد أثرت في عقلها. وأردف يقول وهو يتحول إلى الدكتور "ريلي":

– وقد حسبت أنها كتبت لنفسها هذه الرسائل على غير وعي منها. فإن هذا جائز.. أليس كذلك؟ مط الدكتور "ريلي" شفتيه وأجاب في إبهام:

إن العقل البشري ليقدم على أي شيء. ثم ألقى إلى "بوارو" نظرة ذات معنى فقال هذا الأخير..

إن للرسائل أهمية كبرى ولكن يجب أن نركز على القضية كلها. وهناك كما أرى ثلاثة حلول ممكنة.

– ثلاثة؟

– نعم.. أولها وهو الأبسط.. أن الزوج الأول لزوجتك ما زال على قيد الحياة وأنه أرسل إليها هذه الرسائل ثم عمد إلى تهديدها.. وإذا قبلنا هذا الحل فإن مهمتنا تقتصر على معرفة كيف استطاع الدخول والخروج من غير أن يراه أحد. والحل الثاني: هو أن السيدة "ليدنر" كتبت لنفسها تلك الرسائل لأسباب خاصة. وهي أسباب يمكن للطبيب أن يفهمها أكثر من أي شخص عادي آخر. وتكون هي التي دبرت مسألة الاختناق ولعلك لم تنس أنها هي التي نبهتك من النوم لأنها اشتمت رائحة الغاز. ولكن إذا كانت قد كتبت هذه الرسائل فإنها لم تكن تواجه أي خطر من كاتب هذه الرسائل المزعوم، وعلينا عندئذ أن نبحث عن القاتل في مكان آخر.. يجب أن نبحث عنه بين أعضاء بعثتك. وأردف

يقول ردًا على احتجاج الدكتور "**ليدنر**":

– نعم.. هذا هو الحل المنطقي الوحيد. واحد منهم قتلها إشباعًا لحقد شخصي.. وهذا القاتل عرف بأمر الرسائل أو على الأقل أن السيدة "**ليدنر**" تخشى على حياتها. وهذه الواقعة في حد ذاتها تكون – على رأي القاتل – قد جعلت جريمة القتل آمنة بالنسبة إليه لأنه أدرك عندئذ أن الجريمة سوف تنسب إلى شخص غامض أقبل من الخارج وأن هذا الشخص هو كاتب رسائل التهديد. وهناك صيغة أخرى لهذا الحل وهي أن القاتل كتب تلك الرسائل بنفسه وهو يعرف ماضي السيدة "**ليدنر**"؛ ولكن في هذه الحالة لايتضح لنا لماذا قلد خط "السيدة "**ليدنر**" لأن من مصلحتها أن يبدو الأمر كما لو أن شخصًا غريبًا هو الذي كتبها. والحل الثالث، وهو أكثر هذه الحلول أهمية، في ذهني، هو أن هذه الرسائل حقيقية وأن زوجها الأول أو أخاه هو الذي كتبها وأنه واحد من أعضاء البعثة.

- 16 -

المشبوهون

هب الدكتور "**ليدنر**" واقفًا وقال:

– هذا مستحيل.. مستحيل تمامًا.. هذه النظرية سخيفة. تأمله السيد "**بوارو**" في هدوء ولم يقل شيئًا. وعاد الدكتور يقول:

– هل تقصد أن تقول إن الزوج الأول لزوجتي واحد من أعضاء البعثة وإنها لم تعرفه؟

– تمامًا، فكر في الأمر قليلاً. منذ خمس عشرة سنة قضت زوجتك بضعة أشهر فقط مع ذلك الرجل، فهل كان من الممكن أن تعرفه لو أنها التقت به بعد كل هذه المدة الطويلة.. إنني لا أظن ذلك فإن وجهه قد تغير بدون شك، ومن الجائز

ألا يكون صوته قد تغير كثيراً ولكن هذه نقطة في مقدوره أن يتلافاها .وتذكر أنها لاتبحث عنه بين أهل البيت وإنما تعتقد أنه سيأتي من الخارج . .

كلا .لا أظن أنها تعرفه لو أنها رأته . .

ثم إن هناك احتمالاً ثانيًا وهو أن الأخ الأصغر،ذلك الغلام الذي كان وفيًّا جدًّا لذكرى أخيه . .إنه أصبح الآن رجلاً .فهل كانت تعرف رجلاً في الثلاثين من عمره تقريبا ذلك الغلام الذي كان في العاشرة أو الثانية عشرة في ذلك الوقت؟ نعم يجب أن تعمل حسابًا لـ"**ويليام بوسنر**" فإن أخاه في نظره لم يكن قط خائنًا وإنما كان بطلاً شهيداً في سبيل وطنه "**ألمانيا**" والسيدة "**ليدنر**" في نظره هي الخائنة .فهي الوحش الذي بعث بأخيه المحبوب إلى الموت . . .والطفل الحساس خليق بتمجيد البطولة كما يمكن أن تستبد به فكرة معينة حتى سن النضوج . قال الدكتور "**ريلي**" :

– هذا صحيح .إن الاعتقاد السائد بأن الأطفال سريعو النسيان اعتقاد كاذب، فإن أشخاصاً كثيرين يقضون حياتهم تسيطر عليهم فكرة رسخت في ذهنهم وهم في سن الطفولة .

– حسنًا .أمامنا إذن هذان الاحتمالان . "**فريدريك بوسنر**" وقد أصبح عمره الآن نحو خمسين عامًا و"**ويليام بوسنر**" وقد بلغ الآن نحو الثلاثين .ولندرس الآن حقيقة كل شخص من أعضاء البعثة من وجهة النظر هذه .غمغم الدكتور "**ليدنر**" هذا غير معقول . .أعضاء بعثتي أنا؟ قال "**بوارو**" في خشونة :

– وأنت تعتبرهم طبعًا فوق الشبهات، وهذا رأي له تقديره .ولنبدأ الآن .من منهم يمكن ألا يكون "**فريدريك بوسنر**" ؟

– النساء .

– طبعًا، ولهذا سنستبعد الآنسة "**جونسون**" والسيدة "**مركادو**" .ومن غيرهما؟

– "**كاري**" فقد عملنا معه سنوات عديدة قبل أن ألتقي بـ"**لويز**" .

– ثم إن عمره لايتفق، فهو في الثانية والثلاثين وعلى هذا فهو بهذه الصفة

أصغر من "**فريدريك**" وأكبر من "**ويليام**" . .والباقون؟ هناك الأب "**لافيني**" والسيد "**مركادو**" . وأي واحد منهما يمكن أن يكون "**فريدريك بوسنر**" .صاح الدكتور "**ليدنر**" في لهجة يشوبها الحنق والاضطراب :

– ولكن يا سيدي العزيز، إن الأب "**لافيني**" معروف في العالم أجمع بخبرته في النقوش الآشورية وعمل "**مركادو**" سنوات عديدة في متحف معروف بـ"**نيويورك**" ومحال أن يكون أحدهما الرجل الذي تفكر فيه. هز "**بوارو**" رأسه وقال :

– محال . .محال . .هذه الكلمة لاوجود لها بالنسبة إليّ . .والشيء المحال هو الذي يثير اهتمامي أكثر من أي شيء آخر،ولكننا سنتجاوز عن ذلك في الوقت الحالي . .من لدينا غير هؤلاء؟ "**كارل ريتر**" . .وهو شاب له اسم ألماني، وثم "**دافيدإيموت**" . .

– تذكر أنه عمل معي موسمين متتاليين.

– إنه شاب يتمتع بصبر كبير وإذا خطر له أن يرتكب جريمة قتل فلن يرتكبها عفو الخاطر وإنما سيقضي مدة طويلة في الإعداد لها. أتى الدكتور "**ليدنر**" بحركة تدل على اليأس في حين استطرد "**بوارو**" :

– ولدينا أخيراً "**ويليام كولمان**" .

– إنه إنجليزي.

– ولم لا؟ ألم تقل السيدة "**ليدنر**" إن الغلام غادر "**أمريكا**" وإنهم فقدوا أثره .لم لايكون قد انتقل إلى "**إنجلترا**" ؟ قال الدكتور "**ليدنر**" :

– إن لديك رداً على كل شيء .أما أنا فقد استغرقت في تفكير عميق .بدا لي السيد "**كولمان**" منذ أول الأمر كبطل من أبطال روايات "**وودهاوس**" فهل تراه يتصنع ويتكلف ويقوم بدور ما منذ البداية؟ وكتب "**بوارو**" شيئاً ما في دفتر مذكراته وقال :

– لنعمل بترتيب ونظام .لدينا اثنان : الأب "**لافيني**" والسيد "**مركادو**" من ناحية ، و"**كولمان**" و"**إيموت**" و"**ريتر**" من ناحية أخرى . ولننظر الآن إلى أوضاع

كل شخص منهم و ظروفه .. ومن منهم تهيأت له الظروف لارتكاب جريمة القتل ؟ كان "**كاري**" في "الحفائر" و "**كولمان**" في "**الحسينية**" وأنت نفسك كنت فوق السطح .وبهذا بقي لدينا الأب "**لافيني**" والسيد "**مركادو**" والسيدة "**مركادو**" و "**دافيد إيموت**" و"**كارل ريتر**" والآنسة "**جونسون**" والممرضة "**ليذبران**" .. صحت وأنا أهب واقفة :

– أوه! نظر "**بوارو**" إليّ بعينيه البراقتين وقال:

– نعم أيتها الممرضة .يجب أن أضمك أنت أيضًا إلى القائمة فقد كان من اليسير عليك أن تذهبي إلى غرفة السيدة "**ليدنر**" وأن تقتليها في الوقت الذي خلا فيه الفناء من الغلام ومن السيد "**إيموت**" .إنك قوية بما فيه الكفاية وكانت المسكينة لا تشك في أي شيء حتى اللحظة التي أصابتها فيها الضربة القاتلة .بلغ بي الغضب إلى حد أنني لم أستطع النطق ولحظ الدكتور "**ريلي**" ذلك وبدا أن الأمر يطربه وقال :

– ممرضة تقتل مرضاها الواحد إثر الآخر. ويا للنظرة التي رميته بها! ولكن الدكتور "**ليدنر**" كان يفكر في أمر آخر لأنه قال :

– يجب استبعاد "**إيموت**" يا سيد "**بوارو**" فقد كان معي على السطح في أثناء الدقائق العشر المذكورة .

– لا أستطيع استبعاده على الرغم من ذلك فقد كان في مقدوره في أثناء هبوطه أن يمضي إلى غرفة السيدة "**ليدنر**" فيقتلها ثم ينادي الغلام. بعد ذلك هز الدكتور "**ليدنر**" رأسه وهو يقول:

– يا له من كابوس! وأثار "**بوارو**" دهشتي إذ وافقه على ذلك قائلاً :

– نعم . .هذا صحيح إنه لكذلك .ونادرًا ما نجد جريمة قتل بمثل هذا الغموض .إن جريمة القتل في العادة تكون سهلة واضحة . .ولكن هذه جريمة غير عادية وأظن يادكتور "**ليدنر**" أن زوجتك كانتِ امرأة غير عادية .قال الدكتور "**ليدنر**" في صوت هادىء :

– أيتها الممرضة، قولي له كيف كانت "**لويز**" ، فأنت غير متحيزة .قلت في صراحة :

– كانت امرأة ظريفة لا يسع كل من يراها إلا الإعجاب بها والحظوة باهتمامها. .لم التق بامرأة مثلها قبل ذلك.قال الدكتور وهو يبتسم :

– أشكرك. وقال "**بوارو**" في لهجة مهذبة:

– هذه شهادة لها قدرها من شخص غريب عن البيت.حسنًا لنستمر.قلنا إن لدينا خمسة أشخاص. .الممرضة "**ليذبران**" والسيدة "**مركادو**" والسيد "**ريتر**" والسيد "**إيموت**" والأب "**لافيني**" .وتنحنح مرة أخرى واستطرد:

– لنفرض الآن أن النظرية الثالثة هي الصحيحة، وهي أن القاتل هو "**فريدريك**" أو "**ويليام بوسنر**" وأنه أحد أعضاء البعثة.وبهذا يمكننا أن نقلل عدد المشبوهين إلى أربعة هم: الأب "**لافيني**" والسيد "**مركادو**" و"**كارل ريتر**" و"**دافيد إيموت**" .تدخل الدكتور "**ليدنر**" وقال:

– يجب إخراج الأب "**لافيني**" من هذه القضية فهو ينتمي إلى الآباء البيض بـ"**قرطاجة**" . وقلت:

– ثم إن لحيته حقيقية.قال "**بوارو**" :

– إن قاتلاً من الدرجة الأولى لا يضع لحية زائفة أبدًا أيتها الممرضة. قلت في احتجاج:

– وكيف تعلم أن القاتل من الدرجة الأولى؟

– لأنه لو لم يكن كذلك لقفزت الحقيقة إلى ذهني من الوهلة الأولى.قلت في نفسي: "يا لغرور هذا الرجل!" ثم قلت في صوت مسموع:

– مهما يكن فلا ريب في أنه انتظر مدة طويلة حتى تنمو.فقال:

– هذه ملاحظة حصيفة.وقال الدكتور "**ليدنر**" محنقًا:

– ولكن هذا هراء.إن الأب "**لافيني**" والسيد "**مركادو**" رجلان معروفان. .يعرفهما العالم منذ سنوات.تحول "**بوارو**" إليه وقال:

– غاب عن ذهنك شيء له أهمية كبيرة. .إذا لم يكن "**فريدريك بوسنر**" قد

مات فماذا فعل طوال هذه السنوات؟ لا ريب في أنه اتخذ له اسمًا آخر وبنى لنفسه مركزاً في الحياة. قال الدكتور متشككًا:

- كأحد الآباء البيض.

- الواقع أن هذا يبدو غريبًا ولا نستطيع البت فيه الآن. ثم إن أمامنا الاحتمالات الأخرى. قال "**ريلي**":

- الشبان!.. إذا أردت رأيي فهناك شخص واحد تتوافر فيه كل الشروط.

- ومن هو؟

- "**كارل ريتر**". ليس لدينا شيء معين ضده، ولكن إذا نحن درسنا حالته وجدنا له كل الصفات المطلوبة فله اسم ألماني ثم إنه جديد في البعثة، وقد كان في مقدوره أن يغادر غرفة التصوير وأن يعبر الفناء ويرتكب جريمته، ثم يعود قبل عودة الغلام. وإذا حدث ودخل غرفة التصوير في أثناء ذلك، فإن في وسعه أن يقول إنه كان موجوداً في الغرفة السوداء.. لاأقول إنه هو القاتل ولكن إذا كنت تريد أن تشتبه في شخص ما فإن كل الشروط تتوافر فيه. بدا أن "**بوارو**" لايتقبل هذا الرأي فقد هز رأسه في هدوء وقال:

- نعم، إن الشروط تتوافر فيه، ولكن ليس الأمر بمثل هذه البساطة. ثم أردف:

- لنكتف الآن بذلك، أرجو أن تسمحوا لي بإلقاء نظرة على غرفة الجريمة طبعًا. وبحث الدكتور "**ليدنر**" في جيبه ثم نظر إلى الدكتور "**ريلي**" قائلاً:

- لقد أخذه النقيب "**ميتلاند**". قال "**ريلي**":

- وقد أعطاني إياه قبل أن ينصرف لمعالجة قضية أخرى. وأخرج المفتاح من جيبه، وقال الدكتور "**ليدنر**" في تردد:

- هل.. هل هناك ضرورة في أن أحضر أيتها الممرضة؟ وقال "**بوارو**":

- كلا طبعًا. إنني أفهم.. لاأريد أن أسبب لك ألمًا لا ضرورة له. إذا تكرمت بمرافقتي يا آنسة.

- سمعًا وطاعة.

- 17 -

بقعة الدم

نقلت جثة السيدة "**ليدنر**" إلى "**الحسينية**" للتشريح ولكن غرفتها بقيت كما هي لم يتغير فيها شيء، ولم يكن بها أثاث كثير ولهذا فرغ رجال البوليس من فحصها في وقت قصير. فعلى يمين الباب وأنت داخل يوجد الفراش وأمام الباب نافذتان لهما قضبان حديدية وتطلان على الريف تقوم بينهما منضدة صغيرة ذات درجين صفت فوقها أدوات الزينة والتجميل، ولصق بالحائط من الناحية الشرقية طاولة وبعض المشاجب، وعلى يسار الباب مباشرة منضدة كبيرة عليها محبرة وحافظة من الجلد كانت السيدة "**ليدنر**" تحتفظ فيها برسائل التهديد، والنوافذ مزودة بستائر بيضاء. . تزينها شرائط برتقالية اللون. . وهناك أربعة جلود من فراء الماعز موضوعة فوق أرضية الغرفة، واحدة منها بنية اللون، اثنتان أمام النافذتين والثالثة أمام منضدة الزينة، أما الرابعة فبيضاء اللون بها شعيرات بنية موضوعة بين الفراش والمنضدة الكبيرة. ولم يكن في الغرفة أية دواليب أو ستائر أو أي شيء آخر للبذخ. أما السرير فحديدي، بسيط تغطيه ملاءة من الكريتون وفوقه وسائدمن الريش، كانت هي العلامة الوحيدة للبذخ فلم يكن في البيت كله وسائد أخرى من هذا النوع. وفي كلمات وجيزة وضح الدكتور "**ريلي**" الوضع الذي وجد فيه جثة السيدة "**ليدنر**". . كانت مكومة فوق الفراء الذي أمام السرير. ولكي يوضح وصفه أكثر التفت إليّ وقال:

– أرجوك يا آنسة. وأنا لست من الذين تتملكهم الوساوس فاستلقيت على الأرض وحاولت بقدر المستطاع أن أتخذ الوضع الذي كانت عليه الجثة. وقال الطبيب:

– عندما عثر الدكتور "**ليدنر**" على زوجته في ذلك الوضع الغريب رفع رأسها ولكنه أجاب على استفسار مني فيما بعد بأنه لم ينقل الجثة. قال "**بوارو**" :

– يبدو الآن كل شيء واضحًا جداً..وتمددت السيدة "**ليدنر**" فوق الفراش لكي تستريح وفتح بأحدهم الباب فنهضت ووقفت على قدميها.وأكمل الطبيب قائلاً:

– وضربها القاتل ففقدت رشدها، ولم تلبث روحها أن فاضت بعد ذلك بقليل.وتكلم عن الإصابة بلغة الطب فسأله "**بوارو**" :

– سال كثير من الدم إذن؟

– كلا..إن الدم انبثق من الداخل إلي المخ.

– هذا تفسير معقول فيما عدا شيئًا واحداً هو أنه إذا كان القاتل غير معروف للسيدة "**ليدنر**" فلماذا لم تطلب النجدة؟ إذا كانت قد صرخت لسمعها البعض وخصوصًا الآنسة "**ليذبران**" أو "**إيموت**" والغلام.قال الدكتور "**ريلي**" في صوت خافت:

– هذا أمر من السهل الرد عليه فإن القاتل لم يكن غريبًا.هز "**بوارو**" رأسه موافقًا وقال في تفكير:

– نعم ربما فوجئت برؤية الرجل ولكنها لم تخف منه.ثم لاريب في أنها أطلقت صيحة خافتة عندما ضربها فجأة.

– أتعني الصيحة التي سمعتها الآنسة "**جونسون**"؟

– نعم.إذا كانت قد سمعتها حقًّا.ولكنني أشك في ذلك فإن الجدران سميكة والنوافذ كانت مغلقة.ومضى إلى الفراش وسألني قائلاً:

– هل كانت قد استلقت فوق السرير عندما غادرتها؟ شرحت له كل ما فعلت فقال:

– هل كان في نيتها أن تنام أو أن تقرأ فحسب؟

– أعطيتها كتابين : رواية وكتابًا أدبيًّا.وكان من عادتها أن تقضي فترة في القراءة قبل أن تنام.

– هل كانت..ماذا أقول؟ في حالة عادية؟ فكرت لحظة ثم قلت:

– نعم.كانت مرحة وعادية..ربما كانت غريبة بعض الشيء ، ولكنني عزوت

ذلك إلى أنها ربما كانت تشعر ببعض الحرج ؛ لأنها كانت قد أفضت إليّ بذات نفسها في اليوم السابق. تحركت عينا "بوارو" وقال:

– آه أفهم هذا الإحساس . وجال ببصره في الغرفة ثم قال:

– عندما دخلنا بعد الجريمة، هل كان كل شيء في مكانه السابق؟ أجلت البصر حولي بدوري ثم قلت:

– هذا ما يبدو لي فكل شيء باق كما هو.

– ألم تري أي أثر للسلاح الذي استخدم في ارتكاب الجريمة؟

– كلا. تحول "بوارو" بعد ذلك إلى الدكتور "ريلي" وسأله:

– ما رأيك في نوع السلاح؟ أجاب الدكتور مسرعاً:

– هو أداة ثقيلة كبيرة الحجم ليست لها زوايا حادة كقاعدة مستديرة لتمثال مثلاً ، لا أقصد أن أقول إنها قاعدة تمثال بالذات ولكنها شيء من هذا القبيل. . وقد سددت الضربة إليها في قوة كبيرة.

– أتعني أن يداً قوية قد وجهت إليها الضربة؟ يد رجل مثلاً؟

– نعم. . مالم. .

– ما لم. .

– من الجائز أن السيدة "ليدنر" كانت جاثية على ركبتيها عندما ضربها القاتل. ولو صح هذا يكون قد ضربها من أعلى بأداة ثقيلة ولن يحتاج عندئذ إلى قوة كبيرة. تمتم "بوارو" قائلاً:

– جاثية على ركبتيها. . هذه فكرة.

– ولكن هذا جائز. .

– نعم. . ولا غرابة في هذا نظراً للظروف. ربما حملها الخوف على أن تصرخ طالبة النجدة بعد أن رأت بغريزتها أن الوقت لن يسعفها لكي ينجدها أحد. قال "بوارو" في تفكير:

– نعم. . هذه فكرة. رأيت أنها فكرة تافهة فإنني لم أتصور السيدة "ليدنر" تجثو عند قدمي أي أحد مهما كانت الظروف. ودار "بوارو" بالغرفة في بطء

وفتح النوافذ وجرب متانة القضبان ومرر رأسه من خلالها وتأكد من أن المسافة بين القضبان لاتسمح بأن يخرج أي شخص كتفيه منها وقال:

- كانت النوافذ مغلقة عندما عثرت عليها فهل كانت مغلقة عندما غادرتها في الساعة الواحدة إلا الربع؟

- نعم كانت تغلق دائماً بعد الظهر لكي لايدخل منها الذباب. قال "**بوارو**":

- لايستطيع أحد الدخول منها على كل حال. والجدران مبنية من الطوب الجاف المتين وليس بها أية ثغرة أو كوة. لايمكن دخول هذه الغرفة إلاعن طريق الباب، ولايمكن الوصول إلى الباب إلا عن طريق الفناء، وأمام الباب العمومي المؤدي إلى الفناء كان الخدم يجلسون ويثرثرون، ويرددون كلهم القصة نفسها ولا أظن أنهم كاذبون.. كلا، إنهم لايكذبون ولم يحرضهم أحد على الكذب، كان القاتل هنا. لم أقل شيئاً فقد خامرني الإحساس نفسه.. ونحن نجلس حول المنضدة. ودار "**بوارو**" بالغرفة في بطء والتقط صورة من فوق المكتب وكانت لرجل له لحية بيضاء ونظر إليّ متسائلاً فقلت:

- إنه والد السيدة "**ليدنر**".. وهي نفسها التي قالت لي ذلك. أعاد "**بوارو**" الصورة مكانها ونظر إلى الأشياء الموضوعة فوق منضدة الزينة وكانت كلها من الصدف بسيطة ولكن أنيقة، ووقعت عيناه بعد ذلك على صف من الكتب قرأ عناوينها قائلاً:

- "تاريخ الإغريق"، "مقدمة إلى نظرية النسبية"، "حياة السيدة "**هستر ستانهوب**""، "قطار "**كرو**"" العودة إلى **ميتوشالح**"، "**ليندا كوندون**".. إن هذه الكتب تدل على أن السيدة "**ليدنر**" ليست غبية وأنها على درجة كبيرة من الثقافة. ووقف بضع لحظات أمام الحوض وكانت فوقه بعض أدوات الزينة. وفجأة جثا على ركبتيه وفحص الفراء في عناية كبيرة. ولحقت به أنا والدكتور "**ريلي**". ورأيناه ينظر إلى بقعة صغيرة داكنة لاتكاد تظهر على الوبر البني والواقع أنه لولا أنها كانت تمتد حتى الوبر الأبيض لما لحظها أحد وقال:

- ما رأيك في هذه البقعة يا دكتور؟ أهي بقعة دم؟ جثا الدكتور "**ريلي**"

بدوره ثم قال:

– ربما.أستطيع أن أتأكد من ذلك إذا أردت.

– أكون لك شاكرًا.وفحص "بوارو" الإبريق والطست.وكان الإبريق موضوعًا على حافة الحوض ، أما الطست فكان فارغًا ولكن كانت بجانب الحوض صفيحة بها ماء قذر.وتحول إليّ وقال:

– هل تذكرين إذا كان هذا الإبريق موجودًا خارج الطست أو بداخله عندما غادرت الغرفة في الساعة الواحدة إلا الربع أيتها الممرضة؟ وقلت بعد دقيقة أو دقيقتين:

– لا أذكر تمامًا.ولكن أظن أنه كان داخل الطست.

– آه.. وأسرعت أقول:

– أظن أنه كان بالداخل ؛ لأنني اعتدت أن أراه كذلك دائمًا فإن الغلام يتركه هكذا بعد الغداء وأعتقد أنه لو لم يكن بداخله للاحظت ذلك.أومأ "بوارو" في استحسان وقال:

– نعم إنني أفهم الموقف، إنك محبة للنظام ولو أنه لم يكن بداخل الطست لأسرعت بوضعه مكانه دون وعي منك..ولكن هل كان في ذلك الوضع بعد الجريمة؟ هززت رأسي وقلت:

– لم ألحظ ذلك.كل ما اهتممت به هو إذا كان القاتل مختبئًا في مكان ما أو إذا كان قد خلف وراءه أي شيء.وقال الدكتور "ليدنر" وهو ينهض:

– هي بقعة من الدم.ولكن هل لهذا أهمية؟ قطب "بوارو" حاجبيه في شيء من الدهشة وهز كتفيه في قوة ، وقال:

– لا أدري قد لايكون لها أية أهمية..ولكن كل ما أستطيع أن أقوله،هو أنه إذا كان القاتل قد لمسها فلابد أن الدم علق بيده..وهو دم ليس بالكثير ولكنه مع ذلك أتى إلى الحوض وغسل يده.نعم قد يكون الأمر كذلك.ولكنني لا أريد أن أقفز إلى النتائج وأن أقول إن هذا ما حدث ؛ فقد لاتكون لهذه البقعة أية أهمية.قال الدكتور "ريلي":

– لم ينبثق دم كثير ولكن لعله نضح حول الجرح قليلاً، وإذا كان القاتل قد لمسه طبعًا. سرت الرعشة في بدني وتصورت شخصًا ما ولعله ذلك المصور الشاب الوسيم يضرب تلك المرأة الجميلة ضربة قوية أفضت إلى الموت ثم ينحني فوقها ويلمس الجرح بيده وقد تغيرت سحنته وأصبح أقرب إلى الوحش المفترس. وتحول "**بوارو**" إليَّ وقال:

– إنني أعرف ما تحتاجين إليه.. عندما نفرغ من هنا وأعود أنا مع الدكتور إلى "**الحسينية**" سنصطحبك معنا. سنقدم فنجانًا من الشاي إلى الآنسة "**ليذبران**" يا دكتور "**ريلي**"، أليس كذلك؟

– يسرني ذلك. قلت في احتجاج:

– أوه! كلا يادكتور.. لاداعي لذلك.

ربت "**بوارو**" بيده على كتفي وقال:

– افعلي كما نقول لك يا آنسة ثم إنك ستقدمين خدمة كبيرة لي فهناك أمور كثيرة أريد أن أناقشك فيها ولا أستطيع مناقشتها هنا احترامًا للأصول. إن الدكتور "**ليدنر**" كان يعشق زوجته ويعتقد أن الجميع كانوا يعشقونها مثله.. وأريد أن أتحدث إليك عن السيدة "**ليدنر**" حديثًا صريحًا وسنصحبك معنا إلى "**الحسينية**" لهذا الغرض. قلت في شيء من الشك:

– أظن أنه لابد لي من مغادرة البيت على كل حال، فلم يعد لوجودي هنا أي سبب. ضحك الدكتور "**ريلي**" وقال:

– بل عليك بالبقاء يوما أو يومين. لا حاجة بك إلى الرحيل إلا بعد الانتهاء من الجنازة.

– حسن جداً. ولكن لنفرض أن يقتلني القاتل بدوري. قلت ذلك في شيء من المزاح. وتقبل الدكتور "**ريلي**" قولي مازحًا هو الآخر ولكن "**بوارو**" توقف فجأة وسط الغرفة وضرب جبينه براحة يده وقال:

– هذا جائز.. وهناك خطر.. خطر كبير.. كيف يمكن أن نعالج ذلك؟

– ولكنني كنت أمزح يا سيد "**بوارو**".. من يريد أن يقتلني.. إنني

لأعجب..

– أنت أوغيرك ..ولم ترق لي لهجته وهتفت..

– ولكن لماذا؟ حدق "بوارو" إليّ وهو يقول:

– إنني أمزح يا آنسة وأضحك..ولكن في الحياة أشياء أخرى غير المزاح..هناك أشياء كثيرة تعلمتها في مهنتي،وأحد هذه الأشياء هي تلك الحقيقة الرهيبة، وهي أن جريمة القتل تصبح عادة عند القاتل.

- 18 -

فنجان من الشاي

تفقد "**بوارو**" البيت وملحقاته قبل مغادرته .وألقى بضعة أسئلة إلى الخدم وقام الدكتور "**ريلي**" بدور المترجم ينقل الأسئلة والأجوبة من الإنجليزية إلى العربية والعكس بالعكس.وكانت هذه الأسئلة تدور كلها حول أوصاف الرجل الغريب الذي رأيته أنا والسيدة "**ليدنر**" يحاول اختلاس النظر من إحدى النوافذ والذي رأيته يتحدث إلى الأب "**لافيني**" في اليوم التالي.وقال الدكتور "**ريلي**" والسيارة تنطلق بنا إلى "**الحسينية**":

– هل تظن حقًّا أن ذلك الرجل له دخل في القضية؟ أجاب "**بوارو**":

– إنني أحب أن أجمع كل ما أستطيع من معلومات. وكانت هذه اللمسة أصدق تصوير لطريقة ذلك المخبر في تحرياته وتحقيقاته.واكتشفت فيما بعد أنه ليست هناك أقل إشاعة إلا ويهتم بها كل الاهتمام.وأعترف أنني اغتبطت بفنجان الشاي الذي تناولته في بيت الدكتور "**ريلي**"،وقد وضع "**بوارو**" خمس قطع من السكر في فنجانه وراح يقلبها بالملعقة في عناية كبيرة ثم قال:

- يمكننا أن نتكلم بكل حرية الآن،و نحاول أن نعرف من الذي قتل السيدة "**ليدنر**" .وسأله الدكتور "**ليدنر**" :

- "**لافيني**" أو "**مركادو**" أو "**إيموت**" أو "**ريتر**" ؟

-كلا،كلا .تلك هي النظرية الثالثة وأحب أن أركز الآن على النظرية الثانية وأن ندع جانبًا كل ماله علاقة بالزوج الغامض وأخيه الذي ظهر فجأة من الماضي .لنر الآن بكل بساطة أي عضو من أعضاء البعثة وجد الفرصة والوسيلة لكي يقتل السيدة "**ليدنر**" ومن الشخص الجدير بأن يفعل ذلك .

- ظننتك غير مهتم بهذه النظرية .قال "**بوارو**" بلهجة العتاب :

- أبداً ولكنني لم أجد من الكياسة أو الذوق أن أناقش في حضور الدكتور "**ليدنر**" الأسباب التي حملت أحد أعضاء البعثة على قتل زوجته .كان عليّ أن أؤيد القصة القائلة بأن الجميع يحبونها ويعشقونها . ولكن الأمر لم يكن كذلك بالطبع ويمكننا الآن أن نقسو وألا نتحيز لأحد أو أن نراعي شعور أي شخص .وهذا ما ستساعدنا المرضة "**ليذبران**" فيه . .فهي تملك موهبة ممتازة في الملاحظة .قلت :

- أوه ! لست واثقة بذلك . ناولني الدكتور "**ليدنر**" طبقًا من البسكويت قائلاً :

- لكي تستمدي من الشجاعة ما يكفي .وكان البسكويت لذيذاً جدًا .وقال "**بوارو**" في رفق:

- عليك الآن أن تصارحيني بكل شيء أيتها الممرضة وأن تذكري لي مشاعر كل شخص من أعضاء البعثة نحو السيدة "**ليدنر**" .

- ولكني لم أقض معهم غير أسبوع واحد يا سيد "**بوارو**" .

- هذه مدة كافية جداً لمن كان في مثل ذكائك .إن الممرضة تصدر حكمها في أقصر وقت .هيا وابدئي بالحديث عن الأب "**لافيني**" .. الحق أنني لاأدري. .بدا لي أنه هو والسيدة "**ليدنر**" كان يطيب لهما أن يتحدثا معًا .ولكنهما كانا يتحدثان بالفرنسية عادة . .وأنا نفسي لا أجيد هذه اللغة على

الرغم من أني تعلمتها في المدرسة. كان يبدو لي أنهما يتحدثان عن الكتب والأدب.

– وبقول آخر كانت تطيب لهما صحبتهما أليس كذلك؟

– بلى يمكن أن نقول ذلك ولكنني أظن أن الأب "**لافيني**" كان يشعر بشيء من الحيرة بسببها. وأعدت عليه الحديث الذي دار بيني وبين الأب "**لافيني**" في أول زيارة لي للحفائر، فقد نعت الأب "**لافيني**" السيدة "**ليدنر**" في ذلك اليوم بأنها امرأة خطرة. وقال "**بوارو**":

– هذا شيء مهم جداً.. وهي؟.. ماذا كان رأيها فيه؟

– يتعذر عليَّ أن أقول ذلك، فلم يكن من السهل أن أعرف رأيها في الناس، أظن أنه كان يثير حيرتها في بعض الأحيان، وأتذكر أنها قالت للدكتور "**ليدنر**" ذات مرة إنه لا يشبه الرهبان الذين التقت بهم. قال الدكتور "**ريلي**" مازحًا:

– يا للأب "**لافيني**" المسكين! وقال "**بوارو**" عندئذ:

– ألا يجب أن تعود إلى بعض المرضى الآن يا صديقي العزيز؟ إنني لا أريد أن أحتجزك عن عملك لأي سبب من الأسباب. ضحك الطبيب وقال وهو يضحك:

– إن المرضى كثيرون. ثم غمز لي بعينه وخرج وقال "**بوارو**":

– هذا أفضل.. سنتحدث الآن حديثًا خاصًا. ولكن افرغي من تناول الشاي أولاً. وناولني طبقًا من الشطائر وفنجانًا آخر من الشاي. وكان رقيقًا حقًا في معاملته لي وقال:

– لنتبادل أحاسيسنا الآن. من في رأيك لم يكن يحب السيدة "**ليدنر**"؟

قلت:

– حسنًا. إنه رأيي أنا. ولا أريد أن يعرف أحد أنه صادر مني.

– طبعًا.

– في رأيي أن السيدة "**مركادو**" كانت تكرهها جداً.

– آه! والسيد "**مركادو**"؟

– كان مفتونًا بها. ولا أظن أن هناك من النساء من اهتم به فيما عدا زوجته. ولكن السيدة "ليدنر" كانت تعامل الجميع برفق. وكانت لها طريقة خاصة في التحدث إليهم وأظن أن هذه الطريقة أدارت رأس الرجل المسكين. وطبعًا لم يرق هذا للسيدة "مركادو".

والواقع أنها كانت تغار عليه جداً وقد رأيتها ترمي السيدة "ليدنر" بنظرة كما لو كانت تريد أن تقتلها. أوه يا إلهي. واستدركت أقول على الفور:

– الحق يا سيد "بوارو" أنني لم أكن أريد أن أقول.. لم أكن أعني قط.

– كلا، كلا إني أفهم أن الكلمة أفلتت منك، وهي كلمة جاءت في مناسبتها الحقة. والسيدة "ليدنر".. هل انزعجت لعداء السيدة "مركادو"؟ قلت في تفكير:

– حسنًا. لا أظن أنها أحست بأي انزعاج.. وإنصافًا للحق لا أظن أنها لاحظت ذلك. خيل إليَّ لمجرد لحظة أنه يجب أن أحذرها ولكنني لم ألبث أن عدلت عن ذلك فغالبًا ما يندم المرء على أنه تكلم.

– هذا عين العقل والحكمة. هل يمكنك أن تذكري لي كيف أظهرت السيدة "مركادو" مشاعرها؟ قلت له الحديث الذي دار بيننا فوق السطح فقال في تفكير:

– إذن فهي قد حدثتك عن زواجها الأول.. هل بدا عليها – وهي تذكر لك ذلك – إذا كانت تتساءل إن كنت قد سمعت قصة أخرى تختلف عن قصتها؟ هل تظنين أنها عرفت حقيقة هذا الزواج؟

– هذا جائز. ومن الممكن أنها تكون قد كتبت تلك الرسائل وابتدعت اليد التي تدق على النافذة وكل الأشياء الأخرى.

– أنا نفسي فكرت في هذا الاحتمال وبدا لي أنه نوع من الانتقام الذي يمكن أن تفكر فيه. نعم.. وأعترف بأنه انتقام قاس. ولكني لا أعتقد أنها تقدم على جريمة بشعة كهذه مالم... وأمسك ثم قال:

– غريب أن تقول لك" إنني أعرف لماذا أتيت هنا.. » ماذا كانت تعني بذلك؟

قلت في صراحة :

ـ لاأعرف .

ـ إنها حسبت أنك أتيت لسبب آخر غير الذي تقولين إنك أتيت من أجله فما هذا السبب؟ وغريب أنها تفرست فيك في أثناء تناولك الشاي يوم قدومك لأول مرة .أسرعت أقول :

ـ إنها ليست سيدة مهذبة ياسيد "**بوارو**" .

ـ هذا عذر يا آنسة ولكنه ليس تفسيراً .لم أفهم ما يعنيه عندئذ ولكنه أسرع يقول :

ـ وأعضاء البعثة الآخرون؟ أجبت :

ـ لا أظن أن الآنسة "**جونسون**" كانت تشعر بأي ود نحو السيدة "**ليدنر**" .على أنها لم تكن تخفي مشاعرها نحوها .وكانت متحاملة جداً عليها وتخلص كل الإخلاص للدكتور "**ليدنر**" .وقد عملت معه لسنوات طويلة .وقد غير الزواج أشياء كثيرة ولا يمكن إنكار ذلك .قال "**بوارو**" :

ـ نعم ولم يكن ذلك الزواج مناسباً من وجهة نظر الآنسة "**جونسون**" بل كان الأنسب أن يتزوجها هي .قلت موافقة :

ـ نعم .ولكن الرجل رجل دائماً .وليس هناك واحد في المائة رجل يستشير عقله في هذه الناحية . .ولا يمكن لأحد أن يلوم الدكتور "**ليدنر**" .والآنسة "**جونسون**" المسكينة لاتتمتع بأية جاذبية في حين أن السيدة "**ليدنر**" كانت جميلة حقًا .لم تكن شابة طبعاً ولكنها كانت . .أوه . .ليتك عرفتها .إنها كانت تتمتع بفتنة وسحر كبيرين، وأذكر أن السيد "**كولمان**" قال "إنها أشبه بحورية من الحوريات" .

ـ والآخران؟

ـ لا أعرف شيئًا عن السيد "**إيموت**" فيما عدا أنه شاب هادئ متحفظ .وكانت السيدة "**ليدنر**" تترفق في معاملته جداً وكانت تدعوه باسمه المجرد ويحلو لها أن تداعبه بخصوص الآنسة "**ريلي**" .

– آه.. وهل كانت تروقه مداعباتها هذه؟

– لا أدري. كان يكتفي بأن ينظر إليها بطريقة غريبة ولم يكن من اليسير قراءة أفكاره.

– والسيد "ريتر"؟

– لم تكن تترفق في معاملته دائمًا.. وأظن أنه كان يثير أعصابها وكانت تسخر منه دائمًا.

– وهل كان يغضبه ذلك؟

– كان وجهه يصطبغ. وفجأة وأنا أشعر بالرثاء للفتى المسكين خطر لي أنه يمكن أن يرتكب جريمة قتل بشعة كهذه، وأنه ربما يتظاهر بهذا المظهر منذ البداية. وصحت:

– سيد "بوارو" ماذا تظنه قد حدث حقًا؟ هز رأسه ببطء وفي تفكير وقال:

– هل تخافين العودة إلى هناك الليلة؟

– أوه ! كلا إنني أتذكر ما قلت لي طبعًا ولكن من الذي يريد قتلي؟ أجاب في بطء:

– لاأظن أن أحدًا يستطيع ذلك وإنما قلته فقط ؛ لأنني أردت أن أسمع انطباعاتك عنهم جميعًا.. كلا.. إنني واثق بأنك في أمان تام. بدأت أقول "لو أن أحدًا قال لي وأنا في "بغداد"..." وسكت فقال:

– هل سمعت بعض الشائعات عن آل "ليدنر" وأعضاء البعثة قبل أن تذهبي هناك؟ أخبرته بما ذكرته لي السيدة "كلسي" وما كدت أفرغ حتى فتح الباب ودخلت الآنسة "ريلي".. وكانت عائدة بعد أن فرغت من لعب التنس. وكان المضرب لايزال في يدها. وكنت أعلم أن أباها قدم إليها السيد "بوارو" عند مجيئه إلى "الحسينية" وحيتني هي بدون اكتراث وأخذت شطيرة وهي تقول:

– حسنًا يا سيد "بوارو".. هل تقدمت في تحقيقك؟

– ليس كثيرًا يا آنسة. أرى أنك أنقذت الآنسة "ليذبران" من الغرق. إنها قدمت إليّ معلومات ثمينة عن جميع أعضاء البعثة. وعرفت منها أشياء كثيرة

تتعلق بالسيدة "**ليدنر**" وآمل أن أصل إلى مفتاح الجريمة قريبًا جدًّا.

– تهاني لذكائك الخارق يا سيد "**بوارو**". والحق أن السيدة "**ليدنر**" لقيت مصيرها الحق فإنها كانت تستحق القتل. صحت أقول مشدوهة:

– آنسة "**ريلي**"! ولكنها ضحكت ضحكة خبيثة وقالت:

– شككت في أنك لم تعرف الحقيقة يا سيد "**بوارو**" فإن الآنسة "**ليذبران**" قد وقعت في حبائل هؤلاء القوم.. هل تعرف أنني أتمنى أن تفشل في تحقيق هذه القضية وأن يفلت قاتل السيدة "**ليدنر**" من العقاب. إني أتعاطف جدًّا معه لأني أنا نفسي ما كنت لأحجم عن قتل هذه المرأة لو أن الظروف قد تهيأت لي. نظرت إلى تلك الفتاة الشريرة في ذعر كبير ولكن "**بوارو**" أصغى إليها في غير اكتراث وقال في رفق:

– أرجو إذن يا آنسة أن يكون لديك ما يثبت وجودك في مكان آخر غير مسرح الجريمة أمس. سادت لحظة صمت.. وأفلت المضرب من يد الآنسة "**ريلي**" ولم تفكر في التقاطه. وقالت وهي تلهث:

– كنت في النادي ألعب التنس.. ولكنني أتساءل حقًّا ياسيد "**بوارو**" إذا كنت تعرف أي نوع من النساء كانت السيدة "**ليدنر**"؟

– هلا أخبرتني أنت بذلك يا آنسة؟ ترددت دقيقة قبل أن تقول في برود وخبث بغيضين:

– يقال إنه لا يجب أن نتكلم بسوء عن الموتى، ولكن الحقيقة هي الحقيقة دائمًا والأفضل ألا نتكلم بسوء عن الأحياء ؛ لأن ذلك قد يلحق بهم ضررًا في حين أن الموتى قد أصبحوا في مأمن من ذلك، غير أن السوء الذي تسببوا فيه في حياتهم يبقى بعد مماتهم. هل حدثتك الممرضة عن الجو الغريب الذي كان يسود "**تل يارمجة**"؟ وهل حدثتك عن اضطرابهم وارتباكهم وكيف أن كلاًّ منهم كان يحملق إلى الآخر كالأعداء؟ كان هذا من عمل "**لويز ليدنر**". منذ ثلاث سنوات كان الجميع يعيشون في سعادة تامة، وحتى في السنة الماضية كان كل شيء على ما يرام ولكن ظللت على الجميع غمامة وكان هذا من عملها

هي .كانت من ذلك النوع من النساء اللاتي لاتحب السعادة لأحد .كانت تريد أن تحطم وأن تبذر الشقاق حبًّا في اللهو أو حبًّا في السيطرة أو ربما لأن هذه كانت طبيعتها .كانت من هؤلاء النساء اللاتي يحببن احتكار كل رجل يجدنه تحت أيديهنّ .صحت :

– آنسة "**ريلي**" . .ليس هذا صحيحًا .ولكنها استطردت دون أن تعيرني أي اهتمام . .

لم يكن يكفيها أن يعشقها زوجها فأدارت رأس "**مركادو**" المسكين ثم ألقت شباكها على "**بيل**" ، ومع أن هذا الأخير شاب عاقل إلا أنها أفلحت في إثارته وإرباكه .وكان يروقها أن تعذب "**كارل ريتر**" ، وكان أمرًا يسيرًا فهو شاب حساس، وحاولت أن تفتن "**دافيد إيموت**" ولكن الشاب قاوم سحرها وفتنتها وعرف كيف يتغلب عليها لأنه أدرك أنها مجردة من كل إحساس وأنها لاتهدف إلى أية مغامرة غرامية . .إنها تلهو بقلوب الرجال،ولم تتشاجر قط مع أحد، ولكنها تسببت في كثير من المشاجرات، وكان يحلو لها أن تثير مشاعر الآنسة "**جونسون**" المسكينة وكذلك السيدة "**مركادو**" ، وكانت تجرحني في الصميم كلما سنحت لها الفرصة لذلك . .وكانت تحب التنقيب عن أسرار الناس، ولم يكن ذلك بقصد التهديد وابتزاز المال ولكن للتنكيل بهم .سألها "**بوارو**" :

– وزوجها؟ أجابت في بطء :

– لم تشأ قط أن تجرح إحساسه فكانت تعامله بكل رفق ورقة وأظن أنها كانت تحبه كل الحب، وهو رجل ظريف يعيش دائمًا في عالمه، عالم الحفائر والآثار، وكان يعشقها هو الآخر ويهيم بها .وتحولت إليّ فجأة وقالت :

– ماذا قلت له عن "**ريتشارد كاري**" ؟ سألتها مشدوهة :

– عن السيد "**كاري**" ؟

– عنه وعن السيدة "**ليدنر**" ؟

– حسنًا .قلت إنهما غير متفقين. ولكن ما كانت أشد دهشتي عندما قهقهت

ضاحكة وقالت:

– غير متفقين.. ما أغباك! إنه كان غارقًا في حبها حتى أذنيه. وقد عذبه حبه هذا كل العذاب لأنه يحب "**ليدنر**" كذلك. إنه صديق حميم لـ"**ليدنر**" منذ سنوات، ولم يرقها ذلك وأرادت أن توقع بينهما. وأظن أنها تمادت هذه المرة والواقع أن "**كاري**" جذاب جداً، وهي باردة جداً ولكنني أظن أن برودها هذا ذاب أمامه. صحت:

– هذا افتراء مشين.. إن أحدهما كان لايكاد يخاطب الآخر. تحولت إليّ وقالت:

– حقًا؟ إنك لاتفهمين شيئًا. كانا يتظاهران في البيت بأنهما لايتفقان ولكنهما كانا يلتقيان في الخارج. إنها كانت تذهب للنزهة حتى النهر ويغادر هو الحفائر في الوقت نفسه ويغيب ساعة في كل مرة، وقد اعتادا على اللقاء بين الأشجار والنخيل. وقد رأيته مرة يغادرها ويعود إلى الحفائر ووقفت هي تشيعه بنظراتها. وكنت على مسافة بعيدة منهما ولكن كان معي منظار مكبر ونظرت إلى وجهها في تلك الساعة وما رأيته عليه لأكبر دليل على حبها له. ونظرت إلى "**بوارو**" وقالت:

– ألتمس المعذرة إذا كنت قد تدخلت في عملك، ولكن خُيّل إليّ أنك تحب أن تعرف اللون المحلي. وغادرت الغرفة.. وصحت أقول:

– سيد "**بوارو**".. إنني لا أصدق كلمة واحدة من كل هذا. نظر إليّ وابتسم وقال:

– لا يمكنك الإنكار يا آنسة أن الآنسة "**ريلي**" قد ألقت بعض الضوء على القضية.

*****

- 19 -

شك جديد

لم نستطع أن نقول المزيد، فقد أقبل الدكتور "**ريلي**" في هذه اللحظة. واشترك الطبيب والمخبر السري في حديث طبي عن الحالة النفسية التي يشعر بها كاتب رسائل التهديد. وذكر الدكتور "**ريلي**" بضع حالات عرضت له في حياته الطبية كما روى "**بوارو**" بعض القضايا التي من هذا النوع والتي تمكن من كشف غوامضها. واختتم كلامه قائلاً:

– هذا أبسط مما نعتقده عادة فإن الجاني يتصرف حبًّا في السيطرة أو مدفوعًا بمركب النقص. قال الدكتور "**ريلي**" موافقًا:

– ولهذا السبب يكون كاتب رسائل التهديد هو آخر شخص نشتبه فيه عادة.. مثال ذلك فتاة عالمة وادعة لا تفكر في إيذاء ذبابة.. فتاة تقطر رقة في الظاهر ولكنها تغلي بنار الحقد في الداخل.

– هل تعني أن تقول إن السيدة "**ليدنر**" كانت تعاني مركب النقص؟ أفرغ الدكتور "**ريلي**" غليونه ثم قال:

– إنها آخر امرأة على الأرض أعزو إليها هذا الضعف، فهي لاتعرف معنى الكبح أو الكبت وكل ما تتوق إليه هو أن تنعم بالحياة.

– نفسيًّا، هل كان بمقدورها أن تكتب هذه الخطابات لنفسها؟

– أظن ذلك. ولكن إذا كانت قد فعلت فمن أجل أن تجعل من نفسها بطلة مأساوية.. كانت السيدة "**ليدنر**" تعتبر نفسها كما لو كانت نجمة سينما.. وكان لابد لها أن تكون دائمًا في الصف الأول، تحت أضواء الكشافات.. وتبعًا لقانون المتناقضات فقد تزوجت الدكتور "**ليدنر**"، أهدأ الرجال وأكثرهم تواضعًا كما أعلم.. وكان يعشقها.. ولكن العشق الصامت لم يكن يكفي زوجته.. أرادت قبل كل شيء أن تقوم بدور البطلة المضطهدة. قال

"**بوارو**" وهو يبتسم:

– وبقول آخر فأنت تستبعد نظرية الزوج القائمة على أن زوجته كتبت لنفسها هذه الرسائل على غير وعي منها.

– آه! كلا.. ولكنني لم أشأ أن أذكرها أمامه، فليس من اللياقة أن تقول لرجل فقد زوجته العزيزة لتوه إن هذه الزوجة بالذات كانت كاذبة وقحة وإنها أوشكت أن توردة موارد الجنون إرضاء لغريزتها الدرامية.

– أرجو أن تصارحني يا دكتور "**ريلي**" عن رأيك في السيدة "**ليدنر**". اضطجع الطبيب في مقعده إلى الخلف وأخذ نفساً من غليونه وقال:

– إذا أردت الصراحة فإن سؤالك يحرجني، فإنني لم أعرف هذه المرأة كثيراً، كانت ذات سحر لايقاوم وتتمتع بذكاء كبير وبصيرة عجيبة. لم تكن شهوانية ولا خاملة ولا مغرورة، ولكنني كنت أعتبرها دائماً كذابة كبيرة على الرغم من أنني لم أكن أملك الدليل على ذلك. وإنني لأتساءل هل كانت تكذب على نفسها أيضاً أو أنها كانت تكتفي بالكذب على الغير؟ وأنا نفسي أميل إلى الكاذبات فإن المرأة التي لاتكذب لاتعرف الخيال ولا الحب.. ولا أعتقد حقًّا أنها كانت صائدة رجال ولكنها كانت تستمتع كثيراً بأن تراهم يركعون عند قدميها. وإذا أنت تكلمت مع ابنتي في هذا الأمر.. قاطعه "**بوارو**" وهو يبتسم:

– كان لي هذا الشرف. قال الدكتور "**ريلي**":

– آه.. إنها لم تضيع الوقت.. وأظن أنها قد رمتها بكل النقائص. إن شباب اليوم لا يكن أي احترام للموتى ومن مبادئه إدانة الكبار ومط القانون ولو أنه كان للسيدة "**ليدنر**" أكثر من علاقة لحبذتها "**شيلا**" ولقالت إنه يجب أن تحيا حياتها أو أن تطيع غرائزها. والشيء الذي لم تره ابنتي هو أن السيدة "**ليدنر**" كانت تتصرف التصرف الصحيح ككل امرأة في مكانها. إن القطة تطيع غريزتها عندما تلعب مع الفأر فهكذا الحياة.. والرجال ليسوا أطفالاً لكي نحميهم من دهاء النساء ومكرهن فإن عاجلاً وإن آجلاً سوف يلتقون بنساء ماجنات أو مستبدات لا يتركن لهم لحظة واحدة من الأمن والراحة. إن الحياة ميدان نضال

وليست ساحة لهو ولعب. وإنني لأحب أن أرى "**شيلا**" تهبط من عليائها وتعترف بكل صراحة بأنها كانت تكره السيدة "**ليدنر**" لأسباب خاصة، فإن "**شيلا**" هي الفتاة الوحيدة في هذا المكان، وهي تتصور طبعًا أن كل الشباب يجب أن يتهافت عليها وأن يركع عند قدميها. وإنه ليغضبها طبعًا أن ترى امرأة في منتصف العمر تزوجت مرتين تنازلها وتقهرها في ميدانها هي بالذات، و"**شيلا**" فتاة جميلة تتدفق صحة وحيوية وتتمتع بالفتنة والجاذبية التي تأسر الشبان، ولكن السيدة "**ليدنر**" كانت تملك ذلك الجمال الطاغي الذي يستحوذ على القلوب. أجفلت في مقعدي.. من المصادفات الغريبة أن يقول ذلك، وقال "**بوارو**":

– هل تشعر ابنتك.. إذا لم أكن متطفلاً.. بشيء من الحب لأحد شبان البعثة؟

– أوه.. لاأظن ذلك.. لقد راقصها "**كولمان**" و"**إيموت**" طبعًا.. ولا أدري إلى أي منهما تميل أكثر. ثم إن هناك اثنين من الطيارين، وطلاب الزواج كثيرون وما عليها إلا الاختيار، ولكنني أعتقد أن الذي يغضبها هو أن ترى امرأة في خريف عمرها تهزمها مع أنها في ريعان الصبا.. إنها لم تعرك الحياة بعد كما عركتها أنا، فإن الرجل حين يبلغ سني يروقه أن يرى بشرة جميلة وعينًا مشرقة وجسمًا بضًا. ولكن المرأة التي تتجاوز الثلاثين تعرف كيف تصغي في اهتمام، تلقي بكلمة هنا وكلمة هناك بحيث تجعل من تتحدث إليه يشعر بقيمته، ورجال قلائل هم الذين يقاومون ذلك، و"**شيلا**" فتاة جميلة ولكن "**لويز ليدنر**" جميلة جداً ذات عينين واسعتين وشعر ذهبي.. نعم، كانت امرأة جميلة جداً. قلت في نفسي: "نعم، إنه على حق"، إن الجمال شيء جميل وقد كانت السيدة "**ليدنر**" جميلة جداً.. ليس من ذلك الجمال الذي يغار المرء منه، ولكنه من ذلك النوع الذي يروق الإنسان أن يتأمله. وقد شعرت بذلك في أول يوم أقبلت فيه وأحسست بأني لن أتردد في أن أبذل كل ما أستطيع في سبيل هذه المرأة.

ومع

ذلك فإنني في تلك الليلة ، وأنا في طريقي إلى "**تل يارمجة**" وكان الدكتور قد استبقاني لتناول العشاء عاد إلى ذهني شيء أو شيئان جعلاني أشعر بالاستيلاء ، فإني لم أعبأ بأقوال "**شيلا**" الجارحة وهي تتدفق من فمها واعتبرت أنها نطقت بها بدافع الحقد والخبث . . ولكنني تذكرت الآن أن السيدة "**ليدنر**" قد أصرت على أن تخرج وحدها بعد ظهر أحد الأيام وأنها رفضت صحبتي لها . وعلى الرغم مني تساءلت إذا لم تكن قد ذهبت في ذلك اليوم لملاقاة السيد "**كاري**" . فإن الأدب المفرط الذي كانا يتظاهران به كان شيئًا غريبًا حقًّا خاصة وأن أغلب الموجودين كانوا يتحدثون في ألفة ومودة ويخاطب بعضهم البعض بأسمائهم المجردة، وتذكرت أنه كان يتجنب النظر إليها دائمًا وقد يكون ذلك لأنه لا يميل إليها وقد يكون العكس. حاولت أن أقصي هذه الأفكار عن ذهني . . هأنذا الآن أحشو رأسي بكل شيء . . كل هذا بسبب غضبة فتاة . . وأدركت كم من المآسي والأضرار يمكن أن تقع بسبب مثل هذه الإشاعات الكاذبة . لم تكن السيدة "**ليدنر**" من هذا النوع أبداً . لم تشعر طبعًا بأي ميل نحو "**شيلا ريلي**" ، بل إنها في ذلك اليوم ألحت بتلك اللمحات للسيد "**إيموت**" في أثناء الغداء . وقد نظر الشاب إليها نظرة غريبة لا يمكن أن يدرك المرء معناها أو مغزاها، لم أدر أبداً ماذا يدور بخاطره فقد كان بادي الهدوء والأدب . أما السيد "**كولمان**" فكان شابًّا طائشًا حقًّا . بلغت هذا الحد من أفكاري عندما وصلنا إلى "**تل يارمجة**" ، وكانت الساعة التاسعة تمامًا . وكان الباب العمومي مغلقًا بالمفتاح وأسرع "**إبراهيم**" وفي يده مفتاح ضخم ليفتح لي . وكان الجميع يأوون إلى مخادعهم مبكرين في "**تل يارمجة**" ، ولم يكن هناك أي نور في غرفة المعيشة ولكن النور كان يسطع في غرفة المهندسين وفي مكتب الدكتور "**ليدنر**" ، وفيما عدا الغرفتين كانت جميع النوافذ تسبح في ظلام تام . وفي أثناء مروري بغرفة الرسم في طريقي إلى غرفتي ألقيت نظرة إلى داخلها فرأيت السيد "**كاري**" جالسًا يدرس رسمًا كروكيًّا وقد خلع جاكتته . وبدا أنه مريض جدًّا ومتعب ومتوتر، وأحسست بغصة، كان من المستحيل تحليل مشاعر "**كاري**" . . لم يكن

من السهل الحكم عليه من كلماته لأنه كان نادراً ما يتكلم .ومع ذلك فقد كان يفرض نفسه بمجرد الإحساس بوجوده .وأدار رأسه ورآني فاخرج غليونه من فمه وقال:

– حسنًا أيتها الممرضة هل عدت من "**الحسينية**" ؟

– نعم يا سيد "**كاري**" ، إنك تعمل إلى وقت متأخر ،يبدو أن الجميع أووا إلى مخادعهم.

– ظننت أنه يجب أن أستمر في عملي خاصة وأني تأخرت فيه قليلاً، سنستأنف الحفر غداً. صحت أقول وقد صدمت في شعوري:

– هكذا سريعًا! نظر إليَّ نظرة غريبة وقال:

– هذا أحسن ما يمكن عمله .وقد تكلمت في ذلك مع "**ليدنر**" ، إنه سيذهب غداً إلى "**الحسينية**" لبعض الإجراءات، أما نحن فسنستأنف حياتنا العادية، فما الجدوى من البقاء لينظر كل منا إلى الآخر؟ كان هذا رأيًا حكيمًا حقًّا،إذا أخذنا في الاعتبار انفعال الجميع.

– إنك على حق، من ناحية فإن العمل سيجعلكم تنسون كل شيء. وكنت أعرف أن الجنازة بعد غد .وغرق في عمله من جديد، ولا أدري كيف أفسر الأمر ولكنني أحسست بانقباض وأنا أنظر إلى هذا الرجل، فقد كنت واثقة بأنه لن يغمض له جفن في تلك الليلة .وقلت مترددة:

– إذا أردت آتيك بأقراص منومة يا سيد "**كاري**" ، لكنه هز رأسه وقال وهو يبتسم:

– شكراً لك يا آنسة، إنني أستطيع الاستغناء عنها،إن الحبوب المنومة عادة قبيحة.

– حسنًا، طابت ليلتك يا سيد "**كاري**" . هل كان هناك ما أستطيع أن أؤديه لك؟

– أوه، شكراً لك يا آنسة . .طابت ليلتك. قلت في شيء من التهور تقريبًا:

– آسفة جداًّ .نظر إليَّ مشدوهًا وقال:

– آسفة!

– نعم، إني آسفة من أجل الجميع. .إنه لشيء فظيع ولا سيما لك أنت.

– لي أنا؟ ولماذا؟

– أوه. .لأنك صديق حميم للسيد "**ليدنر**" وزوجته.

– إني صديق حميم للسيد "**ليدنر**"، ولم أكن كذلك للسيدة "**ليدنر**" على الخصوص.وكانت لهجته تنم على أنه لم يكن يشعر بأي ميل إليها وتمنيت في تلك اللحظة لو أن "**شيلا ريلي**" قد سمعته.وقلت ثانية:

– طابت ليلتك. .ثم أسرعت إلى غرفتي.وقبل أن أنضو عني ثيابي قمت بأعمال كثيرة فغسلت بعض مناديلي وقفازي ثم عكفت على تدوين يومياتي وعندما قررت أن أنام ألقيت نظرة من خلال الباب إلى الفناء.كانت الأنوار لاتزال تسطع في غرفة المهندسين وفي الجناح الجنوبي.لم يكن هناك ريب في أن الدكتور "**ليدنر**" لايزال عاكفًا على العمل في مكتبه.وترددت أن أذهب إليه وأتمنى له ليلة طيبة، فإني لم أكن أريد أن أبدو كما لو كنت فضولية، لعله مشغول ولايريد أن يزعجه أحد وأخيرًا قادتني قدماي رغمًا عني. .ليس في ذهابي أي ضرر على كل حال، سأتمنى له ليلة طيبة وأسأله إن كنت أستطيع أن أقدم إليه أية خدمة، ولكن الدكتور "**ليدنر**" لم يكن في مكتبه، كانت الغرفة مضاءة ولم يكن فيها أحد غير الآنسة "**جونسون**"، وكانت تضع رأسها فوق المنضدة وكانت تبكي أحر بكاء، أزعجني منظرها، فقد كانت امرأة هادئة متزنة وقد رثيت لها عندئذ، وسألتها وأنا ألقي بيدي على كتفها:

– ما الخبر؟ إن البكاء لايجدي أبدًا، لا يجب أن تجلسي وتبكي هكذا.لم ترد عليّ ولكن نحيبها ازداد بصورة غريبة فتوسلت إليها قائلة:

– لاتبكي، تشجعي، سأعد لك فنجانًا من الشاي الساخن.رفعت رأسها وقالت:

– كلا، كلا، إني على ما يرام أيتها الممرضة، إني أتصرف تصرف الحمقى.

– ما الذي يزعجك هكذا؟ لم تجبني على الفور ثم قالت:

– كلا هذا فظيع .قلت :

– لاتفكري في ذلك الأمر بعد، إن ماحدث قد حدث ولا يمكن إصلاحه، لاجدوى من البكاء .اعتدلت في جلستها وسوت شعرها وقالت :

– أعرف أني تصرفت تصرفا أحمق،كنت أقوم بترتيب المكتب وتنظيفه لأشغل نفسي وإذا بنوبة من البكاء تأخذني فجأة .أسرعت أقول :

– نعم . .نعم . .إني أفهم، اذهبي إلى فراشك وسآتيك بكوب من الشاي وزجاجة من الماء الساخن .وقالت وهي في فراشها ومعها كوب الشاي :

– أشكرك أيتها الممرضة، إنك امرأة رقيقة . . رقيقة من النادر جداً أن أنهار هكذا .

– أوه، إن هذا ليحدث لكل امرىء في مثل هذه الظروف . .الانفعال والتعب ورجال البوليس هنا وهناك وفي كل مكان، إني أشعر أنا نفسي أني لست في حالتي العادية .قالت في بطء وبلهجة عادية :

– إن ما حدث قد حدث ولا يمكن إصلاحه كما قلت أنت منذ لحظة .وسكتت دقيقتين ثم قالت :

– إنها لم تكن امرأة طيبة قط .ولم أناقشها في هذه النقطة،فقد كنت أعرف العداء الذي كان بينهما .ولعل الآنسة "**جونسون**" كانت مغتبطة في قرارة نفسها لموت السيدة "**ليدنر**"، ولعلها أحست بالخجل لشعورها هذا .وقلت :

– يمكنك أن تنامي الآن وتطرحي عن ذهنك كل شيء. والتقطت بعض الأشياء، وأعادت النظام إلى الغرفة وألقت جوربها على مسند أحد المقاعد وعلقت ثيابها على المشجب، ولم ألبث أن رأيت قصاصة صغيرة من الورق على الأرض وكانت مجعدة وظننت أنها وقعت من جيبها . والتقطتها وهممت بأن أبسطها لكي أرى إن كان من الأوفق أن ألقي بها عندما سمعتها تقول فجأة :

– أعطيني هذه. وأجفلت إزاء لهجتها وأعطيتها الورقة وأخذتها مني في لهفة وعرضتها لنار الشمعة لكي تحرقها .ونظرت إليها في شيء من الحيرة،كانت قد فاجأتني بلهجتها الآمرة، فلم أجد الوقت الكافي لكي أقرأ ما بها ولكن الورقة توارت تحت تأثير النار ، واستطعت أن أرى بعض الكلمات المكتوبة

بالحبر. وعندما استلقيت فوق فراشي أدركت لماذا بدا لي خطها مألوفًا فقد كان يشبه بصورة غريبة خط رسائل التهديد. فهل كتبت الآنسة "**جونسون**" رسائل التهديد؟ صدمتني هذه الفكرة صدمة شديدة فلم أكن قد ربطت في ذهني قط بين رسائل التهديد وبين الآنسة "**جونسون**". لعلي ربطت بينها وبين الآنسة "**مركادو**". أما الآنسة "**جونسون**" فقد كانت سيدة مهذبة ورزينة لا يمكن أن تقدم على عمل كهذا، ولكنني لم ألبث أن تذكرت الحديث الذي دار أمامي في تلك الليلة بالذات بين الدكتور "**ريلي**" والسيد "**بوارو**" وتفتحت أمامي آفاق جديدة. فلو أن الآنسة "**جونسون**" هي التي كتبت هذه الرسائل، فإن أشياء كثيرة تتضح عندئذ ويصبح لها معنى. ولم يخطر ببالي، ولو لمجرد لحظة، أن للآنسة "**جونسون**" دخلاً في جريمة القتل، ولكنني أدركت أن كراهيتها للسيدة "**ليدنر**" ربما دفعتها إلى مثل هذا العمل لإفزاعها وإبعادها عن الحفائر. ولكن السيدة "**ليدنر**" قتلت وأحست الآنسة "**جونسون**" عندئذ بتبكيت الضمير، خاصة عندما رأت أن القاتل اتخذ تلك الرسائل ستاراً له، ولا عجب في انهيارها هذا. ورحت أتقلب في فراشي وأنا أتساءل عما يجب أن أفعله وأخيرا عقدت النية على أن أطلع السيد "**بوارو**" على الأمر في أول فرصة. وأقبل في اليوم التالي ولكنني لم أجد الفرصة لكي أتحدث إليه على انفراد. وعندما سنحت لي الفرصة أخيراً همس في أذني قبل أن أستطيع النطق بكلمة واحدة:

– سأتحدث إلى الآنسة "**جونسون**" في غرفة المعيشة.. هل معك مفتاح غرفة السيدة "**ليدنر**"؟

– نعم.

– حسن جداً. اذهبي إليها وأغلقي الباب خلفك ثم أطلقي صيحة. لا أعني صرخة حادة، وإنما مجرد صيحة خافتة بعيدة عن الفزع والذعر.. وإذا حدث وسمعك أحد فاعتذري بأنك.. تعثرت في شيء ما. وفي هذه اللحظة بالذات جاءت الآنسة "**جونسون**" إلى الفناء فلم أجد متسعًا من الوقت لكي أروي له قصتي. وعرفت على الفور ماذا يدور في ذهن "**بوارو**".. وما إن مضى إلى غرفة

المعيشة وبرفقته الآنسة "**جونسون**" حتى ذهبت إلى غرفة السيدة "**ليدنر**" وأغلقت الباب عليَّ. وقد استسخفت نفسي بعض الشيء عندما وجدت نفسي وحدي في تلك الغرفة أطلق صيحة لا يبررها أي شيء..زد على ذلك أنني لم أدر كيف أحدد قوة هذه الصيحة،ومهما يكن فإنني أطلقت صيحة خافتة ، ثم أتبعتها بأخرى مرتفعة ثم الثالثة أكثر خفوتاً ثم خرجت.ولكن لحسن الحظ لم يكن هناك أي داع لمثل هذا التفسير،ووجدت "**بوارو**" والآنسة "**جونسون**" منهمكين في حديث حاد يبدو أن أحداً لم يقطعه عليهما، وسمعت "**بوارو**" يقول:

– إن الموقف دقيق جداً..من الواضح أن الدكتور "**ليدنر**" كان يحب زوجته.أجابت الآنسة "**جونسون**" :

– إنه كان يعشقها.وهو يؤكد أن كل أعضاء البعثة كانوا يعشقونها هم الآخرون.وهم أنفسهم يقولون ذلك طبعاً ولكن بدافع الأدب واللياقة..ومن الجائز أن تكون هذه هي الحقيقة ومن الجائز الا تكون كذلك..وأنا على يقين ياآنسة أن مفتاح الجريمة يكمن في فهمنا لطباع السيدة "**ليدنر**"، ولو استطعت أن أعرف رأي كل فرد من أفراد البعثة عنها فقد أستطيع أن أبني لها صورة في مخيلتي.والواقع أنني أتيت اليوم لهذا الغرض.فإنني علمت أن الدكتور "**ليدنر**" قد ذهب إلى "**الحسينية**" وأنني سأستطيع عندئذ أن أتحدث إلى كل منكم وأنشد مساعدتكم.قالت الآنسة "**جونسون**" :

– إن فكرتك لا بأس بها ولكن..قاطعها "**بوارو**" قائلاً:

– دعك من هذه الحِكَم الإنجليزية ولا تتذرعي بهذه الحجة التي تقول إنه لاينبغي أن نتحدث بسوء عن الموتى، تكلمي بكل صراحة واعلمي أننا إزاء جريمة قتل وأن الوفاء لذكرى القتيلة يضر بالحقيقة كل الضرر.قالت الآنسة "**جونسون**" في جفاء:

– لاشيء يرغمني على الوفاء لذكرى السيدة "**ليدنر**"، ومهما يكن من أمر فإنها كانت زوجته.

– هذا صحيح . .إنني أفهم أنك لاتريدين التحدث بسوء عن زوجة رئيسك ولكن الأمر يتعلق بجريمة قتل غامضة، وإذا حاول أحد إقناعي بأن القتيلة كانت ملاكًا فإن ذلك لن يزيد تحرياتي إلا تعقيداً .قالت الآنسة "**جونسون**" في لهجة مريرة :

– إنني لن أدعوها على كل حال ملاكًا .

– صارحيني برأيك في السيدة "**ليدنر**" كامرأة .

– دعني أقول لك يا سيد "**بوارو**" قبل كل شيء إني امرأة متحيزة فإني . .بل إننا جميعًا شديدو الإخلاص للدكتور "**ليدنر**" ، أظن أننا أحسسنا بالغيرة عندما أقبلت السيدة "**ليدنر**" كامرأة، ساءنا أن تستأثر بوقته واهتمامه وأحنقنا حبه لها، إني امرأة صريحة يا سيد "**بوارو**" ويشق عليَّ أن أقول ذلك .ساءني وجودها بيننا ولكنني أخفيت شعوري . .إن وجودها قد أحدث شقاقًا بيننا .

– بيننا؟من تعنين؟

– أعني السيد "**كاري**" .فأنا وهو من أقدم أعضاء البعثة وكنا نعيش سعيدين قبل أن تأتي .كنا نلهو ونضحك ونتبادل النكات، وكان الدكتور "**ليدنر**" شديد المرح كالأطفال .

– وعندما جاءت السيدة "**ليدنر**" تغير كل هذا؟

– حسنًا .إنني لا ألقي عليها أية مسؤولية وأرجو أن تعلم ياسيد "**بوارو**" أنها لم ترتكب ذنبًا، كانت ظريفة ورقيقة دائمًا معي والحق أني أشعر بالخجل في بعض الأحيان، وليس الخطأ خطأها إذا كانت كلماتها أو أعمالها قد أغضبتني، فالواقع أني لم أجد في حياتي من هي أظرف منها .ومع ذلك فإن وجودها هذه السنة أحدث تغييراً كبيراً . كل التغيير . .وبدون سبب واضح .فإن كل شيء يسير من سيئ إلى أسوأ . .لا أعني العمل . .وإنما علاقاتنا بعضنا ببعض، وقد تملكنا الانفعال وأصبحنا نحس كما لو أننا نعيش في خوف من هبوب العاصفة .

– وعزوتم كل هذا إلى نفوذ السيدة "**ليدنر**" ؟

– حسنًا . .لم يكن الأمر كذلك قبل قدومها . .أوه،إني امرأة سيئة الطباع

متذمرة محافظة أحب أن يظل كل شيء على حاله فأرجو ألا تعير أقوالي أي اهتمام ياسيد "**بوارو**".

– هل لك أن تحدثيني عن أخلاق السيدة "**ليدنر**" وطباعها؟ ترددت الآنسة "**جونسون**" قليلاً ثم قالت في بطء:

– كانت امرأة غريبة الأطوار طبعاً متقلبة، تعاملك برقة ورفق في يوم، ثم تتغير معاملتها لك في اليوم التالي، ولكنها كانت في قرارة نفسها طيبة ودوداً ومجاملة للآخرين. ولكن كان من الواضح أنها عاشت حياتها مدللة. وبدا لها اهتمام الدكتور "**ليدنر**" أمراً طبيعيًّا، ولا أعتقد أنها قدرت زوجها حق قدره في يوم من الأيام، وقد أحزنني ذلك كل الحزن ثم إنها كانت عصبية جداً تتصور وتتوهم أشياء لا وجود لها، وقد شعرت بالارتياح عندما أتى الدكتور "**ليدنر**" بالممرضة "**ليذبران**" فلم يكن في مقدوره أن يهتم في وقت واحد بعمله وتهدئة روع زوجته.

– ما رأيك في رسائل التهديد التي جاءتها؟ ولم أستطع مقاومة الفضول فانحنيت إلى الأمام لكي أتبين ملامح الآنسة "**جونسون**" وهي ترد على "**بوارو**"، وأجابت تقول في هدوء تام:

– أظن أن شخصاً أمريكيًّا كان يحقد عليها ويحاول إخافتها وإفزاعها، فقد كانت امرأة جميلة، ومن السهل أن يكون لها بعض الأعداء.. وأظن أن رسائل التهديد كتبتها غريمة لها ولما كانت السيدة "**ليدنر**" عصبية الطباع فقد أخذت هذه الرسائل مأخذ الجد.

– هذا جائز ولكن لاتنسي أن الرسالة الأخيرة لم تأت عن طريق البريد.

– هذا أمر من اليسير تنفيذه فإن المرأة التي تدفعها الغيرة لاتقف أمامها أية عقبة.

– لعلك على حق يا آنسة، كانت السيدة "**ليدنر**" جميلة كما تقولين، وبهذه المناسبة هل تعرفين الآنسة "**ريلي**" ابنة الدكتور؟

– "**شيلا ريلي**"؟ نعم طبعاً. قال "**بوارو**" بلهجة من يكشف سرًّا:

– سمعت أن هناك مودة بينها وبين أحد أعضاء البعثة، وأنا لا أريد أن أسأل الدكتور طبعًا فهل هذا حقيقي؟ أجابت الآنسة "**جونسون**" ضاحكة:

– أوه..راقصها "**كولمان**" و"**دافيد إيموت**" مراراً، وهما يتنافسان ويحاول كل منهما أن يسبق الآخر ليظفر بمراقصتها كل ليلة سبت في نادي "**الحسينية**"، ولاأظن أنها تهتم بأي منهما فهي الفتاة الوحيدة في المكان،ثم إن ضباط معسكر الطيران يتنافسون للحظوة بمراقصتها.

– إذن فهذه الشائعات لا أساس لها. قالت الآنسة "**جونسون**" في تفكير:

– لا أدري، صحيح أنها تأتي إلى الحفائر في بعض الأحيان، وقد داعبت السيدة "**ليدنر**" "**دافيد إيموت**" منذ أيام وقالت إن الفتاة تطارده، وهي دعابة سمجة لم ترق للشاب المسكين. إنها تأتي إلى الحفائر كثيراً وقد رأيتها على صهوة جوادها في اليوم الذي وقعت فيه الجريمة ولكن لم يكن "**دافيد**" ولا "**كولمان**" يعملان في الحفائر في ذلك اليوم، فقد كان "**ريتشارد كاري**" يشرف على العمل، نعم لعلها تميل إلى أحد الشابين، ولكنها فتاة في مقتبل العمر لا يمكن أن يعرف أحد حقيقة مشاعرها ولا أدري إلى أي منهما تميل أكثر.ولكن "**بيل**" شاب ممتاز وغير غبي كما يتظاهر و"**دافيد إيموت**" وسيم وشهم ورزين.ونظرت إلى "**بوارو**" في فضول واستطردت:

– ولكن ما علاقة كل هذا بجريمة القتل يا سيد "**بوارو**"؟ رفع السيد "**بوارو**" يديه في الفضاء بطريقة فرنسية وقال:

– إني أشعر بالخجل يا آنسة فأنت تظنين أني ثرثار ولكني أحب أن أسمع دائماً قصص غرام الشباب.أطلقت الآنسة "**جونسون**" تنهيدة خفيفة وقالت:

– إن قصص الغرام جميلة خاصة إذا لم يعكرها شيء.أجابها "**بوارو**" بتنهيدة أخرى ،وتساءلت إذا لم تكن الآنسة "**جونسون**" تجتر في ذهنها ذكرياتها عن حب غير سعيد وإذا لم يكن للسيد "**بوارو**" زوجة وعشيقة كما يشاع عن الأجانب، لكن منظره بدا لي مضحكًا بحيث استبعدت ذلك.ونهض واقفًا وقال:

– هل بالبيت أحد آخر من أعضاء البعثة؟

– إن "**ماري مركادو**" موجودة، أما الرجال فقد ذهبوا إلى الحفائر اليوم.وأظن أنهم أرادوا الابتعاد عن البيت ولا ألومهم على ذلك وإذا أردت أن تذهب إلى الحفائر.. وجاءت إلى الشرفة وخاطبتني مبتسمة:

– فإن الآنسة "**ليذبران**" لن تمانع في اصطحابك إلى هناك.

– أوه..طبعًا يا آنسة.

– ثم تعود بعد ذلك لتناول طعام الغداء معنا أليس كذلك؟

– شكرًا يا آنسة.وعادت الآنسة "**جونسون**" إلى غرفة المعيشة لاستئناف عملها.وقلت أخاطب "**بوارو**":

– إن السيدة "**مركادو**" على السطح فهل تحب أن تتحدث إليها قبل أن تخرج؟

– ولم لا؟ هلمي بنا إليها.وقلت ونحن نصعد السلم:

– إني نفذت تعليماتك، فهل سمعت شيئًا؟

– أبدًا.

– هذا يخفف ضمير الآنسة "**جونسون**" المسكينة.فقد خشيت ألا تكون قد قامت بما يجب عندما سمعت تلك الصيحة.كانت السيدة "**مركادو**" فوق السطح ورأسها مائل إلى الأمام وقد استغرقت في لجة عميقة من الأحلام، وعندما وقف "**بوارو**" أمامها وحياها رفعت رأسها إليه في ذعر وقد لاحظت أنها كانت متغيرة السحنة، وحول عينيها هالتان داكنتان.وقال "**بوارو**":

– أتيتك اليوم في أمر خاص.وذكر لها الحديث نفسه الذي ذكره للآنسة "**جونسون**" مبينًا لها أن من الضروري أن تصارحه برأيها لكي يرسم في ذهنه صورة صحيحة للسيدة "**ليدنر**".ولكن السيدة "**مركادو**" لم تكن تتحلى بصراحة الآنسة "**جونسون**" فراحت تطري السيدة "**ليدنر**" وتسهب في مدحها وهو أمر لم أكن أتوقعه منها فقد قالت:

– هذه العزيزة "**لويز**"..من العسير وصفها لشخص لم يعرفها..كانت امرأة

غريبة الأطوار جداً. .لامثيل لها، ولاريب في أنك أحسست بهذا الإحساس أنت أيضاً أيتها الممرضة، كانت عبدة لأعصابها ونزواتها ولكننا كنا نحتملها عن طيب قلب ونغفر لها كل شيء. كانت ظريفة معنا جميعاً، أليس كذلك أيتها الممرضة؟ ومتواضعة. .تساعد زوجي والآنسة "**جونسون**" في أعمالهما وكنا نحبها جميعاً.

– ليس صحيحاً إذن ما سمعته ياسيدتي من أنه كان يسود البيت جو من التوتر والضيق؟ اتسعت عينا السيدة "**مركادو**" وهتفت:

– أوه. .من قال لك هذا؟ أهي أنت أيتها الممرضة؟أو لعله الدكتور "**ليدنر**"؟ إني واثقة بأن ذلك الرجل المسكين لم يكن ليلحظ أي شيء. ورمتني بنظرة شزراء ولكن "**بوارو**" ابتسم وقال:

– إن لي جواسيس ياسيدتي. وقلت أخاطب "**بوارو**" بعد أن خرجنا من البيت ومضينا في طريقنا إلى الحفائر:

– إن هذه المرأة أكبر كذابة التقيت بها في حياتي، إني واثقة بأنها كانت تكره السيدة "**ليدنر**" كل الكراهية.

– هذه امرأة لا يمكن الركون إلى شهادتها.

– إنك فقدت وقتك في استجوابها.

– أبداً. .أبداً. .إذا كذبت شفتا امرأة فغالباً ما تقول عيناها الحقيقة، من أي شيء تخاف السيدة "**مركادو**"؟ إني رأيت الذعر في عينيها مما يدل على أنها تخشى شيئاً ما، وإن هذه المرأة تهمني كثيراً.

– لديَّ ماأريد أن أخبرك به يا سيد "**بوارو**". وذكرت له الأحداث التي تلت عودتي مساء أمس وقلت له:

– إنني أشك كثيراً في أن الآنسة "**جونسون**" هي كاتبة رسائل التهديد. .وعقبت أقول:

– وهذه امرأة أخرى كذابة وقد ردت على أسئلتك بخصوص هذه الرسائل بكل جرأة. قال "**بوارو**":

– نعم.وكانت أقوالها ممتعة؛ لأني تبينت منها أنها كانت تعرف كل شيء عن هذه الرسائل مع أن أحدا من أعضاء البعثة لم يكن يعرف عنها شيئًا.صحيح أنه يجوز أن يكون الدكتور "ليدنر" قد حدثها عنها أمس فهما صديقان حميمان، ولكن إذا لم يكن قد حدثها عن هذه الرسائل..فإن الأمر يكون شديد الغرابة عندئذ، أليس كذلك؟ زاد تقديري لهذا الرجل العجيب، فقد كان من الذكاء بحيث حملها على أن تحدثه عن الرسائل وسألته قائلة:

– هل ستسألها في هذا الصدد؟ ولكنه هز رأسه وأجاب:

– كلا..ليس من الحكمة أن يكشف أحد عن أوراقه..إني أحتفظ بكل شيء هنا حتى آخر لحظة. وضرب بيده على جبينه ثم استطرد:

– وفي اللحظة المناسبة أهجم كالفهد وأشيع الفزع حولي.ولم يسعني إلا أن أضحك بيني وبين نفسي فلم أستطع أن أتصور السيد "بوارو" في دور الفهد، وكنا قد بلغنا الحفائر في هذه اللحظة.ووقع نظرنا على السيد "ريتر" وكان منهمكًا في تصوير بعض الجدران المتداعية، وبعد أن فرغ من التقاط مايريد من صور تقدم "بوارو" إليه وألقى إليه بضعة أسئلة فنية عن التصوير، أسرع الشاب يرد عليها في سرور وحماس وقد أسعده أن يجد أن هناك من يهتم بعمله.وعندما هم أن يعتذر لكي يغادرنا تكلم "بوارو" عن الموضوع الذي جاء من أجله وقد جاءت أسئلته ارتجالاً، ولكنها كانت تدل كلها على ذكاء كبير ولاأرى أي داع لنقلها حرفيًا، وقال السيد "ريتر" يرد على أحد أسئلته:

– نعم..نعم..إني أفهم ما تعنيه، ولكنني لا أعرف كيف أستطيع مساعدتك.هذا أول موسم لي هنا ولم أتحدث كثيرًا إلى السيدة "ليدنر".وتبينت في لهجته شيئًا من الحياء، وقال "بوارو" وهو يبتسم:

– يمكنك أن تقول لي على الأقل هل كنت تميل إليها أو تكرهها؟ اصطبغ وجه السيد "ريتر" وتمتم:

– كانت امرأة ظريفة وذكية جدًا،كانت حاضرة الذهن دائمًا.

– حسنًا، كنت تميل إليها إذن؟ وهي..هل كانت تميل إليك؟ ازداد احمرار

لون السيد "ريتر" وقال:

– أوه.. لاأظن أنها اهتمت بي أقل اهتمام،أردت أن أؤدي لها خدمة مرة أو مرتين ولكنني أخفقت، وأخشى أن أكون قد ضايقتها بحماقتي، ومع ذلك فلم أكن أقصد إلا مجاملتها.رثى "بوارو" لتخبط الشاب، وقال:

– حسنًا. .حسنًا. .لننتقل إلى شيء آخر. .هل كان جو البيت سعيدًا؟

– عفوًا؟

– هل كنتم سعداء. .جميعًا؟ هل كنتم تضحكون وتتحدثون؟

– كلا، ليس تمامًا. . كان هناك شيء من التوتر.وأمسك وبدا أنه يقاوم نفسه وأخيرًا قال:

– أنا خجول وأرتبك سريعًا ولا تروقني حياة المجتمعات.كان الدكتور "ليدنر" ظريفًا معي دائمًا ولكنني لم أستطع التغلب على خجلي وكنت أنطق دائمًا بما لايجب النطق به، إني سيئ الحظ.وبدا مرتبكًا حقًا. .وقال "بوارو" :

–كان هذا شأننا جميعا ونحن شباب، أما الاتزان واللباقة الاجتماعية فيأتيان فيما بعد.ثم حياه وغادرناه، وقال "بوارو" ونحن في الطريق:

– هذا الشاب إما أنه ساذج جدًا أو أنه ممثل من الدرجة الأولى. لم أجبه فقد غرقت في لجة من الأفكار، وقد خطر لي أن واحدًا من أفراد البعثة قاتل جريء وبدا لي أن مثل هذا الأمر في مثل هذا اليوم الجميل مستحيل.قال "بوارو" وهو يتوقف:

– أرى أنهم يحفرون في مكانين مختلفين. كان السيد "ريتر" قد التقط صورة في آخر الحفريات العمومية وعلى بعد مسافة منا كانت هناك جماعة أخرى من الرجال يأتون ويذهبون حاملين سلالهم وقلت:

– هذه هي الحفريات الرئيسية ولا يستخرجون منها شيئًا يذكر فيما عدا أجزاء من الفخار لاتصلح إلا للرمي ولكن الدكتور "ليدنر" يؤكد أن لها قيمة كبيرة، ولا ريب في أنه على حق.

– هلمي بنا إليها إذن.ورحنا نتقدم في بطء ؛ لأن أشعة الشمس كانت

حادة. كان السيد "مركادو" يشرف على العمل. ورأيناه وهو يتحدث إلى رئيس العمال، وهو رجل مسن له بشرة مجعدة كجلد السلحفاة، ويلبس معطفًا من الجوخ فوق جلباب من القطن المخطط. وسألني "بوارو" ونحن نمضي إليه:

– هل السيد "مركادو" أيمن أم أعسر؟ وياله من سؤال غريب.. وفكرت لحظة ثم أجبت:

– إنه أيمن. ولم يتنازل "بوارو" ويوضح لي قصده من هذا السؤال، واستمر في طريقه. وبدا أن السيد "مركادو" اغتبط برؤيتنا فقد انبسطت أساريره ، وتظاهر السيد "بوارو" بأنه يهتم بالآثار. فراح الشاب يحدثه عن الحفائر ويشير بيده إلى أجزاء الفخار. وكانت يده تهتز حتى خيل لي أنه مصاب بالملاريا، وفجأة وفيما هو ينحني لكي يلتقط سكينًا من الصوان من بين بعض أجزاء الفخار قفز صارخًا وتحول فرآني أنظر إليه أنا و"بوارو" مشدوهين فقال:

– شيء شكني.. كما لو كان إبرة ساخنة. وعلى الفور اشتعل "بوارو" حماسًا وقال:

– أسرع ياسيدي العزيز.. أرني أين هذا.. آنسة "ليذبران".. وأسرعت إليه، وأمسك "بوارو" بذراع السيد "مركادو" ورفع كم القميص الكاكي حتى كتفه.. وقبل الكتف بنحو ثلاث بوصات كانت هناك نقطة دم. وقال "بوارو" وهو يفحص كم القميص المرفوع:

– هذا غريب، إني لاأرى شيئًا. لاريب في أنها نملة.

– من الأوفق أن أضع قليلاً من اليود عليها. وأنا أحمل معي دائمًا إصبعًا من اليود فأخرجته من حقيبتي ، ووضعته على مكان اللسعة ولكنني كنت شاردة الذهن وأنا أقوم بذلك فقد رأيت شيئًا أثار اهتمامي، كان في ذراع السيد "مركادو" ابتداء من الساعد حتى المرفق، علامات صغيرة، وعرفت في هذه العلامات آثار حقن تحت الجلد. خفض السيد "مركادو" كمه واستأنف توضيحاته.. وأصغى السيد "بوارو" إليه ولكنه لم يحاول إدارة دفة الحديث حول آل "ليدنر" بل إنه لم يلق أي سؤال إلى السيد "مركادو" ولم نلبث أن

ودعناه من حيث أتينا .وسألني صديقي :

– كان عملاً بارعًا . .أليس كذلك؟ سألته :

–بارعًا؟ أخذ السيد "**بوارو**" شيئًا من طية جاكتته ونظر إليه في شغف . .ولدهشتي رأيت في يده إبرة للرفو ثبتت في آخرها قطعة من الشمع الأحمر فبدت كأنها دبوس فصحت :

– سيد "**بوارو**" . .هل أنت الذي شككته؟

– نعم . .وكنت جد حريصًا فلم يلحظ ذلك .بل إنك أنت نفسك لم تري شيئًا .وكان هذا صحيحًا فلم أره وكذلك لم يشك "**مركادو**" فيه، ولا في ريب أنه كان أسرع من البرق في حركته .وقلت :

– ولكن لماذا يا سيد "**بوارو**" ؟

– ألم تلحظي شيئًا؟

– بلى . .آثار حقن تحت الجلد .

– إننا نعرف إذن شيئًا بخصوص السيد "**مركادو**" . .كنت أشتبه فيه . .ولكن من غير أن أعرف، ومن الخير دائمًا أن يعرف الإنسان .وضرب جبينه بيده وقال :

– آه . .إن منديلي وقع مني هناك .وقد أخفيت فيه الدبوس .قلت وأنا أستدير :

– سأذهب لأبحث لك عنه .وغلبني طبعي ونظرت إلى "**بوارو**" كما لو كان هو الطبيب وكما لو كنت أنا ممرضته أشرف على عملية جراحية خطيرة .والواقع أننا كنا إزاء عملية، وكان "**بوارو**" هو الجراح وأظن أنه لا يجب أن أبوح بذلك ولكن الأمر بدأ يروقني .وعندما عثرت على المنديل وعدت إليه لم أره في بداية الأمر ولكنني لم ألبث أن لمحته واقفًا على مسافة يتحدث إلى السيد "**كاري**" وشعرت بشيء من التردد ؛ لأنني لم أدر إذا كان "**بوارو**" يريدني بجواره أو إذا كان قد أرسلني لآتيه بمنديله بغرض إقصائي عنه لبضع دقائق .ولم أتصور طبعًا أن السيد "**بوارو**" أرسلني للبحث عن منديله لكي يمنعني من الإصغاء إلى حديثه مع السيد "**كاري**" . .ولعله حسب أن هذا الأخير سيتكلم بحرية أكثر بعيدًا عني .ولهذا انعطفت إلى طريق مختصر يؤدي إلى ربوة عالية على بعد

خطوات منهما أخفتني عن نظريهما. وسمعت "**بوارو**" يقول:

– أعرف أن الدكتور "**ليدنر**" كان يحب زوجته بجنون، ولكن يحدث أحيانًا أن نعلم عن الشخص من أعدائه أكثر مما نعلمه عنه من أصدقائه. قال "**كاري**" في سخرية:

– أنت تهتم إذن بعيوب الشخص أكثر من اهتمامك بفضائله.

– هو ذلك، عندما يكون في الأمر جريمة قتل، فبقدر ما أعلم لم يسبق أن لقي أحد مصرعه قتلاً لأنه فاضل. قال السيد "**كاري**":

– أخشى أنني لا أستطيع أن أفيدك.. وبكل صراحة لم أكن أميل إلى السيدة "**ليدنر**" ولم تكن هي تميل إليّ. وليس معنى هذا أننا كنا عدوين ولكننا لم نكن صديقين حميمين.. وربما كانت السيدة "**ليدنر**" تغار مني للصداقة الوطيدة التي تربطني بزوجها.. وأنا نفسي، على الرغم من إعجابي بجمالها كنت أحقد عليها لتأثيرها في "**ليدنر**".. وكانت النتيجة أن راح كل منا يعامل الآخر بكل أدب ولكن بدون ود. قال "**بوارو**":

– ياله من تفسير رائع! ولم أكن أرى منهما غير رأسيهما وقد لاحظت أن السيد "**كاري**" أدار رأسه نحو "**بوارو**" فجأة كما لو كانت لهجته قد ساءته.. واستطرد "**بوارو**" يقول:

– ألم تؤثر هذه الجفوة التي كانت بينك وبين السيدة "**ليدنر**" في علاقتك بزوجها؟ تردد "**كاري**" لحظة طويلة قبل أن يجيب:

– الواقع أنني لست واثقًا، لم يقل الدكتور شيئًا قط وظننت أنه لم يلحظ أي شيء.. ولم يكن يشغله شيء آخر غير عمله.

– معنى هذا أنك لم تكن تحب السيدة "**ليدنر**" ؟ هز "**كاري**" كتفيه وقال:

– لعلي كنت أحبها أكثر لو أنها لم تكن زوجة لـ"**ليدنر**". وضحك كما لو أن كلماته هذه أطربته وقال "**بوارو**" في لهجة حالمة:

– إنني استجوبت الآنسة "**جونسون**" صباح اليوم، وقد اعترفت لي أنها

متحيزة ضد السيدة "**ليدنر**"، وأنها لم تكن تحبها كثيراً وإن كانت قد أسرعت تقول إن السيدة "**ليدنر**" كانت ظريفة معها. قال "**كاري**" :

– هذا صحيح. وقد صدقتها. ثم تكلمت بعد ذلك مع السيدة "**مركادو**" فقالت إنها تحب السيدة "**ليدنر**" كثيراً وإن هذه الأخيرة كانت تبادلها هذا الحب. لم يجب "**كاري**" .. وبعد دقيقة أو دقيقتين من الصمت عاد "**بوارو**" يقول:

– ولم أصدقها. ثم جئت إليك.. وما قلته لي أنت الآن.. حسنًا إنني لاأصدق كلمة واحدة منه. توتر "**كاري**" .. وتبينت نبرة الغضب في صوته وهو يقول:

– لا حيلة لي فيما تصدقه يا سيد "**بوارو**". إنني ذكرت لك الحقيقة فصدقها أو لا تصدقها فإن الأمر سيان. لم يغضب "**بوارو**" وتكلم في اكتئاب وخضوع فقال:

– ليست غلطتي إذا كنت أصدقك أو لا أصدقك ولكن لي أذن حساسة جدًّا، ثم إن هناك بعض الشائعات التي تدور ولا يسع المرء إلا أن يصغي إليها وأن يتوهم أشياء.. نعم، هناك شائعات.. قفز "**كاري**" على قدميه، ورأيت من مكاني الدم يصعد إلى وجنتيه. وكان وسيمًا حقًّا ببشرته المليحة وفكه المربع الذي يدل على مدى ما يتمتع به من إرادة وعزيمة. وليس من العجيب أن يغزو قلب النساء. صاح يقول محنقًا:

– أية شائعات؟ رماه "**بوارو**" بنظرة جانبية وقال:

– ولكنك تعرف تمامًا.. الشائعات العادية بخصوصك أنت و السيدة "**ليدنر**".

– حقًّا إن للناس نفوسًا سوداء.

– أليس كذلك؟ إنهم كالكلاب ينبشون كل الأقذار لكي يقتاتوا منها.

– وهل تصدق هذه الشائعات؟ قال "**بوارو**" :

– لا أريد إلا التأكد.. من الحقيقة. ضحك "**كاري**" وقال:

– لا أظنك تتبين الحقيقة إذا سمعتها. .قال "**بوارو**" وهو يراقبه:

– يمكنك أن تجربني.

– سأفعل. .سأذكر لك الحقيقة. .إنني كنت أمقت "**لويز**". .هذه هي الحقيقة التي تبحث عنها. .كنت أمقتها كل المقت.

- 20 -

"دافيد إيموت" والأب "لافيني"

تحول "**كاري**" فجاة وابتعد في خطوات كبيرة.وتابعه "**بوارو**" بعينيه وهو يتمتم:

– نعم. .إنني أفهم.وبدون أن يلتفت قال وهو يرفع صوته قليلاً:

– انتظري لحظة قبل أن تخرجي من مخبئك يا آنسة "**ليذبران**"، فقد يلتفت. .فات الخطر الآن.هل معك منديلي؟ شكراً لك.ولم يقل شيئًا بخصوص إصغائي إلى حديثهما، ولا أدري كيف عرف أنني كنت أصغي إليهما فلم ينظر إلى ناحيتي قط.وقد أحسست بالارتياح لأنه لم يتكلم وسألته أقول:

– هل تظن أنه كان يمقتها حقًّا يا سيد "**بوارو**"؟ أومأ برأسه في بطء وقد ارتسمت في عينيه نظرة غريبة وقال:

– نعم. .أظن ذلك.ثم نهض فجأة ومضى إلى حيث يعمل الحفارون.وتبعته.ولم نر في بادئ الأمر إلا بعض الأعراب ثم اكتشفنا السيد "**إيموت**"، وكان منحنيًا فوق هيكل عظمي استخرج لتوه من باطن الأرض وقد راح يزيل عنه الأتربة التي تغطيه.واستقبلنا بابتسامته الحلوة الهادئة وقال:

– هل أتيتما لزيارة الحفائر؟ لحظة واحدة وأفرغ لكما.واعتدل وأخذ سكينًا وبدأ يحك التراب الملتصق بالعظام وينفخه بعيداً من وقت إلى آخر. .ورأيت أن

هذه الطريقة غير صحية فقلت له:

– سيد "**إيموت**" . .إنك ستبتلع كثيراً من التراب العفن بهذه الطريقة .فأجابني:

– إن التراب العفن جزء من غذائي اليومي .إن الجراثيم لا تأثير لها على المشتغلين بالآثار .ونظف عظم الفخذ قليلاً ثم أصدر تعليماته لرئيس العمال وقال:

– في مقدور "**ريتر**" أن يلتقط صورة لهذه السيدة بعد الغداء، إنها اصطحبت معها ذكريات جميلة في مقبرتها .وأراني قدحًا من النحاس تغطيه طبقة من الصدأ، وبعض الدبابيس وبقايا ذهب وأحجار زرقاء كانت فيما مضى عقداً، وبعد أن أزيل عنها ما يعلوها من أقذار وضعت في مكان استعداداً لتصويرها وقال "**بوارو**" :

– من كانت هذه؟

– إنها تنتمي إلى القرون العشرة الأولى، ولا ريب في أنها كانت من طبقة سامية .وشكل الجمجمة غريب يدل على أنها لقيت مصرعها بضربة عنيفة .سأطلب إلى "**مركادو**" أن يفحصها.

– نسخة أخرى من السيدة "**ليدنر**" منذ ألفي سنة؟

– من يدري؟ كان "**بيل كولمان**" يهوي بفأس في يده على أحدالجدران فخاطبه "**دافيد إيموت**" ببضع كلمات لم أفهمها ثم رافق السيد "**بوارو**" إلى الحفائر .وبعد أن انتهت هذه الزيارة نظر "**إيموت**" إلى ساعته وقال:

– إننا سنغادر الحفائر بعد عشر دقائق فهل تريد أن نعود إلى البيت الآن؟ وأجابه "**بوارو**" :

– كما تشاء . وأخذنا نسير في خطوات بطيئة وقال "**بوارو**" :

– لا ريب في أنكم سعداء باستئنافكم العمل .أجابه بوقاره المصطنع:

– نعم . . كان هذا أفضل شيء .لو أننا بقينا في البيت لتملكنا الضجر ولضاقت بنا سبل الحديث.

- خاصة وأنكم تعلمون أن بينكم قاتلاً؟ ولم يضطرب "**إيموت**" وأدركت عندئذ أنه اشتبه في هذه الحقيقة منذ البداية، وبعد لحظات قال في صوت هادئ:

- هل تتقدم في تحرياتك يا سيد "**بوارو**"؟ فأجابه "**بوارو**":

- هل يمكنك أن تساعدني على إنهاء أبحاثي؟

- بكل سرور.

- إن السيدة "**ليدنر**" هي محور القضية. .أريد أن أستعلم عنها .قال "**دافيد إيموت**" في بطء:

- ما الذي تريد أن تعرفه عنها؟

- لا يهمني أين ولدت ولا اسمها قبل أن تتزوج ولا شكل وجهها أو لون عينيها .إنني أريد أن أرسم صورة لها في ذهني.

- هل تظن أن لهذا أهمية في تحقيقاتك؟

- بكل تأكيد .لزم "**إيموت**" الصمت لحظة ثم قال:

- لعلك على حق.وهز رأسه واستطرد يقول:

- لاأدري إذا كنت قد عرفتها على حقيقتها. .وكانت غريبة الأطوار. .كانت تقدم على عمل خسيس ذات يوم ثم تقوم في اليوم التالي بعمل كريم.وأظنك على حق وأنت تقول إنها محور القضية.وهذا ما أرادته دائماً. .كانت تريد أن تكون محور كل شيء. .كان لابد لها من أن يهتم بها الجميع لا لكي يقدموا لها الخمرات والمشويات والزبدة فحسب ولكن لكي يقدموا لها عقولهم وقلوبهم على المكشوف أمامها .سأله "**بوارو**":

- وإذا حدث ورفض أحد أن ينقاد لنزواتها؟

- كانت تقدم على أشياء فظيعة وخبيثة عندئذ .وضغط على شفتيه فقال "**بوارو**":

- سيد "**إيموت**". .هل تقبل أن تقول لي بصفة سرية من الذي ارتكب الجريمة في رأيك؟

– لا أدري. . وليست لديَّ أية فكرة . لو أنني كنت مكان "**كارل ريتر**" لكنت قد تخلصت منها منذ وقت طويل، فقد أساءت معاملته كثيراً. . ولكن فيما بيننا لم يجد غير ما يستحق فإنني لم ألتق حتى الآن برجل في مثل سذاجته . وكنا قد بلغنا البيت وعرض السيد "**إيموت**" على "**بوارو**" أن يمضي به إلى غرفته لكي يغتسل . أما أنا فقد أسرعت إلى غرفتي . وخرجت في الوقت نفسه الذي خرج فيه الرجلان تقريباً . وكنا نحن الثلاثة في طريقنا إلى غرفة الطعام عندما فتح الأب "**لافيني**" باب غرفته ودعا السيد "**بوارو**" إلى الدخول . وذهبت مع السيد "**إيموت**" إلى غرفة الطعام ووجدنا فيها الآنسة "**جونسون**" والسيدة "**مركادو**"، وأقبل السيد "**مركادو**" بعد بضع دقائق ولم يلبث أن انضم إلينا السيد "**ريتر**" والسيد "**كولمان**"، وكنا قد جلسنا وأرسل السيد "**مركادو**" غلاماً لكي يقول للأب "**لافيني**" إن الغداء قد أعد، عندما صدرت صيحة خافتة حملتنا على أن نلتفت إلى مصدرها . ولا ريب في أننا كنا جميعاً نعيش على أعصابنا؛ لأننا اندفعنا واقفين وصاحت الآنسة "**جونسون**" وقد اصفر لونها :

– ما هذا؟ ماذا حدث ثانية؟ وحدقت السيدة "**مركادو**" إليها وقالت :

– ماذا دهاك يا عزيزتي؟ إنها ضوضاء في الحقول . ودخل "**بوارو**" والأب "**لافيني**" في هذه اللحظة فقالت الآنسة "**جونسون**" :

– حسبنا أن أحداً قد أصيب .

– معذرة يا آنسة أنا المذنب . كان الأب "**لافيني**" يوضح لي بعض النقوشات وأخذت واحدة ومضيت إلى النافذة لكي أراها بوضوح عندما التوت قدمي، وكان الألم شديداً بحيث أطلقت صيحة . قالت السيدة "**مركادو**" :

– حسبنا أن جريمة قتل أخرى قد ارتكبت في البيت . أنبها زوجها قائلاً :

– "**ماري**"! وأمام هذا التقريع اصطبغ لون السيدة "**مركادو**" وجزت على شفتها السفلى وأسرعت الآنسة "**جونسون**" فغيرت مجرى الحديث فتحدثت عن الحفائر وعن الأشياء العجيبة التي عثروا عليها . وبعد أن فرغ الجميع من الغداء عاد الرجال إلى الحفائر فيما عدا الأب "**لافيني**" الذي مضى بـ"**بوارو**" إلى

غرفة الآثار حيث تبعتهما . .وكنت قد بدأت أعتاد على الأشياء الثمينة القيمة التي تمتلىء بها .وأحسست بشيء من الكبرياء عندما أخذ الأب "**لافيني**" كوب الذهب من فوق الرف كأنه شيء من ممتلكاته الخاصة وسمعت "**بوارو**" يقول:

– يالله ما أجمله ايا لروعة الفن! وتدفقت الكلمات من بين شفتي الأب "**لافيني**" وراح يصف جمال الكوب .وقلت:

– عجبًا ! لايوجد عليه أثر للشمع اليوم .كرر الأب "**لافيني**" مشدوهًا:

– شمع! شرحت لهما سبب ملاحظتي فقال الأب "**لافيني**" :

– آه . .إنني أفهم .كانت قطرة قد سالت من شمعة وانتقلنا من قطرة الشمع إلى الزائر الليلي، وراح الرجلان يتكلمان باللغة الفرنسية وإذ رأيت ذلك تركتهما وحدهما ومضيت إلى غرفة المعيشة .كانت السيدة "**مركادو**" ترفو بعض جوارب زوجها ، في حين راحت الآنسة "**جونسون**" تقرأ في كتاب وبعد لحظة خرج الأب "**لافيني**"و "**بوارو**" واعتذر الأول بأن لديه عملاً ضروريًا ، أما "**بوارو**" فجلس على مقربة منا وقال:

– إنه رجل يثير الاهتمام جداً .ثم سأل إذا كان الأب "**لافيني**" قد قام بعمل كثير حتى الآن، وأجابته الآنسة "**جونسون**" بأن المنقوشات التي اكتشفت حتى الآن قليلة، وأن الأب "**لافيني**" يقوم بنصيبه في العمل بالحفائر وأنه يحرز تقدمًا كبيراً في دراسة اللغة العربية .وتحول الحديث بعد ذلك إلى رقائق الشمع المضغوط ، ومضت الآنسة "**جونسون**" إلى دولاب وأتت بورقة مطبوعة بواسطة رقائق الشمع وبعض اللدائن .ولاحظت أن "**بوارو**" كان طوال هذا الحديث يدير بين أصابعه كرة من اللدائن وسألها:

– هل تستعملون كمية كبيرة من اللدائن يا آنسة؟

– إننا نستعمل منها كمية لاباس بها ويُخَيَّل إليَّ أننا استخدمنا كمية كبيرة منها في هذه السنة ولكنني لا أعرف في أي شيء . .إننا استخدمنا نصف المخزون منها على كل حال.

– وأين هي؟

– هنا في هذا الدولاب. وأعادت الورقة المطبوعة وأشارت إلى رف فوقه لفافات من اللدائن والدوروفكس والعجائن الفوتوغرافية ومواد أخرى من هذا النوع. وانحنى "**بوارو**" وهو يقول:

– ما هذا؟ وبسط يده نحو قاع الدولاب وتناول شيئًا غريبًا كان عبارة عن قناع رسمت عيناه وفمه بالحبر الأسود بصورة غير متقنة ودهن كله بمادة من البلاستيك. وصاحت الآنسة "**جونسون**":

– آه.. هذه أول مرة أرى فيها هذا. كيف جاء هذا القناع إلى هنا؟ وما معناه؟

– إن هذا الدولاب خير مكان لإخفائه يا آنسة. ولاريب في أن الذي أخفاه لم يكن يتوقع أن نعثر عليه قبل وقت طويل. أما معناه فمن السهل أن نعرف ذلك. إن هذا القناع هو الوجه الذي لا جسد له والذي رأته السيدة "**ليدنر**" من خلال النافذة عندما بدأ الظلام يرخي سدوله. وأطلقت السيدة "**مركادو**" صيحة قصيرة، وتمتمت الآنسة "**جونسون**" وقد شحب لونها:

– ولم يكن الأمر وهمًا إذن وإنما دعابة فظيعة.. من الذي فعل ذلك؟ مضى "**بوارو**" عابس الأسارير إلى الغرفة المجاورة من غير أن يرد وأخذ صندوقًا من الكرتون ووضع فيه القناع وهو يقول:

– سأريه للبوليس. وتمتمت الآنسة "**جونسون**":

– هذا فظيع! وصاحت السيدة "**مركادو**":

– ألا يمكن أن يكون الباقي مختفيا هنا؟ لعل سلاح الجريمة.. الهراوة التي قتلوها بها.. لاتزال ملوثة بالدم.. أوه.. إنني خائفة.. خائفة.. أمسكتها الآنسة "**جونسون**" من كتفها وقالت:

– هدئي من نفسك.. هاهو الدكتور "**ليدنر**".. يجب أن نهون الأمر عليه. والواقع أن السيارة أقبلت في هذه اللحظة وهبط منها الدكتور "**ليدنر**"، وكان التعب قد نال منه كل منال وبدا كأن العمر قد تقدم به حتى أصبح ضعف سنه وقال في صوت هادئ:

– ستشيع الجنازة غداً في الساعة الحادية عشرة وسيتلو الرائد "**دين**" الصلاة.وتحول إلى الآنسة "**جونسون**" وسألها:

– هل ستحضرينها يا "**آن**"؟ طبعاً يا دكتور..سيحضرها الجميع.ولم تزد ومع ذلك فقد نمت نظراتها عن المشاعر التي لا يمكن أن تبوح بها أمامنا لأن ملامح الدكتور تلألأت بالود والفرح وقال:

– أي عزيزتي "**آن**".. إنك تمدينني في محنتي بعزاء وعون كبيرين..أي صديقتي العزيزة المخلصة.وألقى يده على ذراع الآنسة "**جونسون**".ورأيت الحمرة ترتفع إلى وجهها وهي تقول بلهجتها العادية:

– أوه..هذا أمر طبيعي يا دكتور.وأضاء وجهها وأدركت أن الآنسة "**جونسون**" سبحت في أجواء السعادة في هذه اللحظة القصيرة.وحيا الدكتور "**بوارو**" وسأله إن كان قد أحرز تقدماً في تحرياته، ووقفت الآنسة "**جونسون**" خلف الدكتور "**ليدنر**" وراحت تهز رأسها في عنف وهي تنظر إلى الصندوق الذي يمسكه "**بوارو**" في يده.كان يبدو أنها تتوسل إلى المخبر المشهور في إصرار بألا يشير إلى القناع أمام الدكتور.كانت ترى – وكنت على يقين من ذلك – أن الدكتور قد تألم اليوم بما فيه الكفاية.ولبى "**بوارو**" رغبتها قائلاً:

– إن هذا النوع من التحريات يسير ببطء يا سيدي.وبعد بضع كلمات عادية استأذن في الانصراف وتبعته حتى سيارته.وكنت أتوقع أن يصدر إليّ بعض التعليمات ولكن ما كان أشد دهشتي عندما سمعته يقول لي:

– احرصي على نفسك يا بنتي.وأردف يقول في بطء:

– إنني أتساءل إذا كان من الحكمة أن أتركك هنا؟

– يجب على كل حال أن أتحدث إلى الدكتور "**ليدنر**" قبل أن أغادر البيت ولكنني أستطيع أن أؤجل هذا الحديث إلى أن نفرغ من تشييع الجنازة.وهز رأسه موافقًا وقال:

– ولا تحاولي في انتظار ذلك أن تستقصي أي شيء، لاتحاولي إظهار ذكائك.ثم غير مجرى الحديث فجأة فقال:

– إن الأب "**لافيني**" ربما يثير الاهتمام حقًا. وقطب جبينه وتردد لحظة ثم قال:

– تذكري أنه من الذكاء بحيث يحملك على الإدلاء بكل ما تعرفين. إذا كان يريد أن يحذرني من الثرثرة، فإن تحذيره هذا لم يكن له أي داع. وصعد إلى عربته وانطلق بها في حين عدت إلى البيت في بطء، وأنا أفكر في أحداث اليوم. رأيت آثار الحقن على ذراع السيد "**مركادو**" وتساءلت بأي نوع من المخدرات يحقن نفسه، ثم رأيت ذلك القناع الأحمر الفظيع.. ولم أفهم كيف لم يسمع "**بوارو**" والآنسة "**جونسون**" الصيحة التي أطلقتها في غرفة المعيشة في حين أننا سمعنا جميعاً ونحن في غرفة الطعام الصيحة التي أطلقها المخبر؟ ومع ذلك فإن غرفة الأب "**لافيني**" تبعد عن غرفة السيدة "**ليدنر**" بالمسافة نفسها الموجودة بين غرفة المعيشة وغرفة الطعام. كانت الجنازة مؤثرة جداً حضرها كل أعضاء البعثة وكل الجالية الإنجليزية وحضرتها "**شيلا ريلي**" نفسها، وكانت ترتدي ثياباً سوداء ولعلها أحست بوخز الضمير على ما نطقت به في حق السيدة "**ليدنر**" وعندما عدت إلى البيت دخلت مكتب الدكتور وحدثته عن رحيلي. وأظهر رقة كبيرة معي وشكرني على كل مابذلت مع أنني لم أبذل أي شيء تقريباً، وأصر على أن ينقدني مرتب أسبوع إضافيًا. وعندما قلت له إنني لاأريد شيئاً وإنني فشلت في المهمة التي انتدبني لها اعترض يقول في إخلاص:

– اطرحي هذه الفكرة عن رأسك يا آنسة. لم أكن أصدق أن زوجتي في خطر وكنت أعتقد أنها تشكو اضطراب أعصابها و اكتئاباً نفسيًا، ليس هناك ما تلامين عليه إطلاقًا.. إنها أحبتك ووثقت بك. وكانت أيامها الأخيرة هادئة وسعيدة لوجودك معها. إنك قمت بواجبك كممرضة خير قيام. واضطرب صوته وقرأت ما يدور في ذهنه.. كان يلوم نفسه لأنه لم يصدق مخاوف زوجته وقلت أسأله:

– دكتور "**ليدنر**". هل استطعت أن تبني لنفسك رأياً بخصوص رسائل التهديد؟

– لا أدري ماذا أعتقد.. مارأي السيد "**بوارو**"؟ أجبت دون أن أبتعد عن الحقيقة:

– حتى أمس وقبل أن أتحدث إليه عن الآنسة "**جونسون**" لم يكن قد انتهى إلى رأي بعد. ذلك أنني أردت أن أعرف مشاعره وأحاسيسه إذا ما علم أن الآنسة "**جونسون**" هي كاتبة رسائل التهديد. وكنت قد لاحظت بالأمس الود المشترك بينه وبين سكرتيرته،وقد نسيت مسألة الرسائل، وحتى الآن أحسست بأن من الخسة أن أتكلم عنها. . فحتى إذا فرضنا أنها هي التي كتبت تلك الرسائل حقًا فقد بكّتها ضميرها بما يكفي. ومع ذلك فقد أردت أن أعرف إذا كان مثل هذا الشك قد ساوره، فقلت: إن رسائل التهديد تقدم عليها النساء عادة.

– إنني أشاطرك هذا الرأي،ولكن هذه الرسائل كتبها "**فريدريك بوسنر**" . . ومن السخف أن نعزوها إلى أحد أعضاء البعثة. ليست هذه إلا فكرة من بنات أفكار السيد "**بوارو**"، والحقيقة أبسط من ذلك بكثير. . من الواضح أن القاتل رجل مجنون أخذ يحوم حول "**تل يارمجة**" متنكرًا في صورة ما وأفلح في دخول البيت في ذلك اليوم،ولاريب في أنه رشا الخدم لكي يكذبوا. ومن السهل على السيد "**بوارو**" أن يشتبه في أعضاء بعثتي. أما أنا فإنني متأكد أن أحداً منهم لم يتورط في هذه المأساة. إنني أعمل معهم وأعرفهم بما فيه الكفاية. وسكت فجأة ثم قال:

– هل علمتك التجربة أن النساء هي التي تكتب رسائل التهديد عادة؟

– ليس دائمًا. . ولكن هناك نساء يدفعهن الحقد إلى مثل هذا النوع من الانتقام.

– لاريب في أنك تشيرين إلى السيدة "**مركادو**" . وهز رأسه وقال:

– حتى إذا كان قلبها من السواد بحيث تقدم على مثل هذا العمل البشع، لافتقرت إلى الذكاء لكي تصل إلى أغراضها. قلت وأنا أراقبه:

– هناك امرأة أخرى غير السيدة "**مركادو**" وأعني بها الآنسة "**جونسون**" .

– إن مجرد الشك فيها لأمر مضحك. وكان في الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه فصل الخطاب. لم يشك قط في أن الآنسة "**جونسون**" هي التي كتبت

تلك الرسائل. وأردت أن أتكلم ولكنني لم ألبث أن عدلت فقد كرهت أن أشي بامرأة من جنسي، ثم إن الآنسة "**جونسون**" بكّتها ضميرها بما يكفي ولم يكن هناك داع لكي أعود إلى الماضي وأزعج الدكتور "**ليدنر**" وأزيد أحزانه. وتم الاتفاق بيننا على أن أرحل في اليوم التالي. وكان الدكتور "**ليدنر**" من الرقة بحيث عرض عليّ طاقم أدوات الزينة الخاص بزوجته بصفة تذكار وأصر على أن آخذه على الرغم من اعتراضاتي. وقال:

– ليس لها أقارب، ولن يستعمل أحد بعدها هذه الأشياء. وأدركت نفوره من أن يرى هذه الأشياء بين يدي السيدة "**مركادو**" أو من إهدائها إلى الآنسة "**جونسون**"، واستطرد يقول في اللهجة نفسها الرقيقة:

– فكري في الأمر، وبهذه المناسبة، إليك مفتاح صندوق مجوهرات "**لويز**" لعلك تجدين بينها شيئًا يحلو لك.. وأكون شاكرًا لك لو أنك حزمت ثيابها، سيهديها الدكتور "**ريلي**" إلى بعض العائلات الفقيرة بـ"**الحسينية**". وأسعدني أن أؤدي له هذه الخدمة وبدأت العمل على الفور. لم تكن السيدة "**ليدنر**" قد جاءت إلى "**تل يارمجة**" بالكثير فلم تمض إلا دقائق معدودات حتى كنت قد فرغت من وضع حاجاتها في حقيبتين. وكانت علبة المجوهرات لا تحتوي إلا على بعض الحلي العادية:

خاتم به لؤلؤة وبروش من الألماس وعقد صغير من اللؤلؤ وحليتان من الذهب وعقد من حبات الكهرمان الضخمة. ولم يكن في نيتي طبعًا أن آخذ شيئًا من الحلي ولكنني ترددت بين عقد الكهرمان وطاقم الزينة وأخيرًا لم أجد ما يمنع من أن آخذ الطاقم فقد أهدانيه الدكتور "**ليدنر**" نفسه عن طيب خاطر. وأغلقت الحقيبتين ثم ذهبت فحزمت حقائبي وشغلت نفسي بقية اليوم بأشياء أخرى. وأبدى الأب "**لافيني**" أسفه لرحيلي ثم قال:

– إننا لم نر السيد "**بوارو**" اليوم. وأعلمته بأن المخبر يقضي وقته في إرسال البرقيات فنظر إليّ مشدوهًا وقال:

– برقيات؟ إلى "**أمريكا**"..؟

– أظن ذلك. .إنه قال لي «إلى العالم كله» .إن هؤلاء الأجانب يبالغون كثيراً .واصطبغ لوني عندئذ وقد تذكرت أن الأب "**لافيني**" رجل أجنبي هو الآخر .وقابل هذه الملاحظة ضاحكًا وسألني إن كنت قد عرفت شيئًا عن الرجل العراقي الأحول فأجبته بالنفي .وأراد الأب "**لافيني**" أن يعرف متى رأت السيدة "**ليدنر**" الرجل العراقي بالضبط وقال في تفكير:

– إن كل شيء يدل على أن ذلك الرجل كان شديد الاهتمام بالسيدة "**ليدنر**" .وقد تساءلت مراراً إذا لم يكن أوربيًّا متنكرًا في هيئة رجل عراقي .وأطلعني الأب "**لافيني**" على رغبته في أن أذهب به إلى المكان الذي كنا نقف فيه عندما رأيت أنا والسيدة "**ليدنر**" ذلك الرجل وهو يقول:

– من يدري؟ لعل شيئًا وقع منه .في كل الروايات البوليسية يرتكب المجرم مثل هذه الحماقة .وأخذت بعض الجوارب التي فرغت من رفوها ووضعتها على المنضدة بغرفة المعيشة ليأخذ كل واحد من أعضاء البعثة ما يخصه منها .و لما لم يكن لديَّ ما أفعله رأيت أن أصعد إلى السطح .وكانت الآنسة "**جونسون**" واقفة على السطح ولكنها لم ترني .واقتربت منها دون أن تحس بي ، وما كدت أدنو منها حتى رأيتها فريسة لاضطراب شديد .كانت واقفة في منتصف السطح تحدق أمامها وقد تجسم القلق على ملامحها كما لو كانت قد رأت شيئًا أبى ذكاؤها أن يقتنع به .وأخذتني الحيرة ولم أدر ما أفعل وتمتمت:

– ما الخبر يا آنسة "**جونسون**" ؟ أدارت رأسها ونظرت إليَّ في شرود فعدت أقول :

– ما الخبر؟ كشرت كما لو كانت تزدرد ريقها بصعوبة وقالت في صوت أجش:

– إني أدركت الآن شيئًا. .أدركت كيف يمكن أن يدخل الإنسان من الخارج من غير أن يراه أحد .نظرت إلى حيث تنظر ولكنني لم أر شيئًا فيما عدا السيد "**ريتر**" وكان واقفًا على عتبة غرفة التصوير، والأب "**لافيني**" ، كان يمشي في الفناء، وتحولت إليها وقد ازدادت حيرتي فإذا بها في حالة قصوى من الاضطراب وقلت:

– الحق أنني لا أفهم ماذا تقصدين. .هلا أوضحت لي الأمر؟ ولكنها هزت رأسها وقالت :

– ليس الآن. .فيما بعد أوه. .كان يجب أن نفكر في ذلك. .كان يجب أن نفكر فيه.وهزت رأسها مرة أخرى وقالت :

– دعيني أفكر أولاً. ثم مرت أمامي وهبطت السلم ولم أتبعها وإنما نظرت إلى حيث كانت تنظر وحاولت أن أجلو سر هذه المعضلة ولكنني لم أفلح.فلم يكن بالفناء غير باب واحد وأمام هذا الباب وقف الخادم يثرثر مع الطاهي الهندي.وما كان في استطاعة أي شخص أن يدخل من غير أن يراه أحد وهززت رأسي وقد زادت حيرتي وهبطت إلى الفناء.

- 21 -

الجريمة تصبح عادة

أوينا إلى مضاجعنا في تلك الليلة مبكرين. .وكانت الآنسة "**جونسون**" قد تصرفت في أثناء العشاء كالعادة ولكنها كانت زائغة العينين وبدت مرة أو مرتين كأنها لا تفهم ما يلقى إليها من أسئلة،وكان الطعام قد خلا من المرح والحيوية، وبدا الجو تمامًا كأول ليلة وصلت فيها، وران علينا الصمت وتملكنا الانفعال، وإني لعلى يقين من أنه لو أن أحداً أفلت ملعقة من يده لصرخنا جميعًا من الخوف والفزع. وتسلل النوم إلى جفني سريعًا بعد انفعالات اليوم،فنمت نومًا عميقًا لساعات طويلة، ولكني لم ألبث أن سمعت شيئًا، فجلست في فراشي أرهف السمع ولم ألبث أن سمعت الشيء نفسه مرة أخرى.كانت حشرجة إنسان يحتضر ، أشعلت شمعة على الفور، وخرجت من غرفتي ووقفت أصيخ السمع ، وتكرر الصوت بعد لحظة، وكان صادراً من الغرفة التي بجوار غرفتي وهي غرفة الآنسة "**جونسون**" .أسرعت إليها فرأيتها راقدة على فراشها تتلوى

من الألم . .وألقيت الشمعة فوق المنضدة وانحنيت فوق المرأة .كانت شفتاها تتحركان في محاولة للكلام ولكن لم يخرج منهما غير صوت مبحوح ولاحظت عندئذ أن شفتيها وذقنها محروقان .وانتقل بصري من وجهها إلى كوب ماء واقع على الأرض، ولا ريب في أنه أفلت من يدها .وكان بالسجادة بقعة حمراء حيث وقع الكوب فالتقطته ولمست قاعه بإصبعي وما كدت أفعل حتى رفعت يدي على الفور وأنا أصرخ ثم فحصت بعد ذلك فم المرأة المسكينة من الداخل .لم يكن هناك أي شك . .فبطريقة ما سواء عن عمد أو غير عمد شربت المرأة المسكينة جرعة من حامض الهيدروكلوريك .وأسرعت إلى الدكتور "**ليدنر**" فأيقظته من نومه . .وأيقظ هو الآخرين، وبذلنا جهداً مستميتاً للعناية بالمرأة المسكينة ولكن خامرني إحساس بأن كل جهودنا لن تكون لها فائدة . .أعطيناها محلولاً قويًا من بيكربونات الصودا ثم جرعة كبيرة من زيت الزئبق وأعطيتها حقنة من المورفين لأخفف من آلامها .وأسرع "**دافيد إيموت**" إلى "**الحسينية**" ليأتي بالدكتور "**ريلي**"، ولكن الموت رحمها فماتت قبل قدومه .ولن أطيل في ذكر تفاصيل هذه النكبة المفجعة ، وأكتفي بأن أقول إن الهيدروكلوريك قوي المفعول وإنه يتسبب في موت أليم .وعندما انحنيت فوقها لكي أعطيها حقنة المورفين بذلت جهداً كبيراً لكي تتكلم وأفلتت من بين شفتيها هذه الكلمات :

– النافذة! . .النافذة أيتها الممرضة!

ولم تستطع أن تزيد وفقدت كل إدراك .وستبقى أحداث تلك الليلة محفورة في ذهني إلى الأبد . .قدوم الدكتور "**ريلي**" والنقيب "**ميتلاند**" وأخيراً قدوم "**هركيول بوارو**" مع الفجر، وأخذني من ذراعي في رفق ومضى بي إلى غرفة الطعام وأجبرني على الجلوس، وتناول فنجانًا من الشاي الساخن وهو يقول :

– اشربي يا ابنتي . .إن الإرهاق بلغ بك كل مبلغ .وانفجرت دموعي عندئذ وقلت منتحبة .هذا فظيع جداً . .إني عشت الليلة كابوسًا فظيعًا . .وعيناها . .أوه!

سيد "بوارو" . .عيناها. .وربت "بوارو" على كتفي في رفق وقال:

– هوني عليك.

– كان ذلك حامضًا كاويًا. .لاريب في أنه من ذلك الذي يستخدمونه لتنظيف الفخار.

– نعم.شربته الآنسة "جونسون" قبل أن تستيقظ تمامًا. .

– هذا إذا لم تكن شربته عامدة.

– أوه ياسيد "بوارو" . .ماذا تقول؟!

– هذا جائز على كل حال. .مارأيك؟فكرت لحظة ثم هززت رأسي وقلت:

– لا أظن ذلك. .كلا. .يبدو لي أنها اكتشفت شيئًا بعد ظهر أمس.وأعدت عليه الحديث الذي تبادلته أمس أنا والآنسة "جونسون" فقال:

– يا للمرأة المسكينة! قالت إنها تريد أن تفكر. .إنها حكمت على نفسها بالموت في تلك اللحظة بالذات.أعيدي عليَّ الكلمات التي قالتها بالضبط.وأطلعته فاستطرد يقول عندئذ:

– قالت إنها عرفت كيف يمكن للإنسان أن يدخل من الخارج دون أن يراه أحد.هلمي بنا إلى السطح يا آنسة وأريني المكان الذي كانت تقف فيه تمامًا.وصعدنا معًا وأريته المكان المذكور فقال:

– هكذا؟. .ماذا أرى؟ نصف الفناء والباب العمومي وأبواب غرفة المهندسين وغرفتي التصوير والمعمل.هل كان هناك أحد في الفناء؟

– كان الأب "لافيني" يتجه إلى الباب العمومي والسيد "ريتر" واقفًا على عتبة غرفته.

– لا أعتقد أنه يمكن لأي شخص أن يدخل من الباب من غير أن يراه أحد.وهز رأسه في قنوط وقال:

– ترى ماذا رأت؟ وأشرقت الشمس في هذه اللحظة وكانت السماء من ناحية الشرق عبارة عن فيض من اللون الوردي والبرتقالي والرمادي واللؤلؤي، وصاح

"**بوارو**" في صوت شاعري:

– ماأجمل شروق الشمس! وكان منظرًا جميلاً فعلاً وفجأة أطلق "**بوارو**" تنهيدة وتمتم:

– ما أغباني إن الحقيقة ساطعة كالشمس! لم يسعفني الوقت لكي أسأل "**بوارو**" عما يقصده فقد أقبل النقيب "**ميتلاند**" في هذه اللحظة،وخاطب المخبر قائلاً:

– اسمع يا "**بوارو**" . .لقد زاد الأمر تعقيداً فقد اختفى الأب "**لافيني**" .لم يره أحد منذ وقت طويل وفراشه كما هو لم يمس في الليلة الماضية، ولم يترك خلفه أي أثر.خُيِّل إليَّ أنني في منام. .تسمم الآنسة "**جونسون**" أولاً ثم فرار الأب "**لافيني**" ، واستجوب النقيب "**ميتلاند**" الخدم، وأجمعوا كلهم على أن الأب "**لافيني**" لم يرقد في فراشه في الليلة الماضية وأنه قال لأحدهم في نحو الساعة الثامنة مساء إنه خارج في نزهة قصيرة قبل أن ينام ولم يره أحد بعد ذلك.فهل ذهب يستقصي أمرا أم أنه لقي حتفه هو الآخر؟ والتفت النقيب "**ميتلاند**" في اللحظة التي اقترب فيها الدكتور "**ريلي**" وبرفقته السيد "**مركادو**" وقال:

– حسناً يا "**ريلي**" . .هل من جديد؟

– إنني تحققت من الأمر مع "**مركادو**" . .إنه حامض الهيدروكلوريك فعلاً وقد أتى من المعمل.

– من المعمل؟هل كان الباب مغلقًا بالمفتاح؟

– ليس من عادتنا أن نغلقه فإن الجميع يدخلون ويخرجون،وما كان ليخطر ذلك لأحد. .سأله النقيب مقاطعاً:

– هل هناك ما يدل على أن الآنسة "**جونسون**" هي التي أخذت الحامض بنفسها؟ صحت في توكيد أنها لم تأخذه.وشرحت له كيف صحوت من نومي وكيف وجدت الآنسة "**جونسون**" ، فقال:

– تقولين إن كوبًا كان واقعًا على الأرض؟

– نعم.ولاريب في أنه أفلت منها بعد أن شربت ما فيه.

– هل انكسر؟

– كلا،فقد وقع على السجادة.وسألني النقيب "**ميتلاند**" :

– هل تظنين أن الآنسة "**جونسون**" شربت هذا الحامض بمحض اختيارها؟

– أوه،كلا . .لم يخطر لي هذا الخاطر قط.الواقع أن الإنسان لايقدم على الانتحار بمثل هذه الوسيلة إلا إذا دفعه اليأس الشديد إلى ذلك.سألته :

– وهل كانت يائسة إلى هذا الحد؟

– هذا ما تدعيه السيدة "**مركادو**"،فهي تقول إن الآنسة "**جونسون**" كانت شديدة الاضطراب بالأمس وإنها كانت لاتكاد تفقه ما يقال لها، وهي تؤكد أن ذهنها كان مشغولاً بأفكار سوداء كانت تفكر ذلك الوقت في الانتحار.قلت في عنف :

– لا أصدق كلمة واحدة من ذلك، ومن رأيي أنها لقيت حتفها قتلاً.

– وما الذي يحملك على هذا الظن؟ أعدت عليه الحديث الذي جرى بيننا فوق السطح بالأمس كلمة كلمة فقال :

– رفضت أن تخبرك بما اكتشفته؟

– نعم. .قالت إنها تريد أن تفكر قبل أن تتكلم. قال "**ميتلاند**" وهو في حيرة من أمره :

– كيف يمكن للإنسان أن يدخل من الخارج دون أن يراه أحد؟ما رأيك ياسيد "**بوارو**" ؟

– رأيي أن في هذه الكلمات ما يمكن الدافع للقتل.تحول النقيب "**ميتلاند**" إليّ وقال :

– هل استطاعت أن تتكلم قبل أن تموت؟

– نعم. .نطقت بكلمة واحدة وهي «النافذة».

– النافذة؟ هل تعرفين ماذا تعني بهذه الكلمة؟ هززت رأسي سلبًا فقال :

– كم نافذة في غرفتها؟ نافذة واحدة تطل على الفناء.وقد فحصتها ولم أجد فيها شيئًا غير عادي، وإني أتساءل إذا لم يكن القاتل قد استبدل بكوب الماء كوبا آخر به حامض الهيدروكلوريك من النافذة. .

– استبدل بالكوب كوبا آخر؟

– نعم.. فقد كان من عادة الآنسة "**جونسون**" أن تحتفظ بكوب من الماء على المنضدة التي بجوارها حتى إذا أرادت أن تشرب في أثناء الليل لاتضطر إلى مغادرة الفراش. وإذا أراد أحد أن يمد يده من خلال قضبان النافذة من الخارج فإنه يستطيع أن يصل إلى هذا الكوب. قال النقيب "**ميتلاند**" :

– سأعود لكي أفحص هذه النافذة. هل كان الباب مغلقًا بالمفتاح؟

– كلا.

– كان في الاستطاعة إذن الوصول إلى الكوب واستبدال آخر به عن طريق الباب؟

– طبعًا. قال الدكتور "**ريلي**" :

– ولكن في دخول القاتل من الباب مجازفة كبيرة له. فإن الشخص الغارق في نوم عميق يستيقظ أحيانًا عند أقل حركة.. وإذا كان القاتل قد ارتكب جريمته بأن مد ذراعه من النافذة فقد كانت هذه آمن وسيلة بالنسبة إليه. قال "**ميتلاند**" في شرود :

– إنني لاأفكر في الكوب فقط. ثم تحول إليَّ وقال :

– حاولت هذه المرأة المسكينة إذن أن تقول لك إن بعضهم استبدل بكوب الماء كوب الحامض من النافذة.. لو أنها ذكرت لك اسم المجرم لكان ذلك أفضل. تمتمت أقول :

– لعلها لم تعرف شخصية زائرها الليلي.

– لعله كان من الأفضل أن تحاول أن تشرح لك ما اكتشفته بالأمس. قال الدكتور "**ريلي**" :

– إن الإنسان عند دنو أجله يفقد كل إدراك ويبقى في ذهنه شيء واحد يلح عليه. ولا ريب في أن الشيء الذي ألح على الآنسة "**جونسون**" هو تلك اليد التي رأتها من خلال النافذة. وربما بدا لها هذا الأمر على جانب من الأهمية بحيث أرادت أن يعرفه الجميع. ومن رأيي أنها كانت على حق في ذلك، فقد تمردت فوضع لها شخص الحامض في الكوب لمجرد تفكير البعض في أنها انتحرت ولو أنه كان في استطاعتها أن تتكلم بسهولة لقالت : " إنني لم

أنتحر، إن شخصًا آخر وضع الحامض بجواري من خلال النافذة." راح النقيب "**ميتلاند**" ينقر بإصبعه على المنضدة بضع لحظات ثم قال:

– هناك أمران لابد من مواجهتهما وهما: إما أن تكون هذه جريمة قتل أو أن تكون انتحارًا فما رأيك يا دكتور "**ليدنر**"؟ فكر الدكتور "**ليدنر**" دقيقة ثم أجاب في هدوء وبلهجة لاتقبل الجدل:

– جريمة قتل، فإن الآنسة "**جونسون**" ليست من النوع الذي يقدم على الانتحار .قال النقيب "**ميتلاند**":

– نعم ولكن هناك ظروفًا خاصة يكون فيها الانتحار أمرًا طبيعيًّا..

– أية ظروف. انحنى النقيب "**ميتلاند**" لكي يلتقط ربطة رأيته يضعها عند أسفل مقعده ووضعها على المنضدة في شيء من الجهد وقال:

– لاريب في أنكم لاتعرفون ما يوجد في هذه الربطة؟..إننا وجدناها تحت فراشها.وفك الربطة وأزال الورق فظهرت أمام أعيننا مطحنة يدوية ثقيلة.كانت مطحنة عادية اكتشفنا عشرات مثلها في أثناء الحفر، ولكن كان على هذه المطحنة بالذات بقعة داكنة وبضع شعيرات ملتصقة بها أثارت اهتمامنا.وقال النقيب:

– عليك أن تفحص هذه البقعة يا "**ريلي**"..ولكن بالنسبة إليَّ فليس هناك أي شك..إن هذه المطحنة الثقيلة هي الأداة التي استخدمت في قتل السيدة "**ليدنر**".كان منظرًا فظيعًا وأوشك الدكتور "**ليدنر**" أن ينهار وامتلأت نفسي تقززًا وفحص الدكتور أداة القتل بفضول واهتمام وقال يسأل النقيب "**ميتلاند**":

– أليس عليها بصمات؟

– كلا.أخذ الدكتور ملقطًا وبدأ عمله قائلاً:

– آه.هذا جزء من لحم بشري وشعر أشقر.هذا هو الفحص الأول، وسأقوم على

كل حـال بعـمل تحليل لمعـرفـة فـصـيلة الدم .ولـكن ليس هناك أي شك في النتيجة .هل وجدتم هذه المطحنة تحت فراش الآنسة "**جونسون**"؟ وضح السر إذن . .إنها ارتكبت الجريمة، ثم بكَّتها ضميرها فانتحرت . .هذه نظرية معقولة . وبدا الحزن على الدكتور "**ليدنر**" فقال :

– أوه، كلا . .لا يمكن أن تكون "**آن**" قد ارتكبت هذه الجريمة .قال النقيب "**ميتلاند**" :

– ولكن أين اختفت هذه المطحنة قبل ذلك؟ إننا فتشنا كل الغرف بعد موت السيدة "**ليدنر**" .وقلت في نفسي : " في دولاب أدوات الطبع بالتأكيد ." ولكنني لم أنطق بكلمة، واستطرد النقيب يقول :

– على كل حال لم تطمئن الآنسة "**جونسون**" فيما يتعلق بالمخبأ الأول فأخذت المطحنة إلى غرفتها بعد أن فتشناها .أو لعلها وضعتها تحت فراشها بعد أن استقر عزمها على الانتحار .صحت :

– لاأعتقد ذلك .لم أستطع أن أصدق أن الآنسة "**جونسون**" الرقيقة تحطم رأس السيدة "**ليدنر**" بهذه المطحنة . .تمرد كياني كله لمجرد هذه الفكرة . .ومع ذلك فقد تذكرت بعض المصادفات الغريبة، مثال ذلك دموعها في الليلة السابقة . .وقد عزوت هذه الدموع إلى وخز الضمير ولكنني لم أفكر في ذلك الوقت إلا في التوافه التي ارتكبتها في معاملتها للفقيدة .وقال النقيب "**ميتلاند**" :

– لا أدري ماذا أصدق؟ يجب أن نكشف سر اختفاء الراهب الفرنسي كذلك .إن رجالي يفتشون المنطقة خشية من أن يكون بعضهم قد قتله وألقى به في إحدى القنوات .قلت :

– آه . .إنني أتذكر الآن .وتحول الجميع إليَّ فاستطردت . .

كان هذا بالأمس . .سألني الأب "**لافيني**" عن الرجل الأحول الذي حاول اختلاس النظر من نافذة السيدة "**ليدنر**"، وأراد أن يعرف المكان الذي يقف فيه بالضبط وأردف يقول إنه سيذهب إلى ذلك المكان لعل شيئًا سقط من ذلك الرجل هناك .قال النقيب :

– مصادفة عجيبة أن يكتشف هو والآنسة "**جونسون**" في الوقت نفسه أثرًا قد يؤدي إلى القتل.وأردف يقول محنقًا:

– الرجل الأحول..لا أدري كيف فشل رجالي في العثور عليه؟ أجاب "**بوارو**" في هدوء:

– لأنه ليس أحول بالطبع وأراهن أنه اجتاز الحدود السورية الآن.

– إنني أخطرت "**تل كوتسيك**" ونقطة "**أبو كمال**"، ومراكز الحدود كلها.

– لاريب في أنه اتخذ الطرق الجبلية التي تتبعها سيارات التهريب.زمجر النقيب قائلاً:

– من الأوفق أن نبرق إذن إلى "**دير الزور**".

– إنني أبرقت إليهم أمس وأخطرتهم باحتجاز رجلين قد يحاولان المرور بسيارتهما ومعهما جوازان سليمان.نظر النقيب إليه وقال:

– آه هل أبرقت إليهم بذلك؟ أرى أنك تعرف أشياء كثيرة تحتفظ بها سرًّا.

– أبداً.لم تتضح لي الحقيقة إلا صباح اليوم وأنا أتأمل شروق الشمس.لم يكن أحد منا قد فطن إلى وجود السيدة "**مركادو**" بيننا.ولاريب في أنها جاءت عندما كنا مشغولين بأمر المطحنة ولم نشعر إلا وهي تطلق صيحات هستيرية قائلة:

– يا إلهي! إنني أخمن كل شيء..اتضح الآن كل شيء، إن القاتل هو الأب "**لافيني**"..إنه شيطان..مجنون..إنه يعتقد أن كل النساء مخلوقات ملعونة..يريد أن يقتلهن جميعًا..بدأ بالسيدة "**ليدنر**" ثم بالآنسة "**جونسون**"..والدور الآن عليَّ أنا.واندفعت في جنون نحو الدكتور "**ريلي**" وتشبثت به قائلة:

– لا أريد البقاء هنا.لن أبقى يومًا آخر..هناك خطر..خطر في البقاء..إن المجنون يختبئ في مكان ما..سيهجم عليَّ..أمسك الدكتور "**ريلي**" بيدي المرأة محاولاً تهدئتها، وأسرعت أنا فصفعتها على وجهها مرتين ثم عاونتها على الجلوس فوق مقعد قائلة :

– لن يقتلك أحد..سنسهر عليك.الزمي الهدوء فوق هذا المقعد.وفتح الباب

في هذه اللحظة ودخلت "**شيلا ريلي**" واتجهت إلى "**بوارو**" وخاطبته قائلة:

– ذهبت اليوم مبكرة إلى مكتب البريد. .وكانت هناك برقية باسمك وقد جئتك بها.

– شكراً لك ياآنسة.وأخذ البرقية وقرأها في صمت ثم دسها في جيبه وسألته السيدة "**مركادو**" وهي تكاد تختنق:

– من أين هذه البرقية؟ أهي من "**أمريكا**"؟ فهز رأسه وقال:

– كلا ياسيدتي. .بل من "**تونس**". تأملته لحظة كما لو كانت لم تفهم ثم تنهدت واضطجعت في مقعدها إلى الخلف وقالت:

– الأب "**لافيني**". .كنت على حق. .كنت أعلم أن هذا الرجل أمره غريب.وذكر لي أشياء غريبة ذات مرة. .وأظن أن به مسًا.سألزم الهدوء ولكن لابد أن أغادر هذا المكان. .إنني أفضل أن أذهب أنا و"**جوزيف**" إلى "**لندن**".قال "**بوارو**":

–صبراً ياسيدتي. .سأفسر لكم كل شيء.نظر النقيب "**ميتلاند**" إليه متسائلاً وقال:

– أتظن أنك حللت عقدة القضية؟ إذا كان الأمر كذلك فتكلم ياسيدي. تحول "**بوارو**" إلى الدكتور "**ريلي**"وقال:

– هلا تكرمت ودعوت الجميع؟ وما هي إلا لحظات حتى كان الجميع قد اتخذوا أماكنهم حول المنضدة.وتردد "**بيل كولمان**" و"**دافيد إيموت**" وألقى كل منهما نظرة إلى "**شيلا ريلي**" وكانت واقفة بجوار النافذة توليهما ظهرها.وخاطبها "**بيل**" قائلاً:

– أتريدين مقعداً يا "**شيلا**"؟ وقال "**دافيد**" بصوته الرقيق البطيء:

– ألا تريدين الجلوس؟ وتحولت إليهما ونظرت إليهما. .كان كل منهما يقدم إليها مقعداً.وتساءلت أنا أي مقعد ستختار ولكنها اكتفت بأن قالت فجأة:

– شكراً، أفضل أن أجلس هنا.وجلست على حافة المنضدة بجوار النافذة وهي تقول:

– هذا إذا لم يجد النقيب مانعًا .ولا أدري ماذا كان النقيب ينوي أن يقول لأن "**بوارو**" سبقه قائلاً :

– أرجوك أن تبقي يا آنسة. .إن من الضروري أن تستمعي إلى حديثنا ؛ لأن لديَّ بضعة أسئلة أريد أن ألقيها عليك .ونظر إلينا الواحد بعد الآخر ثم نهض وتوقعت منه كل شيء إلا تلك الكلمات التي استهل بها حديثه فقد بدأ يقول : بسم الله الرحمن الرحيم. .

- 22-

بداية رحلة

"بسم الله الرحمن الرحيم" . .هذه هي العبارة التي يستخدمها العرب عند بداية كل رحلة وسنقوم برحلة الآن . .رحلة في الماضي . .في أغوار النفس البشرية المجهولة .أحسست منذ البداية أنني لكي أفهم هذه القضية جيداً، لا يجب أن أهتم بالدلائل الظاهرية قدر اهتمامي بالأدلة الحقيقية التي تجسد تباين الأشخاص المقيمين هنا وأسرار قلوبهم، وعلى الرغم من أنني اهتديت إلى ما يمكن أن أعتبره الحل الحقيقي لهذه القضية، فإنني لاأملك أي دليل مادي على ذلك .ولكنني أعرف أنه الحل الصحيح لأنه لا يمكن أن يكون هناك أي حل آخر معقول غيره .وسكت سكتة قصيرة ثم قال :

– سأبدأ رحلتي من اللحظة التي كلفت فيها بالتحقيق في هذه القضية ووضعت بذلك أمام أمر واقع. .ومن رأيي أن كل قضية لها شكلها ومظهرها الخاص. .وهذه القضية بالذات تدور حول شخصية السيدة "**ليدنر**" .وأدركت أنني مالم أعرف أي نوع من النساء هي فإنني لن أستطيع الكشف عن القاتل ولاعن الدافع الذي دفعه إلى ارتكاب جريمته ، كانت نقطة البداية التي بدأت من عندها إذن هي شخصية السيدة "**ليدنر**" . ولفتت نظري نقطة أخرى نفسية هي جو التوتر السائد بين أعضاء البعثة .وقد أجمع الجميع بأن سبب هذا التوتر

هو تأثير السيدة "**ليدنر**" فيهم ولكن هذه النظرية لم تؤد إلى نتيجة مرضية كما سأتعرض لذلك فيما بعد. حاولت قبل كل شيء أن أحلل شخصية السيدة "**ليدنر**" وتوفرت لي كل الوسائل في سبيل ذلك، فقد كانت هناك ردود الفعل التي أحدثتها في المقيمين معها في هذا البيت، وكل منهم يختلف عن الآخر في طبعه ومزاجه،كانت ميول السيدة بسيطة وتكاد تكون صارمة، وكان من الواضح أنها لم تكن تميل إلى البذخ أو الترف، ولكنها كانت من ناحية أخرى تقضي جلٍ وقتها في التطريز..وكان تطريزها يدل على أنها تحب الجمال والذوق السليم معاً..ورأيت من الكتب التي تقرؤها أنها امرأة مثقفة وأنها إلى جانب ذلك مفرطة في الأنانية والغرور.وطبقًا لأقوال الدكتور "**ريلي**" وأعضاء البعثة استنتجت أنها كانت تتمتع بجمال أخاذ وسلطان كبير..والمرأة التي من هذا النوع تبذر في طريقها المآسي والمصائب التي تصيب غيرها وتروح هي ضحية لها في الوقت نفسه.وأيقنت منذ البداية أنها تحب نفسها حبًا مفرطًا، وأنها فوق ذلك تحب أن تفرض سلطانها على الجميع، رجالاً ونساء على السواء.ولم يكن في مقدور البعض مقاومة هذا السلطان كالآنسة "**ليذبران**" فإن هذه الأخيرة كريمة الخلق ورومانسية فافتتنت بالسيدة "**ليدنر**" على الفور وأسرت قلبها، ولكن السيدة "**ليدنر**" كانت تزاول تأثيرها بطريقة أخرى وأعني بها الخوف.وعندما كانت تنتصر بسهولة كبيرة كانت تترك العنان لغرائزها القاسية..ولا أقول إن قسوتها هذه قسوة واعية وإنما هي قسوة فطرية كقسوة القط حين يلعب بالفأر..أما في تصرفاتها العادية فقد كانت طيبة جدًا.ولكن كانت مسألة خطابات التهديد أهم شيء، فمن الذي كتبها ولأي غرض؟ وهل يعقل أن تكون هي التي كتبتها لنفسها؟ ولكي أرد على هذا السؤال يجب أن أعود القهقرى إلى زواج السيدة "**ليدنر**" الأول، فمن هناك تبدأ رحلتنا حقًا..رحلتنا في حياة السيدة "**ليدنر**". وقبل كل شيء يجب أن نفهم أن "**لويز ليدنر**" التي عاشت كل تلك السنوات الماضية هي "**لويز ليدنر**" التي عرفتموها بنفسها.كانت في ذلك الوقت في مقتبل الشباب وجميلة

جداً . .أعني ذلك الجمال الأخاذ الذي يسلب قلوب الرجال .وكانت إلى جانب ذلك أنانية إلى حد كبير ومثل هذه المرأة تتمرد لمجرد فكرة الزواج . .يمكن أن تميل إلى الرجال ولكنها تفضل ألا يمتلكها أي واحد منهم .ومع ذلك فإن السيدة "**ليدنر**" تزوجت، ولا أخطئ إذا قلت إن زوجها كان على جانب كبير من قوة الشخصية والإرادة .وعندما علمت أنه يقوم بالتجسس لحساب دولة أجنبية وشت به لحكومتها، وطبقًا لاعترافاتها للآنسة "**ليذبران**" فقد وشت به مدفوعة بحبها لوطنها، ولكن كلاً منا يحاول أن يبرر أفعاله وأن يعزوها إلى أنبل المشاعر .ومن الممكن أن تكون السيدة "**ليدنر**" قد أقدمت على ذلك العمل مدفوعة بحبها لوطنها .ولكن من رأيي أنها أرادت أن تتخلص منه ؛ لأنها كانت تكره أن يسيطر عليها أي رجل .ونصل الآن إلى مسألة الخطابات .وكانت السيدة "**ليدنر**" تغزو قلوب الرجال .ومالت إليهم مرات كثيرة . .ولكن كان يصلها في كل مرة خطاب تهديد يهدم كل آمالها . .فمن الذي كان يكتب هذه الخطابات؟ أهو "**فريدريك بوسنر**" أم أخوه "**ويليام**" أم "**لويز ليدنر**" نفسها؟ «إن كلاً من هاتين النظريتين تساند الأخرى، فإن السيدة "**ليدنر**" جديرة بأن تدفع أي رجل إلى أن يحبها حبًا جنونيًا يمكن أن يتحول إلى فكرة ثابتة .وأميل إلى الاعتقاد بأن السيد "**فريدريك بوسنر**" موجود حاليًا وأنه أحبها أكثر من أي شخص آخر في العالم .ولكنها خانته بحيث لا يجرؤ على الظهور أمامها من جديد .إلا أنه أقسم بأنها لن تكون لرجل غيره، وإنه لأهون عليه أن يقتلها من أن يتزوجها رجل آخر ومن ناحية أخرى، إذا كانت السيدة "**ليدنر**" تنفر كل هذا النفور من الروابط الزوجية فمن الممكن أن تكون استخدمت هذه الطريقة لإقصاء الراغبين في الزواج بها، ففي كل مرة يطلبها رجل للزواج كان يصلها خطاب تهديد ونأتي الآن إلى مرحلة على جانب كبير من الأهمية، فقد ظهر الدكتور "**ليدنر**"، وفي هذه المرة لا يعترض أي خطاب على أن تصبح السيدة "**ليدنر**" زوجة له صحيح وصلها خطاب جديد ولكنه وصل بعد الزواج. ونتساءل على الفور عن السبب، ونعود عندئذ إلى النظريات الثلاث . .فإذا كانت السيدة "**ليدنر**" هي

التي كتبت هذه الخطابات فإننا نجد الحل فوراً، ويكمن في أن السيدة "**ليدنر**" أرادت أن تتزوج الدكتور "**ليدنر**" بالذات وأنها بلغت غرضها. ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا أرسلت لنفسها خطاباً بعد ذلك؟هل كان حبها للرومانسية عنيفاً إلى هذا الحد؟ لقد مر على زواجها سنة ونصف السنة لم يصلها فيها أي خطاب، ولننتقل الآن إلى النظرية الثانية. إذا كان "**فريدريك بوسنر**" هو الذي كتب هذه الخطابات أو أخوه فلماذا أتى خطاب التهديد بعد الزواج؟ طبقاً للظواهر لم يكن "**فريدريك بوسنر**" راضياً أن تتزوج "**لويز**" بـ"**ليدنر**"، فلماذا لم يمنع زواجها بالطريقة نفسها التي اتبعها قبل ذلك؟ ولماذا استمر في تهديداته بعد الزواج؟ لاريب في أن السيد "**بوسنر**" استحال عليه ذلك ولم يستطع إرسال خطابات التهديد قبل الزواج ؛ إما لأنه كان في السجن وإما لأنه كان في الخارج. ولكن هذا التفسير لايرضيني أبداً، ولننتقل الآن إلى محاولة الاختناق بالغاز، لايمكن أن نتهم شخصاً من الخارج. . وإنني أعزو هذه المحاولة إما إلى السيدة "**ليدنر**" وإما إلى الدكتور "**ليدنر**"، ولكن ليس هناك سبب يحدو بالدكتور "**ليدنر**" إلى أن يفعل ذلك،ولهذا أراني مضطراً إلى الاستنتاج بأن السيدة "**ليدنر**" هي التي قامت بهذه المهزلة. لماذا؟ حبًّا في المأساة دائماً. وبعد ذلك يسافر السيد "**ليدنر**" وسيدته إلى الخارج لمدة ثمانية عشر شهراً ويقضيان حياة سعيدة لايخيم على سعادتهما أي شيء، أظن أن كلاً منهما راح يهنئ الآخر لأنهما أفلحا في تضليل عدوهما ولكن مثل هذا الظن سخيف خصوصاً في حالة آل "**ليدنر**" بالذات. إذ كيف يتمكن عالم مشهور من علماء الآثار من تضليل أي شخص؟ إن في مقدور "**فريدريك بوسنر**" أن يعرف عنوانه إذا اتصل بأي متحف أمريكي. وإذا كانت موارده المالية لم تسمح له بملاحقة الزوجين بنفسه، فلم يكن هناك ما يمنعه من الاستمرار في إرسال خطابات التهديد. فإن رجلاً تلح عليه مثل هذه الفكرة الثابتة لايتوقف في منتصف الطريق، ولكننا لانسمع عنه أي شيء طوال سنتين، ثم تأتي بعد ذلك رسائل التهديد للسيدة "**ليدنر**" من جديد، فلماذا؟ من العسير الرد على

هذا السؤال ومن السهل الادعاء بأن السيدة "**ليدنر**" أرادت أن تفرض سلطانها من جديد ولكن مثل هذا الادعاء لا يرضيني خاصة وأن السيدة "**ليدنر**" امرأة عاقلة ولا يمكن أن تلجأ إلى مثل هذه الطريقة المبتذلة مرة أخرى. كانت هناك ثلاثة احتمالات محددة إذن. . الأول: هو أن تكون السيدة "**ليدنر**" هي التي كتبتها لنفسها والثاني: أن يكون كاتبها "**فريدريك بوسنر**" أو "**ويليام بوسنر**" والثالث: أن يكون شخص آخر على علم بخطابات التهديد السابقة هو الذي كتب الخطابات الأخرى. وأنتقل الآن إلى المقيمين مع السيدة "**ليدنر**" لدراسة موقف كل منهم واحتمال ارتكابه لهذه الجريمة. ثبت بما لايقبل الجدل أن الدكتور "**ليدنر**" لم يغادر السطح وأن السيد "**كاري**" كان يشرف على الحفائر وأن السيد "**كولمان**" ذهب إلى "**الحسينية**". ولم يكن هناك شك في أن الدكتور "**ليدنر**" كان موجوداً فوق السطح ولم يغادره. . ولكن السيد "**كاري**"؟ ألم يبرح الحفائر ويأتي إلى البيت؟ وهل كان السيد "**كولمان**" في "**الحسينية**" حقًا؟ احمر وجه "**بيل كولمان**" وفتح فمه لكي يتكلم ولكنه لم يلبث أن أطبقه ونظر حوله في ارتباك. أما السيد "**كاري**" فلم تتغير ملامحه وبقي جامد الأسارير. واستطرد "**بوارو**" يقول في هدوء:

– وفكرت كذلك في شخص آخر كان في مقدوره أن يرتكب هذه الجريمة وأعني به الآنسة "**ريلي**". فقد اعترفت لي بأنها كانت تكره القتيلة وأنها أحست بالرغبة في قتلها. وعندما سألتها أين كانت ساعة الجريمة نطقت بكذبة عديمة الجدوى. قالت إنها كانت تلعب التنس في النادي في ذلك اليوم. . ولكنني في اليوم التالي كنت أتحدث إلى الآنسة "**جونسون**" فقالت لي إنها رأت الآنسة "**ريلي**" على مقربة من البيت ساعة الجريمة. وخطر لي أنها قد تخبرني بشيء مفيد إذا كان ضميرها مستريحًا. وسكت هنيهة ثم قال يسأل الفتاة:

– آنسة "**ريلي**". . هل لك أن تقولي لي ماذا رأيت في ذلك اليوم؟ لم تجب على الفور. . كانت لاتزال تنظر إلى النافذة، وقالت في صوت هادىء متزن دون

أن تلتفت :

– ذهبت إلى الحفائر بعد الغداء وبلغتها في نحو الساعة الثانية إلا الربع.

– هل التقيت بأحد معارفك؟

– كلا .لم أر هناك غير رئيس العمال العربي .

– ألم تري السيد "**كاري**" ؟

–نعم لم أرَ . قال "**بوارو**" :

– غريب، هل يمكنك أن تفسر لنا ذلك ياسيد "**كاري**" ؟ أجاب "**كاري**" :

–كان العمال يقومون بعملهم المعتاد فخطر لي أن أقوم بجولة .

– في أية ناحية؟

– ناحية النهر.

– ألم تذهب إلى البيت؟

– نعم لم أذهب .سألته الآنسة "**ريلي**" :

– لاريب في أنك كنت تنتظر شخصًا لم يأت .نظر "**كاري**" إليها ولم يجب .وتحول "**بوارو**" إلى الفتاة وسألها ثانية :

– ألم تري شيئًا آخر يا آنسة؟

– بلى . .رأيت سيارة النقل على مقربة من البيت .وبدا لي ذلك غريبًا، ولم ألبث أن رأيت السيد "**كولمان**" يمشي مطرق الرأس كما لو كان يبحث عن شيء .صاح "**كولمان**" :

– انتظري . .إنني .قاطعه "**بوارو**" في قوة . .

– صبراً . .هل خاطبته يا آنسة "**ريلي**" ؟

– كلا ياسيدي .

– لماذا؟ أجابته الفتاة في بطء :

– لأنه كان يلقي حوله من وقت إلى آخر نظرة مترددة لم أسترح لها،فلويت عنان جوادي وابتعدت .ولا أظن أنه رآني ؛ لأنني لم أقترب منه ثم إنه كان مشغولاً ببحثه .لم يستطع السيد "**كولمان**" إلا أن يبرئ نفسه فقال :

– أصغ إليّ يمكنني أن أوضح لك الأمر. كنت قد وضعت مخطوطًا رائعًا في جيبي في اليوم السابق ونسيت أن أعيده إلى غرفة الآثار.. وفيما بعد تحققت من ضياعه وخطر لي أنه ربما وقع في مكان ما. وتجنبًا لأي سوء تفاهم رأيت ألا أتحدث عنه وأن أبحث عنه بنفسي. وفرغت من مهمتي في "**الحسينية**" بأسرع ما يمكن ثم عدت في وقت مبكر فأوقفت السيارة على مقربة من البيت وأخذت أفتش الطريق تفتيشًا دقيقًا. ولكنني لم أعثر عليه، فركبت السيارة وعدت إلى البيت واعتقد الجميع أنني آت من "**الحسينية**" لتوي.

– وتركتهم على اعتقادهم هذا؟ كان من السهل أن تذكر لهم الحقيقة.

– ولكن لم كل هذا التعقيد؟ لا يمكن أن تثبت أي شيء ضدي. إنني لم أدخل الفناء وأتحداك أن تجد شاهدًا يقول العكس. قال "**بوارو**":

– هذه مسألة عسيرة حقًّا. فإن الخدم أجمعوا في أقوالهم على أن أحدًا لم يدخل ولكننا لم نسألهم إذا كانوا قد رأوا أحدًا من أعضاء البعثة.

– سلهم من جديد.. إنني أراهن بكل ماتريد على أنهم لم يروني ولم يروا "**كاري**" كذلك.

– ولكن هذا أمر مثير حقًّا. فلو أن أحدًا غريبًا قد دخل لرأوه. ولكنهم ما كانوا ليهتموا بأي فرد من أعضاء البعثة؛ لأنهم اعتادوا أن يروهم يمشون في كل لحظة. ومن الممكن أن يكون السيد "**كاري**" أو السيد "**كولمان**" قد دخل الفناء دون أن يفطن الخدم إليهما. قال "**كولمان**":

– هراء وكان في مقدور السيد "**كاري**" أن يمر دون أن يلحظه أحد؛ لأن السيد "**كولمان**" ذهب إلى "**الحسينية**" في السيارة، وكانوا يتوقعون عودته بالسيارة ولو أنه دخل على قدميه لأثار دهشتهم. نهض "**كاري**" وقال:

– سيد "**بوارو**".. هل تتهمني بارتكاب جريمة القتل؟ هز "**بوارو**" رأسه وقال:

– إنما أحملك الآن إلى رحلة.. رحلة نحو الحقيقة، أردت أن أبين لكم فقط أن كل فرد من أعضاء البعثة كان في مقدوره ارتكاب جريمة القتل. ولكني سأحدثكم الآن بكل صراحة.. بل بكل قسوة، فمن الضروري أن أكشف خبايا

هذا البيت. إنني درست نفسية كل منكم. .ولنبدأ بالدكتور "**ليدنر**" .لم ألبث أن اكتشفت أن حبه لزوجته هو سبب تشبثه بالحياة وأنه رجل يؤرقه الألم ويعذبه .ثم تحول اهتمامي بعد ذلك إلى السيد "**مركادو**" وسيدته وتساءلت في بادىء الأمر إذا كانت السيدة "**مركادو**" جديرة بارتكاب هذه الجريمة ولأي دافع. بدا لي في بداية الأمر أن السيدة "**مركادو**" لا تملك القوة الضرورية لكي تضرب السيدة "**ليدنر**" بالمطحنة وإن كانت تملك الدافع وهو الغيرة فقد كانت تكره السيدة "**ليدنر**"؛ لأنها غزت قلب زوجها وسحرته. . .ولكنني كنت مقتنعاً أن السيدة "**مركادو**" تعلم ذلك ولعلها حقدت عليها في بادئ الأمر. .ومهما يكن فلا بد من سبب قوي يدفع المرأة إلى القتل.وكانت السيدة "**مركادو**" تكن لزوجها عاطفة أنثوية.ومن نظرتها إليه أدركت على الفور أنها لاتحبه فحسب ولكنها لن تحجم عن أن تدافع عنه كالنمر،كانت على حذر دائماً ودائمة الخوف، ليس على نفسها ولكن على زوجها.وراقبت السيد "**مركادو**" عن كثب ولم ألبث أن خمنت حقيقته.واستخدمت خدعة بسيطة لكي أتأكد من شكوكي وأيقنت بذلك أنه يتعاطى المخدرات بطريقة تدل على الإدمان الشديد. .وغني عن البيان أن أقول إن إدمان المخدرات من شأنه أن يرهق القوى العقلية وأن يضعفها.ويمكن للرجل تحت تأثير المخدرات أن يقدم على أعمال ما كان ليهبط إليها قبل أن ينزلق إلى هذه الرذيلة. .يمكن أن يقدم على القتل،ومن السمات المميزة لمدمن الأفيون ثقته الكبيرة بذكائه الخارق.فهل في حياة السيد "**مركادو**" فضيحة أو جريمة تمكنت السيدة "**مركادو**" وحتى اليوم من إخفائها عن العالم؟ لو صح ذلك فإن مستقبله سيضيع لا محالة إذا انكشف أمره.وكانت زوجته على حذر دائماً وكانت تحسب حساباً لذكاء السيدة "**ليدنر**" ولتأثيرها في الرجال وخشيت أن تكتشف سر زوجها فيكون في ذلك ضياعهما معاً. وهذا دافع معقول فيما يتعلق بالسيد "**مركادو**" وسيدته إن هذه الأخيرة لا تحجم عن شيء لحماية زوجها.وفي خلال الدقائق العشر التي بقي فيها الفناء شاغراً كان أمامها كل الوقت الكافي.صاحت السيدة "**مركادو**" :

– هذا غير صحيح.

ثم درست بعد ذلك حالة الآنسة "**جونسون**"..ورأيت أنه يحتمل أن تكون قتلت السيدة "**ليدنر**".فربما اقتنعت لسبب من الأسباب أن السيدة "**ليدنر**" أفسدت حياة زوجها.والغيرةالعمياء التي ترقد في أعماقها يمكن أن تدفعها إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة، ثم يأتي الرجال الثلاثة بعد ذلك، وأعني بهم "**كارل ريتر**" و"**بيل كولمان**" و"**دافيد إيموت**"، وكل منهم من الجائز أن يكون "**ويليام بوسنر**".. صاح "**كولمان**": ما هذه الحماقة؟ إنني أتساءل لماذا نصغي طوال هذا الوقت إلى هذا الثرثار؟ وقال "**بوارو**" دون أن يعيره أي اهتمام:

– والباقيان في القائمة هما "**ريتشارد كاري**" والأب "**لافيني**"، طبقًا لشهادة الآنسة "**ليذبران**" والآخران كان كل من السيد "**كاري**" والسيدة "**ليدنر**" يكره الآخر..ولكن الآنسة "**ريلي**" ذكرت رواية أخرى تختلف تمامًا.ولم ألبث أن رأيت أنها على حق، وتأكدت من ذلك عندما حثثته على أن يتكلم بدون حذر،ولاحقته بأسئلتي إلى أن اعترف أخيراً بأنه يكره السيدة "**ليدنر**" وأنه يمقتها كل المقت.وتساءلت عن سبب هذه الكراهية ولم ألبث أن رأيت لها تعليلاً مقبولاً ومعقولاً، فإن السيد "**كاري**" رجل جذاب وهو صديق حميم للدكتور "**ليدنر**" وقد عامل السيدة "**ليدنر**" في البداية في غير اهتمام أو اكتراث.واستاءت هذه الأخيرة لذلك.وعملت على أن تفرض سلطانها عليه بكل طريقة.وحاولت أن تغزو قلبه ولكن وقع ماليس في الحسبان فقد وقعت في حبه، وكان حبها عنيفًا جارفًا. أما هو فلم يستطع أن يقاوم.وهذا يدلنا على سبب ما كان يعانيه من توتر.فقد كان موزعًا بين عاطفتين مختلفتين، كان يحب "**لويز ليدنر**" ويكرهها في الوقت نفسه.كان يكرهها لأنها اعتدت على إخلاصه لصديقه، ولا أعرف كراهية أقوى من تلك التي يشعر بها رجل دفعه القدر إلى أن يحب امرأة رغمًا عنه.ألم يكن هذا الدافع كافيًا؟ اقتنعت لمدة لحظات أن "**ريتشارد كاري**" تمنى أن يرفع يده ويضرب بكل قسوة تلك التي سحرته وخلبت عقله.ولم أكف قط عن الاعتقاد بأن مصرع "**لويز ليدنر**" كان جريمة

غرامية ورأيت في "كاري" النموذج المثالي لمثل هذا النوع من الجريمة،بقي أمامنا بعد ذلك الأب " لافيني" ،أثار هذا الأب اهتمامي إليه بالتباين الواضح في الوصف الذي أدلى به عن الرجل الذي كان يحاول اختلاس النظر من النافذة، وبين الوصف الذي ذكرته عنه الآنسة "ليذبران" .وأوصاف الشهود تحتوي عادة على تناقضات مختلفة ولكن التناقضات هذه المرة كانت غريبة.وقد أصر الأب "لافيني" على أن بالرجل حولاً وأدركت أنه يحاول أن يضللنا في أبحاثنا..كما لو كان يريد أن يحمي ذلك الرجل. لم يكن هناك ريب إذن في أنه يعرف الرجل،وقد رئي وهو يتحدث إليه بعد ذلك ولكن لم يعرف أحد موضوع حديثهما.ماذا كان يفعل ذلك العراقي عندما رأته الآنسة "ليذبران" والسيدة "ليدنر" ؟ كان يحاول أن ينظر إلى غرفة هذه الأخيرة كان هذا اعتقادهما ولكنني ذهبت إلى حيث كان يقف ورأيت أنه كان في مقدوره أن يرى غرفة الآثار كذلك.وفي الليلة التالية حدث شيء عجيب..فقد تسلل أحد الأشخاص إلى غرفة الآثار، ومع ذلك فلم يسرق شيئًا منها.وعندما جاء الدكتور "ليدنر" وجد فيها الأب "لافيني"وقال له هذا الأخير إنه رأى نوراً فدخل ليستطلع الأمر.وبدأ الأب "لافيني"يثير حيرتي، وعندما افترضت أنه يمكن أن يكون "فريدريك بوسنر" ،اعترض الدكتور "ليدنر" وقال :

– إن الأب "لافيني"راهب مشهور معروف منذ أكثر من عشرين سنة وإنه لا يمكن أن يكون "فريدريك بوسنر"..

لم يكن أحد من أعضاء البعثة يعرف الأب " لافيني" قبل ذلك فلماذا لا يكون إذن رجلاً آخر ينتحل شخصيته؟ وعلمت أن الدكتور "بيرد" لم يلتحق بالبعثة بسبب مرضه وأنكم بعثتم برقية إلى "قرطاجة" تطلبون قدوم الأب "لافيني" .ووقعت هذه البرقية بين يدي رجل ذكي له بعض المعرفة بالآثار انتهز هذه الفرصة للانضمام إلى البعثة، وأدركت عندئذ أن الأب "لافيني" رجل دعي مجهول محتال وتبادلت معه حديثًا طويلاً .وأنا أعرف رهبانًا كثيرين وبدا لي أن الأب "لافيني" على غير ما يتظاهر به، ولكن شخصيته بدت لي مألوفة لأسباب أخرى.فقد تعاملت كثيراً

مع أشخاص على شاكلته، وهؤلاء الأشخاص لا يمتون أبداً إلى الرهبان بصلة، وأرسلت عندئذ البرقية تلو البرقية، وقدمت لي الآنسة "**ليذبران**" دون أن تدري دليلاً مهمًا فقد كنا نشاهد الحلي الذهبية في غرفة الآثار عندما حدثتني عن بقعة من الشمع على كوب ذهبي، فقلت «شمع». وصاح الأب "**لافيني**" «شمع»؟ وكانت لهجته كافية لكي أفهم سبب وجوده مع البعثة. وسكت "**بوارو**" سكتة قصيرة ثم تحول إلى الدكتور "**ليدنر**" وقال:

– يؤسفني أن أقول لك ياسيدي إن الكوب الذهبي والخنجر الذهبي وكل الحلي الذهبية ليست هي الحلي نفسها التي استخرجتموها من باطن الأرض، وإنما هي نسخ مطابقة لها مصنوعة بطريقة الطبع الكهربائي. وهذه البرقية التي جاءتني الآن تفيدني بأن الأب "**لافيني**" ما هو إلا لص مشهور معروف باسم "**راوول منيير**" يبحث عنه البوليس وقد تخصص في سرقة التحف الفنية من المتاحف بالاشتراك مع جوهري تركي اسمه "**علي يوسف**" وعلمت أن "**منيير**" كان يتأهب لسرقة بعض التحف من دير بـ "**تونس**" عندما وصلت برقيتكم. وكان الأب "**لافيني**" مريضاً، فرد عليكم بأنه لا يستطيع الانضمام إليكم ولكن "**منيير**" استطاع أن يحتجز برقيته وأن يستبدل بها برقية أخرى يخبركم فيها بقبوله الانضمام إليكم. وجاء "**منيير**" وشريكه، رئي هذا الأخير لأول مرة وهو يحاول اختلاس النظر إلى غرفة الآثار. كان دور الأب "**لافيني**" يقتصر على أن يأخذ قوالب من الشمع للتحف التي يريدها ويقوم "**علي يوسف**" بصنع صور متقنة لها، والعالم لا يخلو من هواة يدفعون مبالغ خيالية للتحف القديمة الحقيقية.. كان على الأب "**لافيني**" أن يضع الصور الزائفة مكان الحقيقية في أثناء الليل. وكان هذا ما يقوم به عندما سمعته السيدة "**ليدنر**"، وأعطت إشارة الخطر فماذا يفعل؟ اخترع على الفور قصة الضوء الذي رآه في غرفة الآثار. وصدقه الجميع إلا السيدة "**ليدنر**" فلم تدخل عليها حيلته وتذكرت آثار الشمع التي سبق أن لحظتها واستنتجت كل شيء. ولا ريب في أنها هددته بأن تقول كل شيء فخشي الأب "**لافيني**" افتضاح أمره وقتلها، إن

الأب "**لافيني**" الدعي لص. .فهل هو قاتل أيضًا؟ راح "**بوارو**" يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابًا وأخرج منديلاً من جيبه جفف به جبينه قبل أن يقول:

– هذه هي نتيجة أبحاثي صباح اليوم.كان أمامي ثمانية رجال كل منهم يمكن أن يكون القاتل، ولكن من منهم القاتل بالذات؟ غير أن الجريمة تصبح عادة ومن قتل مرة لابد أن يقتل بعد ذلك، ولكن الجريمة الثانية وضعت القاتل تحت رحمتي.ولندرس الآن الحقائق الخاصة بالجريمة الثانية .أولاً: وجدت الآنسة "**ليذبران**" يوم الأحد الآنسة "**جونسون**" تبكي ، وفي المساء، حرقت الآنسة "**جونسون**" جزءًا من خطاب اعتقدت الآنسة "**ليذبران**" أن الذي كتبه هو الذي كتب خطابات التهديد بالذات ، ثانيًا:رأت الآنسة "**ليذبران**" الآنسة "**جونسون**" في الليلة التي سبقت مصرعها واقفة على السطح وهي في حالة شديدة من الاضطراب. .وعندما سألتها عما بها قالت: "إني رأيت كيف يمكن للإنسان أن يدخل من الخارج من غير أن يراه أحد" . .ولم تزد على ذلك.وكان الأب "**لافيني**" يجتاز الفناء و"**كارل ريتر**" واقفًا على باب غرفته. ثالثًا:نطقت الآنسة "**جونسون**" وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بكلمة هي النافذة.تلك هي الحقائق وهذه هي الأسئلة التي يجب أن نجد لها حلاً ومن الذي كتب الخطابات؟ وماذا رأت الآنسة "**جونسون**" وهي فوق السطح؟ وماذا أرادت أن تقول بكلمة النافذة؟ ولننظر الآن إلى السؤال الثاني لأنه أسهلها.صعدت إلى السطح برفقة "**ليذبران**" ووقفت في المكان الذي كانت تقف فيه الآنسة "**جونسون**" ومن مكاني هذا رأيت الفناء والباب العمومي والجانب الشرقي للبيت ورجلين من رجال البعثة.فهل كانت تقصد بكلماتها السيد "**ريتر**" أو الأب "**لافيني**"؟ وعلى الفور قفز إلى ذهني تفسير معقول. .لو أن رجلاً غريبًا دخل من الخارج فلا يمكن أن يكون ذلك الرجل قد دخل متنكرًا،ولم يكن هناك غير رجل واحد تسمح له ثيابه بأن يفعل ذلك. .وهذا الرجل هو الأب "**لافيني**" فقد كان في إمكانه إذا لبس خوذته ووضع نظارته على عينيه لكي تحميه من الشمس أن يدخل بثوبه الطويل الفضفاض من الباب دون أن يثير

اهتمام الخدم.أهذا هو ما كانت تعنيه الآنسة "**جونسون**"؟ أو تراها خمنت أن الأب "**لافيني**" دعي؟ مع كل ما كنت أعرفه عن الأب "**لافيني**" كان "**راوول منيير**" هو القاتل.قتل السيدة "**ليدنر**" لكي يحملها على الصمت ،ثم أوعزت إليه الآنسة "**جونسون**" بأنها تعرف أمره فلم يسعه إلا أن يقتلها هي الأخرى، وهكذا يتضح كل شيء..الجريمة الثانية وفرار الأب "**لافيني**" إلى "**سوريا**" وشريكه ومع كل منهما جواز سفر سليم لاغبار عليه كما لو كانا رجلين شريفين ثم اكتشاف المطحنة الملوثة بالدم تحت فراش الآنسة "**جونسون**" كما قلت لكم شعرت بالارتياح تقريباً..ولكن الحل السليم يجب أن يفسر كل شيء.ولم يكن الأمر كذلك.فهو لايفسر مثلاً كلمة النافذة التي نطقت بها الآنسة "**جونسون**" وهي تلفظ بأنفاسها الأخيرة و لا سبب بكائها ولا اضطرابها فوق السطح ورفضها أن تكشف للآنسة "**ليذبران**" ما تعرفه أو تشك فيه.كان الحل هو أن يسوي الحقائق السطحية ولكنه ترك في الظل المسألة النفسية وبينما كنت أقف فوق السطح أفكر في هذه المسائل الثلاث..الخطابات، والسطح، والنافذة رأيت..كما رأت الآنسة "**جونسون**"، وفي تلك المرة اتضح كل شيء لعيني.

- 23 -

نهاية الرحلة

جال"**بوارو**" ببصره حوله فإذا الجميع ينظرون إليه في اهتمام وقد أدركوا أن قنبلة سوف تنفجر..وقال في هدوء:

– قلت إن ثلاثة رجال يملكون الدليل القاطع بالنسبة إلى ساعة الجريمة.وقد أوضحت منذ لحظات ضعف دليلين منهما، وأعترف الآن بغلطتي فإن الدكتور "**ليدنر**" لم تسنح له الفرصة بأن يقتل زوجته فحسب ولكنني واثق بأنه قتلها فعلاً.ساد صمت..ولم ينطق الدكتور "**ليدنر**" بكلمة..بدا أنه ضائع في دنيا

بعيدة. . ومع ذلك فإن "**دافيد إيموت**" تولاه الاضطراب وقال مرتبكًا:

– ماذا توعز بقولك هذا يا سيد "**بوارو**"؟ ألم أقل لك إن الدكتور "**ليدنر**" لم يغادر السطح قبل الثالثة إلا الربع؟ إنني أكرر ذلك، إنها الحقيقة التامة وأنا لاأكذب، لو أنه هبط لرأيته بكل التأكيد. حنى "**بوارو**" رأسه وقال:

– إنني لا أشك في كلامك. . إن الدكتور "**ليدنر**" لم يبرح السطح وهذه حقيقة ثابتة ولكن الذي فهمته وفهمته الآنسة "**جونسون**" هو أن الدكتور "**ليدنر**" استطاع أن يقتل زوجته دون أن يبرح السطح. اتسعت عيوننا جميعًا في حين صاح "**بوارو**":

– النافذة. . نافذة السيدة "**ليدنر**". . هذا ما فهمته الآنسة "**جونسون**". . إن نافذتها كانت تحته مباشرة، ليس من ناحية الفناء ولكن من الخارج وقد انتظر الدكتور "**ليدنر**" حتى بقي وحده وهو يعرف أن أحداً لا يراه وكانت هناك أحجار الرحى الثقيلة التي تستعمل في طحن الحبوب، كان كل شيء يبدو بسيطًا على شرط أن يتمكن القاتل من نقل الجثة من مكانها قبل أن يكتشفها أحد. . أوه! كان ذلك رائعًا وسهلاً جداً. وإليكم كيف تمت الجريمة: إن الدكتور "**ليدنر**" فوق السطح يعمل في تبويب الآنية الفخار ويدعوك يا سيد "**إيموت**" وبينما كان يتكلم معك لاحظ أن الصبي الصغير الذي يعمل ينتهز فرصة غيابك ويقطع عمله ويخرج من الفناء فيحتجزك معه عشر دقائق ثم يتركك تهبط وما إن تصل إلى تحت وتدعو الغلام حتى يبدأ في تنفيذ خطته، وهذه النافذة تطل على الريف وليس على الفناء والسيدة "**ليدنر**" راقدة على فراشها هادئة وسعيدة. . وفجأة يبدأ القناع في ارتطامه بلوح النافذة ويلفت نظرها ولكن الوقت لم يكن ليلاً في تلك الساعة بل نهاراً فلا تفزع وترى الحقيقة. . دعابة سمجة. . ويأخذها السخط كما تفعل أية امرأة مكانها، فتهب من فراشها وتفتح النافذة، وتخرج رأسها بين القضبان، وتنظر إلى أعلى لكي ترى من الذي يقوم بهذه الدعابة. وينتظر الدكتور اللحظة المناسبة وهو يمسك في يده حجراً ثقيلاً على استعداد لأن يضرب. وفي اللحظة المنشودة يترك الحجر يهوي من

يده.وتطلق السيدة "**ليدنر**" صيحة خافتة تسمعها الآنسة "**جونسون**" وتقع على فرو الماعز الموجود أمام النافذة، وكان قد وضع قبل ذلك حبلاً في ثقب المطحنة،وما عليه الآن إلا أن يشد الحبل لكي يرفعها فيعيدها مكانها وهو يحرص على أن يجعل الناحية الملوثة بالدم من أسفل مع أحجار الرحى الأخرى الموجودة على السطح، ويستأنف عمله لمدة ساعة إلى أن يرى أن الوقت أصبح مناسباً لكي يقوم بحركته الثانية فيهبط السلم ويتبادل بضع كلمات مع السيد "**إيموت**" والآنسة "**ليذبران**" ويجتاز الفناء ويدخل غرفة زوجته وإليكم ما فعل طبقًا لأقواله "رأيت جسد زوجتي مكومًا بجوار السرير فوقفت لحظة مصعوقًا لاأستطيع الحركة، ثم ركعت بجوارها وأخذت رأسها بين يدي وتحققت من أنها ماتت.وأخيراً نهضت وقد تملكني الذهول كما لوأنني شربت..وأفلحت أخيراً في بلوغ الباب وصرخت بأعلى صوتي".قصة معقولة تمامًا من قبل رجل هدّه الألم، والآن سأذكر لكم ما أعتقد أنه الحقيقة.دخل الدكتور الغرفة وأسرع إلى النافذة ولبس قفازاً ثم أغلق النافذة ونقل جثة زوجته بجوار الفراش وعندئذ لاحظ بقعة من الدم فوق جلد الماعز بجوار النافذة فاستبدل به الجلد الآخر.الموضوع أمام طاولة الزينة وبهذا إذا رأى أحد بقعة الدم فسيخطر له أن السيدة "**ليدنر**" قتلت أمام طاولة الزينة وليس أمام النافذة وهذه نقطة مهمة؛ لأنه لم يكن يريد أن يفكر أحد في الدور الذي لعبته النافذة.ثم مضى بعد ذلك إلى الباب متظاهراً بالحزن وكان هذا أمراً يسيراً بالنسبة إليه لأنه يحب زوجته حقًا.صاح الدكتور "**ريلي**" في فروغ صبر:

– أي عزيزي سيد "**بوارو**" إذا كان يحب زوجته كما تقول فلماذا قتلها؟ ولكن دافع عن نفسك يا "**ليدنر**"..قل لهذا الرجل إنه مجنون. لم يجب الدكتور ولم يحرك جفنًا واستطرد "**بوارو**":

– ألم أقل منذ البداية إنها جريمة غرامية؟ لماذا هدد الزوج الأول السيدة "**ليدنر**" بالقتل؟ لأنه يحبها..وقد بر بكلمته.نعم،نعم..منذ أن أدركت أن الدكتور "**ليدنر**" هو القاتل أخذ كل شيء مكانه.وللمرة الثانية سأعود إلى

هذه الرحلة من البداية .زواج السيدة " **ليدنر** " الأول وخطابات التهديد وزواجها الثاني .إن هذه الخطابات منعتها من أن تربط حياتها برجل آخر ولكنها انقطعت ولم تعكر زواجها بالدكتور " **ليدنر** " . إن كل شيء ليبدو بسيطًا جدًا إذا كان الدكتور "**ليدنر**" هو "**فريدريك بوسنر**" نفسه لنبدأ رحلتنا إذن ولكن مع "**فريدريك بوسنر**" هذه المرة إنه قبل كل شيء يحب زوجته حبًا جارفًا، ولكنها وشت به كجاسوس وحكم عليه بالموت، بيد أنه تمكن من الهرب .وجاء اسمه خطأ بين ضحايا حادث للسكة الحديدية .وعاد بشخصية جديدة في صورة عالم آثار سويدي يدعى "**أريك ليدنر**" أما "**ليدنر**" الحقيقي فقد تشوهت جثته في أثناء الحادث ودفن تحت اسم "**فريدريك بوسنر**" .فما مسلك "**أريك ليدنر**" إزاء الزوجة التي لم تتردد في إرساله إلى المشنقة؟ أولاً ،هناك نقطة مهمة وهي أنه لايزال يحبها . .ويبذل جهده لكي يخلق لنفسه شخصية جديدة وينجح هذا الرجل الفائق الذكاء كل النجاح ولكنه لاينسى حبه الكبير ويظل متتبعًا أنباء زوجته ويستقر عزمه على شيء، ولاتنسوا اعترافات السيدة "**ليدنر**" للآنسة "**ليذبران**" ، فقد قالت عنه إنه رجل طيب وكريم ولكنه عنيف، ويستقر عزمه على أنها لن تكون لأحد غيره كلما وجد ذلك ضروريًا أرسل إليها خطاب تهديد .وقد بالغ إلى حد أنه قلد خطها حتى إذا فكرت في إبلاغ البوليس اتهمها هذا الأخير بأنها هي التي تكتب لنفسها هذه الخطابات .وفي الوقت نفسه يترك الشك يحيط بحقيقة موته .وأخيرًا . .وبعد سنوات عديدة يرى أن الساعة قد حانت فيظهر من جديد في حياة "**لويز**" ويسير كل شيء كما يتمنى ولا تشك زوجته في حقيقة أمره، فهو رجل معروف وقد تغير الشاب الأنيق الوسيم الذي كانت تعرفه من قبل فأصبح رجلاً ناضجًا محدودب الكتفين ونمت له لحية ويكرر التاريخ نفسه ويؤثر "**فردريك ليدنر**" في زوجته مرة أخرى وترضى أن تتزوجه ولا يأتي أي خطاب ليعوق هذا الزواج، ولكن لا يلبث أن يأتيها

خطاب بعد ذلك فلماذا؟ ذلك أن الدكتور "**ليدنر**" يريد أن يبعد عنه كل الشكوك ولايريد أن يجازف فتعرف زوجته أمره،فإن حياتهما الخاصة كزوجين يمكن أن توقظ ذكريات قديمة في ذهنها ،وهو يريد أن تتأكد زوجته من أن "**فريدريك بوسنر**" و"**أريك ليدنر**" رجلان مختلفان بحيث يرسل خطابا باسم "**فريدريك**" تتبعه محاولة اختناق بالغاز وهي محاولة دبرها الدكتور "**ليدنر**" نفسه للغرض نفسه، ويشعر بالارتياح على أثر ذلك فلا حاجة به إلى إرسال رسائل أخرى ويمكن لزواجهما أن يستمر دون أن تشوبه أية شائبة .ولكن بعد نحو سنتين تعود الخطابات إلى الظهور من جديد .فلماذا؟ حسنًا .أظن أنني أعرف السبب . . كان التهديد هذه المرة تهديداً حقيقيًا وهذا يفسر سبب خوف السيدة "**ليدنر**" فقد كانت تعرف عنف "**فريدريك**" وشراسته . . إذا أصبحت لرجل آخر فسوف يقتلها وهي قد أصبحت عشيقة لـ"**ريتشارد كاري**" وهكذا دبر الدكتور "**ليدنر**" جريمة القتل بكل برود بعد أن اكتشف خيانة زوجته، أتفهمون الآن أهمية الدور الذي قامت به الآنسة "**ليذبران**"؟ أراد الدكتور "**ليدنر**" أن تشهد ممرضة لشهادتها كل الوزن بأن السيدة "**ليدنر**" قتلت منذ أكثر من ساعة عند اكتشاف جثتها . .وبقول آخر إنها قتلت في وقت يمكن للجميع أن يؤكدوا أن زوجها كان يزاول عمله فوق السطح في أثنائه كان من الممكن أن يرقى إليه الشك في أنه قتل زوجته عند دخوله الغرفة وعثروا على الجثة ولكن هذا الشك لن يلبث أن يزول إذا ما شهدت ممرضة متمرنة على أن زوجته لقيت حتفها قبل تلك الساعة .وإنني أفهم الآن سبب التوتر الذي يخيم على البعثة هذه السنة ولم أنسبه لحظة واحدة إلى تأثير السيدة "**ليدنر**" وحدها، ومن رأيي أن السبب المباشر لهذا التوتر إنما كان مصدره الدكتور "**ليدنر**" نفسه، ولا عجب إذا كان أعضاء البعثة قد أحسوا بالتغيير دون أن يدركوا مصدره فإن الدكتور "**ليدنر**" المعروف برقته وأمانة طبعه كان يقوم بدوره خير قيام، وكان في الواقع مجنونًا متعصبًا تلح عليه فكرة القتل،

ولننتقل الآن إلى الجريمة الثانية . . مقتل الآنسة "**جونسون**" . . فبينما كانت هذه الأخيرة تقوم بتنسيق أوراق الدكتور "**ليدنر**" في مكتبه، وهو عمل قامت به من تلقاء نفسها من غير أن يسألها الدكتور ذلك، عثرت على مسودة غير كاملة لأحد خطابات التهديد، وأخذها الاضطراب إزاء هذا الاكتشاف . . لقد أفزع الدكتور "**ليدنر**" زوجته عامداً . ولم تستطع أن تفهم السبب ولكن الأمر أزعجها في حد ذاته أكبر الإزعاج وفاجأتها الآنسة "**ليذبران**" عندئذ وهي تبكي، ولا أظن أنها اشتبهت في ذلك الوقت في أن الدكتور "**ليدنر**" هو القاتل، ولكن التجارب التي مرت بها في غرفتي السيدة "**ليدنر**" والأب "**لافيني**" كان لها تأثيرها عليها، فقد أدركت أنها إذا كانت قد سمعت صيحة السيدة "**ليدنر**" فلابد أن نافذة غرفتها كانت مفتوحة في ذلك الوقت، ولا تعلق على هذه النقطة أهمية تذكر ولكنها ستظل عالقة بذهنها، ويظل ذهنها يعمل لاستنباط الحقيقة . ولعلها ذكرت كلمة للدكتور "**ليدنر**" بخصوص خطابات التهديد ويدرك هذا الأخير ما يعتمل في نفسها فيغير موقفه منها وترى الآنسة "**جونسون**" أن الخوف يتملكه فجاة، ولكن لايمكن أن يكون الدكتور "**ليدنر**" قد قتل زوجته فقد كان فوق السطح طوال الوقت، وفجاة، وذات ليلة، وبينما هي واقفة فوق السطح تتأمل، تسطع الحقيقة في ذهنها وتدرك أن الدكتور "**ليدنر**" قتل زوجته وهو واقف فوق السطح من خلال النافذة المفتوحة، وفي هذه اللحظة بالذات تأتي الآنسة "**ليذبران**" وعلى الفور تتغلب عليها مودتها القديمة للدكتور فتحاول التمويه على الممرضة حتى لا تفطن إلى الحقيقة، فتنظر إلى الناحية المضادة وتبدي ملاحظة أوحاها إليها ظهور الأب "**لافيني**" وهو يعبر الفناء فجأة، وتأبى أن تقول المزيد متعللة بأنه لابد لها أن تفكر . . وكان الدكتور "**ليدنر**" يراقبها قلقاً فيدرك أنها عرفت الحقيقة ويعرف أنها ليست من ذلك النوع الذي يخفي اشمئزازه ونفوره إلى الأبد، وصحيح أنها لم تش به حتى الآن ولكن إلى متى يمكن أن يعتمد على صمتها وكتمانها، والجريمة تصبح عادة، وفي تلك الليلة يستبدل بكوب الماء

كوبا آخر يضع فيه حامض الهيدروكلوريك وهو يظن بأن الناس قد يعتقدون أنها انتحرت، بل إنه أقنع نفسه بأنهم قد يعتقدون أنها هي التي قتلت السيدة "**ليدنر**"، ثم بكّتها ضميرها بعد ذلك فانتحرت. وتعزيزاً لهذا الاحتمال الأخير ينقل المطحنة ويخفيها تحت الفراش. ولا عجب إذن إذا كانت الآنسة "**جونسون**" المسكينة قد حاولت وهي تجود بأنفاسها الأخيرة أن تشير إلى النافذة.. كانت تريد أن تقول "إن جريمة القتل ارتكبت عن طريق النافذة وليس عن طريق الباب". وهكذا نجد تفسيراً لكل شيء ويأخذ كل شيء مكانه. من الناحية السيكولوجية نجد أنفسنا أمام جريمة قتل كاملة. ولكن ليس لدينا أي دليل.. إطلاقاً، لم ينطق أي منا، فقد أخذنا الفزع والهول كلنا.. نعم.. والرثاء كذلك.. رثينا كلنا له، ولم يكن الدكتور "**ليدنر**" قد تحرك أو تكلم بل بقي جالساً مكانه كما هو.. وبدا مكدوراً مرهقاً وقد شاخ فجأة. وأخيراً أتى بحركة خفيفة ونظر إلى "**بوارو**" بعينيه المرهقتين وقال:

– كلا.. ليس لديكم أي دليل.. ولكن ليس لهذا أية أهمية.. فأنت تعرف أنني لن أنكر الحقيقة.. إنني لم أنكر الحقيقة قط.. بل إنني أعتقد.. أنني أشعر بارتياح ما.. إنني متعب جدا.. ثم قال في بساطة:

– إنني حزين من أجل "**آن**".. فقد أقدمت على جريمة بشعة سخيفة بقتلها.. ولكنني لم أكن أنا.. كنت قد فقدت زمام نفسي.. يالها من امرأة مسكينة! لشد ما تألمت هي الأخرى.. نعم.. كنت قد فقدت زمام نفسي وغدوت رجلاً أعماه الخوف. وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة واستطرد:

– كان في مقدورك ان تكون عالم آثار ممتازاً ياسيد "**بوارو**"؛ فإنك تملك موهبة إعادة الماضي.. لقد كان الأمر كما ذكرت فعلاً.. إنني أحببت "**لويز**" وقتلتها.. ولو أنك عرفت "**لويز**" لفهمتني.. بل أظن أنك فهمتني على كل حال.

- 24 -

الخاتمة

لم يعد هناك الكثير،فقد ألقى رجال البوليس القبض على الأب "**لافيني**" والرجل الآخر وهما يهمان بركوب باخرة إلى "**بيروت**" . وتزوجت "**شيلا ريلي**" بـ"**دافيد إيموت**" ، والواقع أن هذا الشاب هو خير زوج لها فهو ليس بالرجل المسالم الخنوع وسيعرف كيف يروّضها ، ولو أنها تزوجت "**كولمان**" لأساءت معاملته، وبهذه المناسبة قمت بتمريض "**بيل**" في العام الماضي بعد أن أجريت له عملية إزالة الزائدة الدودية .وقد أحببت هذا الشاب كثيراً .وبعد أن شفي أرسلته أسرته إلى جنوب "**إفريقيا**" للاشتغال بالزراعة، أما أنا فلم أعد إلى الشرق بعد ذلك . .والغريب أنني أشعر بالحنين إليه من وقت إلى آخر وأتذكر صوت الساقية وأرى النساء يغسلن ثيابهن على شاطىء نهر "**دجلة** "والجمال المتعالية وهي ترميني بنظراتها الغريبة،ومهما يكن فلا ريب في أن القذارة صحية على غير ما يقال لنا .ويأتي الدكتور "**ريلي**" لزيارتي كلما أقبل إلى "**لندن**" . .وكما قلت في البداية فإنه هو المسؤول غير المباشر عن هذه القصة،وقد قلت له :

ـ خذها أو دعها إنني أعرف أنها مليئة من الأخطاء النحوية وأن أسلوبها غير سليم .ولكنه أخذها دون أي تردد وإنه لتأخذني الدهشة كل مأخذ لو أن أحداً رضي أن يطبعها، وعاد السيد "**بوارو**" إلى "**سوريا**" ، وبعد أسبوع عاد إلى الوطن في قطار الشرق وعهد إليه في جريمة قتل وقعت به، ولا أنكر أنه كان ذكيًّا وأنه رأى مالم يره أحد غيره .ويحدث لي أن أفكر في السيدة "**ليدنر**" من وقت إلى آخر وأن أتساءل كيف كانت حقًّا . .أراها أحياناً امرأة فظيعة . .وأحياناً أخرى أتذكر رقتها معي وصوتها الحنون وشعرها الأشقر الجميل وعندئذ لا يسعني إلا أن أرثي لها من كل قلبي، وعلى الرغم مني أراني أرثي أيضاً للدكتور "**ليدنر**" وإني أعرف أنه ارتكب جريمتي قتل ولكن ليس لي أن أحكم عليه مع ذلك؛ فقد

كـان يحب زوجـتـه كل الحب وإن من الفظاعـة أن يحب رجل امـرأة بهـذه الصورة .وكلما تقدم بي العمر التقيت بأشخاص يغلب عليهم الحزن والمرض، وكلما ازداد حزني ورثائي أتساءل أين ذهبت المبادئ الصادقة التي ربتني عمتي عليها . .كانت امرأة متدينة جداً، لم تكن هناك نقيصة من نقائص الجيران إلا وتعلم بها .أوه ! لقد صدق الدكتور "**ريلي**" . .ولا أعرف كيف أتوقف عن الكتابة . .لو أستطيع أن أختم قصتي بعبارة جميلة، يجب أن أسأل الدكتور "**ريلي**" عن عبارة عربية كتلك التي استخدمها السيد "**بوارو**" :«بسم الله الرحمن الرحيم»أو شيء آخر من هذا القبيل .

تمّت بعون اللّه